القصة القصيرة

في

أدب المرأة السعودية

خالد محمد غازي

الكتاب : القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية

الكاتب : خالد محمد غازي

الطبعة : ٢٠١٨

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

غازي ، محمد ، خالد

القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية – خالد محمد غازي – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٤٦ ص ، ١٨ سم .

تدمك : ٤- ١٢٨ – ٥٧٧٢ – ٩٧٧

أ. العنوان رقم الإيداع / **١٠١٠٩ / ٢٠٠٨**

القصة القصيرة
في
أدب المرأة السعودية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

الأهداء

إليها بعض العرفان بالجميل .. وكل الحب

المؤلف

مقدمة

القصة القصيرة من أكثر الأشكال الأدبية ثراءً –كيفاً وتنوعاً، لذلك فإن لها مكانة كبيرة ومتميزة بين فنون الأدب، ولا جدال في أنها من أكثر الأشكال الأدبية إهتماماً بالملتقى. وترجع مكانتها إلى ما تتميز به من أبعاد درامية، وقد وصفها النقاد ب"الصوت المتوحد" لتميزها عن سائر الفنون الأدبية الأخرى بالإيقاع السريع والتكثيف، مما جعلها أكثر إنسجاماً مع العصر الذي تعيش فيه.

والقصة القصيرة تشكل في أدبنا العربي مجالات متعددة في جوانب دراستها وإهتمام النقاد والباحثين بها، فاختلفت عمليات التفسير وتوجهات التأويل من ناقد لآخر .. وفي وطننا العربي تكاثرت الأعمال القصصية، وتنوعت تجاربها وعنيت بأساليب فنية جديدة، نتيجة لتزايد وعي الكُتاب بأصول هذا الفن.

ورغم بعض الدراسات التي عالجت "القصة القصيرة في الأدب السعودي" إلا أنها مازالت في حاجة إلى مزيد من الدراسات النقدية الجادة التي تبحث وتنقب وتحلل.

كل هذا كان دافعا لتأليف هذا الكتاب، من حيث إنه مدخل أولي ومحاولة لإستكشاف مسارات وسمات فنية "للقصة القصيرة" في أدب المرأة السعودية.

والحقيقة أنني لست ممن يولعون بتقسيم القصة – والأدب بصفة عامة – إلى رجالي ونسائي، فكلاهما "الرجل والمرأة" يكتبان أدباً ورغم أنه قد يتباين في الموضوعات التي يعالجها وطريقة الطرح، إلا أن مقياس الحكم على كلا الأدبين واحد وهو جودته أو رداءته.

وموضوع (القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية) لم يفرد له كتاب مستقل، اللهم بعض مقالات منشورة في ثنايا الصحف والمجلات، والتي تشير مجرد إشارة إلى كاتبات سعوديات .. لدرجة أن بعض المثقفين ينكرون أن المرأة السعودية تكتب قصة قصيرة متميزة على ساحة الإبداع العربي .. وقد واجهت صعوبات عديدة – في جمع مادة هذا الكتاب – وهى التي يواجهها كل باحث، من تنقيب وبحث في المجلات والدوريات والدراسات النقدية وغيرها.

والكتاب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

دراسة موجزة عن القصة عند المرأة السعودية ونمازج تحليلية منها، وكان منهجي في الدراسة يعتمد على مواجهة النص القصصي ومعايشته، حتى يتسنى لي تحليله والغوص في أغواره، والنماذج التي وقع عليها الإختيار، لتحليلها هى مجرد نماذج وشواهد، وليست حصراً لكل ما كتب أو كل ما ضمه القسم الثاني من كتابنا – المختارات – وقد استبعدت تحليل بعض الأعمال، لإفتقادها العمق أو لضحالتها شكلاً أو مضموناً .. ولم أرغب في تضخيم الدراسة بلا جدوى، فاعتمدت على

مبدأ الاختيار .. واستفدت بما كتبه النقاد والباحثون قبلي، إيماناً مني أن اختلاف وجهات النظر وتباينها يثري الموضوع، وإن كنت قد اختلفت في المنهج مع بعض الباحثين، بما يحقق الإتساق مع منهجي الذي التزمت به .. ولم أحدد دراستي لفن القصة في أدب المرأة السعودية بسنوات أو مراحل زمنية محددة، إنما إلتزمت بالتطور الفني لهذا الفن.

إن مسألة قياس وتحديد أي فن من الفنون أثناء تطوره لا تخضع إلى تقسيم زمني محدد، وإنما هناك تطور زمني، موضوعي متسلسل ترتبط به خلفيات الماضي بقيم الحاضر ومن ثم بالمستقبل، حيث يشكل هذا الإمتداد الحضاري حلقات متصلة بعضها ببعض، وبهذا لا يمكن فصل أي حلقة فنية عن هذه الحلقات ما لم ترتبط بالحلقة الأخرى كمبدأ أساسي لمعرفة ماهيتها وطبيعة تطورها، ومن هذه الفنون القصة القصيرة [١]

فلماذا نجزئ تطور القصة إلى فترات محددة ولا نحدد هذا التطور (النوعي والكيفي) بشكله الموضوعي، فيجب أن ننظر إلى النتاج الأدبي – بصفة خاصة، والنتاج الإنساني – بصفة عامة، على أساس الصورة المتطورة له ضمن مراحله الموضوعية.

وتناولت في الدراسة:

– مداخل حول النتاج القصصي للمرأة السعودية.

– إتجاهات القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية.

---

[١] عباس جاسم : قضايا القصة ، العراقية المعاصرة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م

والحقيقة أنني لم أتوسع في الدراسة إلا بقدر ما تطلبته المختارات، هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى فإنني أرى أن التحليل والتفسير عمل ذاتي يختلف من شخص لآخر .. وأعده تطفلاً من المؤلف – الباحث – على القارئ فالنتاج الأدبي – بصفة عامة – يقدم نفسه للملتقى بلا واسطة.

القسم الثاني: مختارات قصصية

وهي مختارات من القصة القصيرة التي أبدعتها المرأة السعودية .. وقد راعيت في إختيارها .. أن تجيئ ممثلة لكل إتجاهات القصة في أدب المرأة السعودية في مراحلها المختلفة بقدر الإمكان.

إنتقيت النماذج الجيدة .. من وجهة نظري، ولم يقف إختياري عند مرحلة معينة أو جيل معين، بل إخترت قصصاً لشابات سعوديات، توسمت أنه سيكون لهن مستقبل في الغد في عالم القصة إن شاء الله .. هناك قلة من كاتبات لم تتوفر لدىّ نماذج لهن، وتوفرت لبعضهن، لكني رأيتها لا تتعدى كونها مقالات قصصية أو صوراً قصصية، لا تمثل شيئاً في عالم القصة القصيرة الفنية.

إن هذه المجموعة القصصية المختارة، لن يخلو نشرها مجتمعة من فائدة للقارئ والدارس معاً، فالمختارات من أقدم ما عرف التأليف العربي، وكما قال أحد نقادنا القدامى " إختيار الرجل وافر عقله "، والمختارات أحدث ما يتجه إليه العالم اليوم .. لأنها – على أضعف الإيمان – توفر على القارئ غير المتخصص الوقت ليلم بموضوع ما

وتكـون لديـه خلفيـة معرفيـة عنـه .. لا أدعـي لهـذه الصـفحات القليلـة الموجزة صفة البحث الذي يتسم بالشمولية أو العمق، لكنها محاولة – لا تعدو أن تكون أولية – للكشف عن المعالم الرئيسية "للقصة القصيرة في أدب المرأة السعودية" .. إن صفحاتي مادة أولية، غير مكتملة لبحث أوسع يواصله غيري من المجتهدين .. سائلاً المولى – عز وجل – التوفيق فيما قصدت إليه .. وما توفيقي إلا بالله.

المؤلف

القسم الأول

مدخل حول النتاج القصصي للمرأة العربية السعودية

(١)

المرأة وفن القصص

أصبحت "القصة الإنسان" منذ مطلع البشرية — ولازالت — من أشيع الفنون الأدبية على الإطلاق، لما انطبعت عليه النفس البشرية من حب للإستطلاع وإكتشاف المجهول وإستماع للحكايات .. وما إنطبعت عليه كذلك من ملكة القص .. ولا غرابة في هذا القول، فالحياة الإنسانية نفسها قصة، منذ نشأتها الأولى .. ولا أبالغ إذا قلت .. إنه لم تخلق القصة في هذا الوجود قبل أن يخلق الله حواء، فما كادت حواء تنعم بالحياة في الجنة وع زوجها أدم، حتى وجدت القصة، وكان أبطالها من البشر والشياطين ومن الحيوان .. وكانت حواء هى بطلتها الأولى .. ولم يكن آدم بطلاً إلا بفضل حواء التي وجدت بجانبه لتؤنسه من بعد وحشة، وقد هام آدم بحواء منذ أن خلقت، فقاسمها الحياة، ومنحها الحب، وألف معها الأسرة ثم ألفت الأسرة مجتمعا، فأمة .. وشقى آدم ووقع في الخطيئة في سبيل رضا حواء عنه .. وكانت تلك الخطيئة الأولى والكبرى — أن أكل آدم من الشجرة التي حرمت عليه .. وأقدم على مخالفة خالقه، ولم يخالف أمر حواء ورغبتها، في الأكل من الشجرة .. وغامر بالحرمان من الجنة والشقاء، ولم يغامر بعصيان حواء .. وأخرج آدم من الجنة ونعيمها بسبب خطيئته .. وهبط إلى الأرض ماسكاً بذراع حواء، مطوقاً لها، راضياً بها بديلاً عن الجنة والنعيم.

وكما كانت لحواء قصة في الجنة هى بطلتها، كانت لها قصة في الأرض وهى بطلتها أيضاً، فكانت هى المحرك لقصة الصراع الإنساني في شقائه وسعادته، وحبه وبغضه، فحواء بأنوثتها الطاغية، وعاطفتها الملتهبة الساخرة وحديثها العذب، استثمرها الشيطان ليتغلب بها على آدم وأبنائه من البشر.

فيروي أنه .. لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين في بطنها، ففزعت وكانت تقول: من أين يخرخ هذا المتحرك؟ فلما ولدت. وضعت اثنين، ذكراً وأنثى، فسمى الذكر "هابيل" والأنثى "ليوثا"، ولما انقضت مدة الولادة، أراد آدم أن يواقعها، فتمنعت وأبت خشية آلام الحمل والولادة ولكنه واقعها بعد ذلك، فجاءت بذكر وأنثى في بطن واحد وسمياهما "قابيل" و "إقليما" ولما كبر قابيل وهابيل، أوصى الله آدم بأن يزوج "إقليما" بهابيل، وأن يزوج "ليوثا" بقابيل ولكن قابيل رفض أن يتزوج بليوثا وأراد أن يتزوج إقليما .. وهكذا كانت المرأة محوراً للصراع بين الأخوين وتطور الصراع إلى أن قتل أخ أخاه .. قتل هابيل قابيل.

ومن تلك القصة تفنن القصاصون والقاصات في حبك حكايات وقصص حول الصراع بين الأخوين .. بين الخير والشر .. بين الحب والكراهية .. بين كل المتناقضات.

والمتبع للنتاج القصصي يجد أن المرأة تشكل محوراً رئيسياً فيه .. وهذا أمر طبيعي، فهى شريكة للرجل في الحياة، ولا يمكن أن يعيش أحدهما أو يمارس حياته الطبيعية في معزل عن الآخر، والقصص

والأساطير القديمة تكشف لنا عن دور المرأة أسطورة من الأساطير، آلهة مقدسة، فكانت رمزاً لآلهة الخصب والحب والخير والشر والجمال .. فالآلهة "حتحور" في زعم الفراعنة كانت آلهة الخصب والخير، و "إيزيس"كانت آلهة الجمال والسحر في معتقداتهم، وقد استطاعت في اسطورتها أن تعيد زوجها "أوزريس" إلى الحياة بعد أن قتله "ست" إله الشر والظلام المزعوم.

وقد اتخذ الرومان "فينوس" آلهة الحب والجمال، وإتخذ اليونان "أفروديت" آلهة للجمال، وعند اليابانيين "استر" زوجة "ميروداخ" وكانت أجمل نساء أهلها، فعبدها اليابانيون وزعموا أن النهار يضحك في وجهها، وأن الليل أرخى ستائره على شعرها الأسود.

هكذا رأينا كيف أن القصة وجدت مع وجود المرأة .. وكيف أنها بلغت حد الأسطورة لدرجة وصولها لمنزلة الإله – في الأساطير –وإذا قلنا إن الجمال له تأثيره الذي لا ينكر في نفوسنا، فإن أثر المرأة كذلك في القصة لا يمكن نكرانه، لأن نصيبها في التأثير في هذا الفن كبير، وكان لها دورها العظيم فيما ورد من قصص تاريخية .. فقد نقل التاريخ لنا قصصا عديدة كقصة "بلقيس" ملكة اليمن و"كليوبترا" و "نفرتيتي" و "سميراميس" و "مارى أنطونيت" والإمبراطورة "أوجيني" وقصص "الجواري" للحافظ وقصص "عنترة" و "سيف بن ذي يزن" وقصص "ألف ليلة وليلة" .. والمرأة كما لها الدور المؤثر في تيسير الأحداث فإنها كذلك "

تخلق الأحداث لتبرز شخصيتها أمام الرجال، ويطيب لها أن يتحدث عنها الناس.. وأن تروي هى أحداثها لغيرها لترضى حبها لنفسها، ورغبتها في الظهور، ولذلك قال الأديب: ألفريد كابوس: المرأة تصنع الخير والشر، لا لشئ إلا لكي تقص ذلك على صديقاتها أو يتحدث عنها الغير[1]

والحقيقة أن المرأة لم تنافس الرجل في فن من الفنون قدر منافستها له في فن القصص الذي برعت فيه .. والقص ملكة فطرية، وهو لون من ألوان السرد، نشأ مع قدرة الإنسان على الكلام في إطار المجتمع البدائي المحدود الذي يضم الرجل والمرأة، كما أنه لم يكن عملاً عقلياً معتمداً يبذل فيه مجهوداً لكنه كان عملاً فطرياً دافعه الغريزة .. والقص نشأ في إطار التحذير والتخويف من الخطر، فمن كان عملاً تربوياً بالدرجة الأولى، يوجه ويرشد بطريقة غير مباشرة.

وكما يقال "القصة فن السهل الممتنع" وهى أيضاً تطويع للغة، فمن المؤكد أنه لو أستخداماً غير مباشر فإنها في هذه الحالة تهدف إلى توصيل موقف إنساني بطريق غير مباشر، ويقصد بالطريق غير المباشر أن هذا النمط من التعبير اللغوي يحرك في مستقبله حساً شعورياً خاصاً بحيث يجعله يسترجع موقفه من حياته المعاشة أو من الكون بصفة عامة: أي أن المستقبل في هذه الحالة يكتسب موقفاً من خلال إحساس الإنسان — بالحس الجمالي [1].

[1] طاهر الطناحي : ساعات من حياتي ، الدار المصرية للنشر والتأليف ، ١٩٦٦م ، ص ٢٢٦، ٢٢٧

[1] د. نبيلة إبراهيم : البطولة في القصص الشعبي ، دار المعارف "كتابك" ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٤ ، ٥

إن القصة أو " الحدودته " في طور نشأتها قد نشأت على لسان المرأة فهى عمل من إبتكارها .. ومازالت إلى اليوم لا ينازعها منازع في فنها، فنجد الأمهات يربين أطفالهن على إحترام من هم أكبر منهم سناً وتحذيرهم من العبث بالأشياء الثمينة أو اللعب بالأشياء الضارة، وذلك عن طريق القصة .. إن علاقة المرأة برواية وإبتكار القصص علاقة وطيدة لها جذورها العريقة.

وفي حياتنا –كمجتمعات – لعبت المرأة دوراً ملحوظاً في رواية القصص في عصر ما قبل المطبعة، كما ساهمت بنصيب وافر في كتابة الرواية والقصة القصيرة بعد إنتشار الطباعة لدى معظم الشعوب، وفي تراثنا العربي نقرأ عن روايات للقصة مثل "شهدة" التي كانت تحفظ كثيراً من القصص عن أسلافها، ويأتي اسمها في سلسلة "العنعات"، ولاسيما عند رواية قصص المحبين على ما نجد في كتاب "ذم الهوى" لابن الجوزي[٢] وفي رأيي إن عناية الباحثين والمحققين بجمع تلك القصص كانت ولا زالت قليلة، ولم ينظر إليها نظرة شاملة تعني بجمع تلك القصص ودراستها .. فمثلاً "سيرة الأميرة ذات الهمة " وهى من القصص الشعبية العربية لم تجمعها مجلدات، وإنما نجدها منتشرة مختلفة، في بطون الكتب، وقد ذاعت شهرتها على ألسنة العجائز ورددتها أفواه الجواري والموالي.

---

[٢] يوسف الشاروني : الليلة الثانية بعد الألف "مختارات من القصة النسائية في مصر" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٧.

(٢)

القاصة الأولى في التراث العربي

تعد "شهرزاد" أقدم قاصة في تراثنا الشعبي، وشهرزاد هى رواية مجموعة القصص الشعبية " ألف ليلة وليلة " وهى قصص مجهولة المؤلف لها جذور فارسية وهندية .. وقد إختار مؤلفها " شهرزاد " لتكون بطلة وراوية لها .. وهذا له دلالة كبيرة على أن لدى المرأة القدرة الفائقة على القصص والإقناع، فبطلة الرواية "شهرزاد" جعلت من قصصها وسيلة لتنقذ بها حياتها، وحيات بنات جنسها من الموت .. بسبب حكم ظالم أصدره "شهريار" – بطل ألف ليلة وليلة – بسبب أنه جرح في شرفه، فأطلق حكمه على جميع النساء .. وكانت مهمة "شهرزاد" مهمة صعبة ومغامرة غير مأمونة النتائج، فعليها أولاً أن تنجو بحياتها وعليها ثانياً أن تقدم صورة جديدة للمرأة، فأعملت فكرها، وجاء في الليالي أنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السابقة والملوك والشعراء والأدباء، وما جمعته من قصص لشهريار الطاغية، الوحش، فتحول إلى إنسان وديع .. ونحن لا نزعم أو نرجع أن تلك القصص التي روتها "شهرزاد" كانت من إبتكارها أو تأليفها، لكننا نزعم أن رواية تلك القصص وإن لم تؤلفها موهبة .. وفي مثل موقف "شهرزاد" يتمثل جوهر الإبداع .. أو بعبارة أكثر دقة تمثل توهج ابداع المرأة في القص، وجوهر الإبداع يتمثل في القدرة التجديد والمعاصرة، ولذلك فإن جوهر الإبداع (Creation) الحقيقي يتمثل في جدته وطرافته وإن كانت عناصره الأولية

موجودة من قبل، كذلك رغبته في التحديث ومسايرة العصر بما فيه من متغيرات .. ويتضح مما أوردنا مدى الجذور العميقة التي تربط بين المرأة وفن القصة.

(٣)

المرأة العربية وفن القصة في العصر الحديث

في العصر الحديث حدثت تطورات جذرية، هائلة في وضع المرأة الإجتماعي، فانتشر التعليم، وانتشرت الطباعة وعرفت الصحافة، وخرجت المرأة للتعليم والعمل أيضاً .. ولم تعد وظيفتها تقتصر على أن تجلس في بيتها تطبخ وتكنس وتغسل وتخبز، بل تجاوز دورها هذا كله " فبخروج المرأة للمدرسة والعمل، ورؤية الرجل لها عن قرب انقشعت هذه الهالة حول المرأة وأضحت نظرة الرجل إلى المرأة أكثر واقعية فلا يوغل في تقديسها ولا في تلطيخها، بل يعرفها كائناً له جوانب قوته وضعفه، بل إن المرأة شاركت في الحركة الأدبية مشاركة أكثر جرأة وأوسع نطاقاً ".[١]

والتطور الإجتماعي ساعد على مشاركة المرأة للرجل في كافة ألوان النشاط التي منها النشاط الأدبي، وفي فن القصة ظهر في العصر الحديث – على المستوى العالي – عدد من النابغات ساهمن بنصيب عظيم في هذا الفن، واستطعن من خلاله أن ينافسن نوابغ الرجال منهن " أجاثا كريستي " و " بيرباك " وغيرهم.

ويرجع سر نبوغ المرأة في هذا الفن، إلى أنه فن يقوم على ترجمة الحياة .. والشعور الوجداني الدقيق .. العميق، والمرأة بطبيعتها قباضة في مشاعرها، مرهفة في حسها، فصورت خلجات نفسها وواقعها بمشاكله في قصصها، فأكسبت إبداعها صدقاً فنياً تميزت به.

---

[١] يوسف الشاروني : القصة والمجتمع "كتابك" ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٧، ٨.

ولم يكن الوضع في بلادنا العربية يختلف كثيراً عن ما حدث في الدول والشعوب الأكثر تقدماً، والتي سبقتنا بقرنين في هذا الفن، فقد حدث تطور حضاري مشابه في بعض البلاد العربية في القرن التاسع عشر، أدى إلى ظهور فن القصة – إلى جانب فنون أخرى – وتطوره نحو النضج في في القرن العشرين، كما أدى في الوقت نفسه إلى تطور الوضع الإجتماعي للمرأة العربية .. وهو وضع طالب بشرعيته كبار مفكرينا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .. أمثال رفاعة الطهطاوي، وأحمد فارس الشدياق، وقاسم أمين، وأحمد لطفي السيد. [١]

وكانت كل من لبيبة هاشم (١٨٨٠ – ١٩٤٧)، ومي زيادة (١٨٨٦ – ١٩٤١م) من أولى النساء العربيات اللاتي مارسن فن كتابة القصة، كلتاهما – لبيبة وميّ – من أصل لبناني، نزحتا إلى مصر واشتغلتا بالصحافة، والحقيقة أن قصصهما لم تتوفر فيها السمات الفنية للقصة من أحداث وشخوص ومواقف درامية ووحدة إنطباع وغير ذلك .. بل كانت قصصهما أشبه بمقالات صحفية أو صور قصصية، وكانت أميل إلى الخواطر الذاتية، وهى مرحلة بدائية في كتابة القصة القصيرة[١].

---

[١] أنظر كتاب لويس عوض ، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، قضية المرأة ، معهد الدراسات العربية، القاهرة ، ١٩٦٣م.

[١] لمزيد من التفاصيل أنظر:

– د. شكري عياد : القصة القصيرة في مصر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص٥٥.

– وداد سكاكيني : مي زيادة في حياتها وآثارها ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص٧٧

– عباس خضر : القصة القصيرة في مصر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م ص ٤٠.

وإذا كان أدب الرائدات القاصات يعبر عن ضعف في المقدرة التكنيكية الأسلوبية وضعف في الوعي الإجتماعي والفلسفي، فإن هذا الأدب لا يستمد أهميته التاريخية والفنية من ريادته فحسب، بل من التصاقه بالواقعوتعبيره عن مكنون الذات المبدعة.

وبانتشار التعليم وإنشاء الجامعات والمعاهد العلمية، وإتاحة الصحافة الفرصة للنشر، ظهرت مبدعات في الفن القصصي أكدن وجودهن على الساحة الأدبية العربية، واستطعن أن يفرضن أنفسهن بإباعهن على لوحة أدبنا العربي المعاصر .. ومن هؤلاء على سبيل المثال: سهير القلماوي [١] وعائشة عبد الرحمن [٢]ولطيفة الزيات [٣] وجاذبية صدقي [٤] ونوال السعداوي [٥] وغيرهن من مصر.

ومن سوريا الأديبة كوليت سهيل[٦] التي كان لها فضل الإسهام الواضح في رسم خطوط الأدب النسائي في الأدب النسائي في الرواية

---

[١] لها العديد من المؤلفات، على سبيل المثال في أدب القصة (الشياطين تلهو- أحاديث جدتي – ألف ليلة وليلة) بالإضافة إلى ترجمتها إلى اللغة العربية العديد من القصص.

[٢] من مؤلفاتها: (على الجسر، سيرة ذاتية)، (سيدة العزبة، رواية)، (رجعة فرعون، رواية)، (سر الشاطئ، مجموعة قصص)، (إمرأة خاطئة، مجموعة قصص)، (صور من حياتهن، مجموعة قصص).

[٣] من مؤلفاتها: (الباب المفتوح، رواية) والعديد من المجموعات القصصية.

[٤] من مؤلفاتها: المجموعات القصصية الآتية: مملكة الله – إنه الحب – ستار الليل – وبكي قلبي – تعالى – البنت من بحرى – شئ حرام – ليلة بيضاء – الليل الطويل – أنت قاس – دبيب النملة – نظرة عينيه تلك) بالإضافة إلى مجموعة من الروايات المنثورة.

[٥] من مؤلفاتها المجموعات القصصة الآتية: (تعلمت الحب – حنان قليل – لحظة صدق – الخيط والجدار) وروايات (الغائبة – مذكرات طبيبة – الباحث عن الحب).

[٦] لها العديد من الروايات منها (أيام معه – رعشة - ليلة واحدة –كيان – أيام من الأيام) بالاضافة إلى العديد من المجموعات القصصية

العربيـة الحديثـة، كـذلك الأديبـة غـادة السـمان[1] ومـن لبنـان الأديبـة ليلـى بعلبكي[2] وغيرهن من الأقطار العربية الشقيقة.

إن تعرضـنا مـن خـلال السـطور السـابقة لعلاقـة المـرأة بفـن القـص وتطـور هـذا الفـن في العصـر الحـديث علـى المسـتويين العـالمي زالعـربي الإقليمي، هو إمتداد وتمهيد لا غنى عن معرفتها في حالة دراستنا للقصة في أي منطقة.

إن الباحـث في فـن القصـة في أدب المـرأة السـعودية، يجـد أن قصـة المرأة السعودية – أقصد القصة بمعناها الفني- لا تختلف كثيراً عن القصة السـعودية بأبعادهـا الواقعيـة والإجتماعيـة، ولا عجـب في هـذا فكلاهمـا تجمعهما أشياء وروابط شتى أهمها: الإصرار والتحدي والمحاولة.

---

(1) من مؤلفاتها: روايات (أيام معه – ليلة واحدة – وأنا والمدى).

(2) لها الكثير من الأعمال القصصية المطبوعة منها: (أنا أحيا – الآلهة الممسوخة – سفينة حنان إلى القمر)

(٤)

مؤلفات حول نتاج المرأة السعودية القصصي

لابد أن نطرح سؤالا هاماً: ماذا قدم الباحثون من دراسات جادة ومتخصصة حول قصة المرأة السعودية كشكل فني؟

إذا تتبعنا الدراسات الأدبية والنقدية على الساحة الأدبية خلال الأعوام الأخيرة، نجد أن تلك الدراسات التي تناولت أدب المرأة السعودية القصصي، تناولته بشكل عرضي لايزيد على كونه إشارة ليس إلا .. ونجد أنه لم يحظ بدراسة منفردة نتكئ عليها .. وأغلب ما قيل عن قصة المرأة السعودية مقولة فنية عامة، خضعت للتسرع حيناً والمبالغة أحياناً والصمت كثيراً، كما حدث لمجموعة (مخاض الصمت) للقاصة السعودية نجاة خياط، فلم تلق من النقاد والكتاب إلا التجاهل رغم ريادتها .. وإحقاقاً للحق والأمانة العلمية لابد أن نشير إلى أهم تلك الدراسات التي تناولت أدب المرأة السعودية القصصي، لندرك مدى التجاهل لأدب المرأة.

دراسة الدكتور: منصور الحازمي عن (الرواية في الأدب السعودي الحديث)[١] والتي قدمت للمؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، فنجد الدكتور الحازمي يغفل الإشارة إلى " البراءة المفقودة " لهند باغفار، رغم

---

[١] أنظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، مج(٣) ، ١٣٩٣ – ١٣٩٤هـ – ص ٧ : ٢٥ .. وأنظر كتاب بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين (مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز) شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، ص ٨٧٥ : ٨٧٧.

أهميتها بالنسبة لأدب المرأة السعودية القصصي - بصفة خاصة - وأهميتها للفن الروائي السعودي - بصفة عامة - كذلك تجاهل الدكتور الحازمي في بحثه: (القصة القصيرة في الأدب السعودي الحديث) المنشور بمجلة " عالم الكتب " السعودية[1] ، الحديث عن القصة في أدب المرأة السعودية .. ولم يشر حتى ولو مجرد إشارة إلى أي قاصة سعودية !!

كتاب (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية[2] للدكتور: محمد الشامخ، قد خصص الفصل الثاني من الكتاب للحديث عن القصة القصيرة وعنونه ب " المحاولات الأولى لكتابة القصة القصيرة " فلم يذكر أي شئ عن القصة النسائية السعودية .. وأرى أن له مبرراً منهجياً في هذا، ومن هنا لا يؤخذ عليه .. فقد قصر دراسته على فترة زمنية محددة من (١٩٠٠ - ١٩٤٥م) وفي هذه الفترة لم تشارك المرأة السعودية بانتاج قصصي يذكر.

بحث (نشأة القصة القصيرة في أدبنا الحديث[3] للدكتور: عبد الله آل مبارك .. وهذا البحث من بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، وكان من الممكن أن نقول عن بحث الدكتور: عبد الله ما قلناه عن بحث

---

[1] عدد خاص بالقصة في المملكة العربية السعودية ، مج(١) - ع(٤) ، ربيع الآخر ١٤٠١هـ - فبراير ١٩٨١م ، ص٤٨٦.

[2] د.محمد عبد الرحمن الشامخ :النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠: ١٩٤٥م، مطابع نجد التجارية ، الرياض ، ١٩٧٥م.

[3] د.عبد الله آل مبارك : نشأة القصة القصيرة في أدبنا الحديث (من بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين) ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص٦٢٩.

الدكتور: الشامخ لولا أنه استشهد بنماذج في بحثه من قصص " إبراهيم الناصر "، و " عبد الله جفري " .. وهما من جيل معاصر لبعض الأقلام النسائية التي تكتب القصة.

نشر الأستاذ: محمد الأنور العشماوي دراسة حول (ملامح التجديد في القصة السعودية) ونشرت على حلقات في " المربد الأدبي " ملحق جريدة " اليوم " السعودية[1]، لكن أحكامه كانت معممة .. ولا أبالغ إذا قلت كان منظوره ضبابي الرؤية، فلم يوضح المعالم والسمات .. وتبع الأستاذ العشماوي هذه الدراسة بدراسة عدد من المجموعات القصصية لعدد من الكتاب السعوديين المعروفين والذين صدرت لهم مجموعات قصصية، لكن دراسته تلك كانت كسابقتها .. يقول العشماوي من بين سطور دراسته " .. إن القصة القصيرة تأخذ الشكل المنطقي بل إتجهت إلى ما يمثله الكتاب الطليعيون من استخلاص موضوعاتها من الحياة الداخلية للإنسان عن طريق اللاوعي وتداعي المعاني، من هنا ظهر الإهتمام بالمنولوج الداخلي دون إستهداف ملاحظة الواقع الخارجي إلا عرضاً .. إن الإبداع القصصي لم تكن له معايير منضبطة، ووقع في إسار الذاتية ووجهة النظر الجزئية المحدودة وحدث الخلط بين القصة والشعر الحر والمخاطرة[2].

---

[1] أنظر: "المربد" ملحق جريدة " اليوم " الأدبي – ع(٢٧٤٩) ، ٢٨ محرم ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

[2] المرجع السابق.

ومن المستبعد أن يكون " العشماوي " قد كتب وجهة النظر هذه على وعي كامل بما تعنيه، فهو يعني بالشكل المنطقي، الشكل التقليدي القائم على الحبكة والحدث والقفلات القصصية المثيرة، ويبدو كأنه يرى أن ما يمثله الكتاب الطلعيون يقوض هذا الشكل، وأن من النقائض الفنية الإهتمام بالمنولوج الداخلي والغوص في الحياة الداخلية .. والواقع الخالي ليس أمرا ممكنا، بل إن ما أضافته قصة اللاحدث، هو الجمع بين الداخلي والخارجي والوعي واللاوعي في سياق فني إيجابي ذي رؤية متكاملة[1].

كتاب (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية)[2]أفرد مؤلفه الدكتور: بكري شيخ أمين بابا في كتابه للحديث عن القصة والرواية السعودية ونجده لم يتعرض إلا لكاتبة واحدة ولرواية واحدة لنفس الكاتبة وهى " سميرة محمد خاشقي " أو " سميرة بنت الجزيرة) .. فهل هذه الرواية مثلت المرأة السعودية في أدبها القصصي ؟! كذلك وقعت دراسة الدكتور: بكري شيخ أمين في مزالق أخرى، ففيما يؤخذ عليه " تأثر عرض المادة لديه بطبيعة كتابه الموسوعية التي هى أقرب إلى الجمع والإختصار، وقد عرض القصة القصيرة والرواية في سياق واحد معتمداً على مادة قليلة إستقاها من بعض المجموعات القصصية والروايات، ومجلة

---

[1] نسيم الصامدي : دراسة في أدب المرأة السعودية القصصي ، مجلة عالم الكتب ، الرياض ، مج (١) – ع(٤) ، ص ٥١٥

[2] بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، بيروت ، ١٩٧٢م.

" المنهل " التي استعان كثيراً بعددها الفضي وما ورد فيه، كذلك عددها الخاص بالتراجم "[١].

ولسنا في هذا الموضوع نعني بذكر مآخذنا على الكتاب. المهم أن هذا الكتاب رغم الملاحظات الكثيرة عليه، هو محاولة للفت الأنظار إلى الفن القصصي في المملكة العربية السعوية.

كتاب (دراسات في القصة السعودية والخليج العربي)[٢] للأستاذ: محمود رداوي، تناول الكتاب بالتحليل والدراسة والنقد ثلاث عشرة مجموعة قصصية لسبعة عشر كاتباً قصصياً سعودياً، يمثلون مختلف الإتجاهات، ولم يتناول بالعرض إلا مجموعتين قصصيتين لكاتبتين سعوديتين وهما: "لطيفة السالم" ومجموعتها (الزحف الأبيض) و "خيرية القساف" ومجموعتها (أن تبحر نحو الأبعاد) .. ولم يشر إلى سمات القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية أو خصائصها وبالطبع لم يعطنا فكرة شاملة عن أدب المرأة السعودية القصصي[٣].

كتاب (القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية)[٤] للأستاذ: سحمي ماجد الهاجري، وهو من أحدث الكتب التي صدرت وتناولت القصة السعودية، وهو في أصله رسالة علمية نال عنها الباحث درجة

---

(١) سحمي ماجد الهاجري : القصة في المملكة العربية السعودية ، نادي الرياض الأدبي ، ١٩٨٧م ، ص ١٠

(٢) الناشر: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، الرياض ، ١٩٨٤م.

(٣) أنظر قراءتنا للكتاب بـ"مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية" ، الكويت ، ع(٥٠) – س(١٣) ، ١٩٨٤.

(٤) سبق الإشارة إليه.

(٤) مج (١) ، ع (٤) ، ربيع الآخر ١٤٠١هـ – فبراير ١٩٨١م ، ص ٥١٢: ٥٢٧.

الماجستير .. والدراسة تتعرض للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) ورغم أن البحث هو أول دراسة علمية تتناول القصة في السعودية في فترة من أهم فترات الإنتاج الأدبي، وهى الفترة التي ابتدأت بظهور هذا الأدب – القصة القصيرة – مواكباً لنشأة المملكة، إلا أن الباحث لم يتعرض للقصة القصيرة في أدب المرأة السعودية .. رغم أن للمرأة السعودية إنتاجاً قصصياً منشوراً يقع ضمن منطقة الدراسة التي تعرض لها، وبالتحديد قبل إنتهاء الفترة التي حددها الباحث لدراسته بأربع سنوات.

ويحسب للباحث أن دراسته إستفادت من كل الإشارات والدراسات التي سبقته، وتوخى النظرة الموضوعية، وعدم إطلاق الأحكام العامة، كما حدد هوية القصة القصيرة السعودية وتطورها في الفترة التي تناولها.

– دراسة الأستاذ: نسيم الصامدي، المعنونة ب(دراسة في أدب المرأة السعودية القصصي) المنشورة بمجلة "عالم الكتب" السعودية، لكنها دراسة محدودة ورغم ذلك فإنها متشبعة، فقد تناولت القصة القصيرة وإبداع المرأة فيها والقصة الطويلة والرواية ومؤلفات المرأة السعودية فيهما، فنجده لم يضع حتى ولو خطوطاً عريضة للاتجاهات الفنية، وسمات الإبداع القصصي للمرأة السعودية وظروف نشأة هذا الفن في أدبها .. والدراسة تقع في نحو (١٥) صفحة .. من هنا فالإيجاز الشديد جعل الباحث يقفز قفزات كبيرة في عرضه وتحليله، فافتقدت دراسته الترابط

الحقيقي، وكانت أشبه بانطباعات خاصة لا تتجمع في مجرى واحد .. ورغم ذلك، تبقى هذه الدراسة القصيرة نواة — في رأينا — لدراسة أكثر عمقاً وشمولية.

- هناك كتابات متفرقة نشرت في الصحف والمجلات العربية والسعودية تعرضت لفن القصة لدى المرأة السعودية، لكن هذه الكتابات لا تعدو كونها إشارات صحفية ومقالات شديدة الإيجاز لا يطلق عليها صفة البحث أو الدراسة بمفهومها العملي.

ويتأكد لنا — مما سبق- أن الدراسات التي تناولت قصة المرأة السعودية الفنية — بصفة عامة - ، والقصة القصيرة — بصفة خاصة — تناولتها هامشياً .. وهذا يدين الباحثين والأكاديميين، ولا يعفيهم من المسؤولية .. فالمكتبة مازالت تفتقر إلى دراسات جادة وحقيقية في هذا الموضوع.

(٥)

بين الأصل العربي والتأثير الأوربي

هناك موضوع هام لابد أن تتعرض له قبل أن ندلف إلى تناول مفهوم أو مفاهيم القصة القصيرة فما يزال هناك بعض المنكرين الذين يزعمون أن القصة العربية الحديثة ليست وليدة القصة العربية القديمة، وإنما جاءت محاكاة للقصة الأوروبية الحديثة.

إن القصة الأوروبية سارت قدما في طريق التطور الذي انتهى بها إلى ما انتهت إليه متأثرة بالقصة العربية، وقد أشار بعض مؤرخي الأدب من الأوروبيين إلى أن " بوكاشيو " في إيطاليا و "شوشر" في إنجلترا، و"دون جوان" صاحب كتاب الديوان في أسبانيا، إلى أنهم لم يتأثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ولكنهم اقتسبوا منها، ونقلوا عنها، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للقصة الأوروبية، متصلة بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ولكنهم اقتسبوا منها، ونقلوا عنها، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للقصة الأوروبية، متصلة بالقصة العربية القديمة من طريق مباشر، وإن القصص الموغلة في القدم، المختلفة سكلا ومضمونا عن قصص العصر الحاضر، هى نواة القصة الحديثة وقد تطورت على مر الزمن وإكتسبت صفات جديدة شكلية وموضوعية في تنقلها من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في المرحلة الحاضرة التي هى مجرد مرحلة تطورية ليست بالأولى أو بالأخيرة[1].

---

(١) محمد الشوباشي : القصة العربية القديمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٥ ، ٦

وذلك لا يجعلنا نلقي بالا إلى ما قاله بعض الباحثين العرب في العصر الحديث، من أن العقل السامي يميل بطبيعته إلى التجريد ولا ينزع إلى التجسيم، وأن البيئة الصحراوية التي عاش فيها العربي لم تكن غنية بالمناظر المتنوعة، فلم تمنحهم المخيلة، الخالقة المبتكرة التي تتوافر للغربيين .. " ومن العبث أن ندلل على أن بيئة من البيئات أو قبيلاً من الناس تتوافر له طبيعة خلاقة في القصة، فالانسان قصاص بطبعه في كل مكان وزمان، يحكي ما يحدث له، وما يشاهده وما يسمعه، فإن توافرت له ثقافة ضمها ما يحكي وأكسبه قيمة أدبية "[١] "هو الذي أوجد القصة القصيرة في شكلها الحديث، وقد نشأت القصة القصيرة العربية بتأثير الآداب الأوروبية، وإذا كنا قد سلمنا أن العرب مارسوا فن القصة قديماً بأشكال وأسماء مختلفة إلا أنهم انقطعوا عن ممارسة هذا الفن ممارسة جادة طوال عصور التأخر قبيل الغزو العثماني وبعده، وليس هذا القول ينسحب على القصة فقط، بل على الشعر أيضاً، فكان الأدب في عصور التأخر محاكاة هزلية للنصوص السابقة بلا إبتكار ولا تحديد، وإذا كانت "المقامة"[٢] أقرب الأشكال الأدبية إلى القصة القصيرة، إلا أنها ليست قصة فنية بمفهومها الحديث، فالمقامة غلب عليها اللفظ على المعنى، وأول من ابتكرها "بديع الزمان الهمزاني" في القرن الرابع عشر وإستخدام "محمد المويلحي: ت١٩٣٠" أسلوب المقامة في النقد الاجتماعي على نمط

---

[١] عباس خضر : القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى ١٩٣٠م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٩٨٦ ، ص ٥ ، ٦.

[٢] معناها في الأصل، "ثم سميت ب"الأحدوتة" التي تحكى في مجلس.

مقامات الهمزاني، ومن بعده كتب " حافظ إبراهيم: ت١٩٣٢م" .. "ليالي سطيح" وتأثر فيها بالمويلحي.

أما أول اتصال للعرب بالقصة الأوروبية القصيرة فجاء عن طريق الترجمة التي إزدهرت في أوائل القرن العشرين، وكان على رأس رواد حركة الترجمة وقتها "مصطفى لطفي المنفلوطي: ت ١٩١٤م" الذي أوتى حظاً كبيراً في اللغة العربية وإرتقى بأسلوبه وعني بالتوقيع الموسيقي في ألفاظة وعباراته، فكان أسلوبه عربياً فصيحاً، لكن الترجمة وقتذاك كانت تنحرف عن النص الأصلي، فيسقط المترجم مواقف من القصة المترجمة ويدخل عليها مواقف جديدة[١].

ومن أبرز ترجماته "العبرات" وهى مجموعة من القصص الفرنسية الرومانسية، والحقيقة أن المنفلوطي ليس هو من يقوم بالترجمة بل يقوم بها أي مترجم، ثم يتناول المنفلوطي النص المترجم ويصوغه بأسلوب عربي .. ثم أعقب هذه الحركة، حركة واعية أمنية، قام بها جيل جديد من الخريجين الذين درسوا الآداب العربية، فترجم هؤلاء[٢] الكثير من قصص الغرب، ووضعوا أسس الترجمة السليمة القائمة على إجادة اللغتين، المترجم عنها، والمترجم إليها.

---

[١] من قبيل تلك الترجمة تصرف حافظ إبراهيم في قصة " البؤساء " لفكتور هيجو، وهذه الترجمة إبتعدت كثيراً عن القصة الأصلية.

[٢] منهم على سبيل المثال: عباس حافظ .. إبراهيم المازني .. خليل مطران .. محمد السباعي .. زكي نجيب محمود .. وغيرهم.

يبدو للوهلة الأولى أنه لا فرق بين الرواية والقصة القصيرة من حيث الحجم، فالوسائل التي يستخدمها القصاص، من وصف وحوار وشخصيات وحدث ولحظة تنوير – إن وجدت – كما أن الرواية من الممكن أن تتعدد أشكالها، فتكتب مثلاً على طريقة الرسائل أو المذكرات أو اليوميات .. كذلك الحال مع القصة، وهذا مما جعل البعض يظن أن القصة القصيرة تلخيص لرواية، وأن الرواية قصة قصيرة لكنها مطت، وهذا ظن خاطئ .. فالفارق بين الرواية والقصة فارق شاسع وكبير للغاية وأبرز ما نلاحظه في الفرق بينهما، أن الرواية تصور حياة كاملة لا لحظة بعينها، ويغلب عليها رسم الشخصية لا الموقف، وعلى هذا يشبه بعض النقاد الرواية بالنهر، تسير من المنبع إلى المصب، في حين أن القصة – القصيرة – تمثل دوامة أو موجة في وسط النهر، وهى ليست في الوقت نفسه جزء ولا فصل من الرواية.

"فإذا كانت الرواية تتناول قطاعاً طويلاً من الحياة،فإن القصة القصيرة تتناول قطاعاً عرضياً، وإذا كانت الرواية أقرب إلى التوغل في أبعاد الزمن، فإن القصة القصيرة أقرب إلى التوغل في أبعاد النفس، والدخول في أعمق أعماقها الباطنية، وإذا كان طول الرواية هو الذي يحدد قالبها، فإن قالب القصة القصيرة هو الذي يحدد طولها، فليس في القصة القصيرة أي مقياس للطول، إلا ذلك المقياس الذي تحتمه المادة نفسها، إن الفرق بين الرواية والقصة القصيرة كما يقول: " فرانك أو كونور ": أساسا ليس فارقا

في الطول، بل إنه فرق بين القصص الخالص والقصص التطبيقي"[١] لذلك فالقصة القصيرة تختلف عن الرواية ليست في الكم فقط، بل في الكيف أيضاً.

ويتفق النقاد على أن أي محاولة لتعريف " القصة القصيرة " تعريفاً جامعاً .. مانعاً محاولة صعبة .. ورغم صعوبتها، فإن نهاية أي تعريف نصيبه الفشل أكثر من التوفيق .. وفي رأيي – إن هذا لا ينكبق على القصة القصيرة فقط، بل على سائر فنون الإبداع الأدبي عامة.

" وحتى أن بعض النقاد يرون أن التعريف الجامع المانع هدف لم يتيسر بلوغه بعد، ويذهب آخرون إلى أن تعريف القصة القصيرة من شأنه أن يحبطها بقيود وحدود خليقة أن تسبها كثيراً من سحرها وروائها فالقصة القصيرة – كمن أدبي حديث وكمصطلح فني – لا يمكن أن تحدد أو تعرف بشكل نهائي، لأن التحديد أو التعريف غالباً ما يسقط ألواناً أخرى، كما أنه يتأثر بإختلاف وجهات النظر، ومن ثم فإن أي تعريف لا يأتي ملائماً كل القصص"[٢].

ويعلل بعض النقاد أن صعوبة تعريف القصة القصيرة يأتي من أن " الأشكال الأدبية كالقصة القصيرة مثلاً، هى أشكال تتطور دائماً، لأن الأدب نشاط إنساني يساير تطور الإنسان ويتماشي مع تجاربه وبحثه

[١] د. سيد حامد النساج : تطور فن القصة القصيرة في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٥

[٢] المرجع السابق ، ص ١٣

الدائب عن الأحسن والأفضل، ومن ثم فإن الأدب لا يخضع لحدود أو قوانين كالعلم، ذلك أن التقنين يضر به ويحد من إنطلاقته وحيويته[١].

---

[١] عبد الله خليفة ركيبي : القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ١٤٥.

(٦)

أدب المرأة السعودية القصصي

ظروفه .. ومؤثراته

هناك مجموعة من الظروف والمؤثرات أثرت في نشأة وتطور أدب المرأة السعودية القصصي، وإن نفس هذه الظروف مشابهة لظروف نشأة القصة وتطورها في أدب الرجل السعودي أيضاً .. وتلك الظروف مجتمعة يمكن أن نجعلها تحت تأثير الصحوة الإجتماعية .. فالنهضة الحقيقية كانت في بداية عهد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود " ففي الناحية الإجتماعية نري الحواجز تزول قليلاً بين سكان المدن والمناطق المتباعدة لتحل محلها، وحدة تجمعها العقيدة والتاريخ المشترك"[١].

والملك عبد العزيز هو أول من مهد لإرساء دعائم النهضة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية، فشملت كافة ميادين المجتمع التي لابد من العناية بها لنهضة أمة من الأمم، فعاش الأدباء في هذه الفترة — فترة التحول — يبحثون عن كيان جيد لأدبهم، وعلى أيديهم تقدمت النهضة الأدبية خطوات واسعة في ظل الظروف المحيطة بها .. وظهر الفن القصصي في تلك الفترة .. وكان ظهوره في تلك الفترة بالذات، يعد وجهاً من وجوه النهضة الأدبية، فالقصة هى أقدر الأشكال إستيعاباً للعوامل

---

[١] د. عائشة الحسيني : المرأة السعودية العاملة في التعليم العالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،١٩٨٧م، ص٩٧ ، ٩٨.

السياسية والإجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تطرأ على حياة الأمم .. كما أن إنتشار التعليم يعتبر عاملاً من أهم العوامل الهامة التي هيأت لظهور فن القصة السعودية ونموها .. " فالتعليم يدفع إلى الاكثار من الفئة القارئة المتلقبة بهذا الفن، وهذه الجمهرة بطبيعة الحال تتطلب المزيد من القصص، كما أنها تساعد على كشف ألوانه المرغوب فيها، وضروبة المرغوب عنها، ولقد سبقتنا أوروبا في هذا المضمار الذي عانينا منه طويلاً، نتيجة ظروفنا القاسية التي مر بها المجتمع خلال المراحل التاريخية"[١].

وبالنسبة لتعليم المرأة بالمملكة العربية السعودية فقد واجه في نشأته عدة صعوبات، تتعلق بالتقاليد، وظروف الدولة الإجتماعية، ومن ثم فقد تأخر تعليم البنات عن تعليم البنين المنظم الذي صاحب في مسيرته الدولة السعودية، وامتد هذا التأخر إلى ما يقرب من ثلاثين عاماً من قيام الدولة السعودية.

والجدير بالذكر أن تعليم البنات كان موجودا في تلك الفترة – التي سبقت تعليم البنات المنظم – فقد كان موجوداً عن طريق مدارس أهلية، وكتاتيب .. وكانت بعض تلك المدارس الأهلية ملتزمة بمنهج وزارة المعارف المقرر على البنين، والبعض الآخر من تلك المدارس الأهلية قد إجتهد أصحابها، وإبتدعوا مناهج خاصة رأوا أنها تناسب تعليم البنات.

---

[١] د. سيد حامد النساج : تطور فن القصة القصيرة في مصر (مرجع سبق ذكره) ، ص ٣٩ ، ٤٠

ولم يكن تأخر تعليم البنات لقلة في الموارد وضيق في الإمكانيات، بل كان السبب هو الإختلاف في الآراء حول تعليم البنات، والتفاوت الكبير في الآراء خاصة بين أفراد الأمة البارزين .. " فقد وجد في تلك الفترة أناس لا يؤمنون بتعليم الفتاة وينكرونه، بل قد يرونه مدعاة لسقوط المرأة وفسادها أو خروجها عن التقاليد، وآخرون اهتموا بتعليم بناتهم، فهيأوا لهن سبل الدراسة في الداخل والخارج، نتيجة للتغير الإقتصادي السريع، وما تبعه من نشأة طبقية متوسطة.

وظهرت دعوات في الصحف السعودية تنادي بمناقشة أهمية دور المرأة في المجتمع، كما ظهرت دعوات معارضة لذلك، واشتعل الحوار على صفحات الصحف السعودية وأثيرت مناقشات واستفسارات ووجهت أسئلة إلى العلماء والمثقفين، وتعددت الآراء والاتجاهات بين مؤيدين ومعارضين"[(١)] وهذه الآراء تلقي الأضواء على حقبة هامة في تاريخ البلاد — السعودية — الإجتماعي، كما توضح طبيعة الظروف التي أدت إلى نشأة تعليم الفتاة فيها، وتلك الظروف توضحها إلى حد ما طبيعة الموضوعات المطروحة في مقالات تلك الحقبة، كذلك امتلأت الصحف بشكاوي الرجال السعوديين المتعلمين الذين لهم مكانة اجتماعية مرموقة، اشتكوا من عدم وجود المرأة السعودية التي تتكافأ في تعليمها معهم، لعدم وجود تعليم منظم للمرأة السعودية.

---

(١) د. عائشة الحسيني : المرأة السعودية العاملة في التعليم العالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،١٩٨٧م، ص٩٧ ، ٩٨.

وفي عام (١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م) صدر مرسوم ملكي بإنشاء جهاز الرئاسة العامة لتعليم البنات .. بعد عشر سنوات من تاريخ إفتتاح أول مدرسة حكومية للبنات، ثم توالى إفتتاح كليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، مما بعث شريانا جديدا في الحياة الثقافية وتأخر تعليم الفتاة إلى هذا التاريخ جزء من ظاهرة لافتة للنظر تدل على شدة سيطرة الأعراف والتقاليد التي تحكم المجتمع، مما اضطر الدولة للتدخل مع تقديم الضمانات الكافية بالتحجب، وعدم الاختلاط، وتأمين كل ما يحقق ذلك[١] .

والحقيقة التي لم ينتبه لها الكثير من الباحثين أن هناك رباطا وثيقا يربط بين إزدهار القصة ومشاركة المرأة فيها، فمشاركة المرأة في مختلف جوانب الحياة في المجتمع .. وفي مختلف الميادين الإجتماعية والفكرية، هو إسهام فعلي لفن القصة.

" وعلى هذا سبقت أوروبا في فن القصة القصيرة، الذي مهد إليه التطور في مفاهيم الأوروبيين ونظرتهم إلى المرأة باعتبارها الجزء الحيوي الهام في التطور والحياة الإجتماعية وتقدمها في دفع عجلة الحياة، فإن من الدارسين من يرى أن المجتمع بغير المرأة لا يخرج القصة الفنية التي تدرس الحب وتقدس الزواج وتشرح العواطف ولا تقف أهمية الدور الذي تلعبه المرأة في تطور فن القصة القصيرة عند حد، بل هناك من يذهب أيضاً إلى أن القصة، أدب المرأة، ظهورها رهن برقي منزلة المرأة في المجتمع "[٢].

---

[١] سحمي الهاجري : (كتابه السابق ذكره) ، ص٣٠

[٢] د. سيد حامد النساج : (كتابه السابق ذكره) ، ص ٤ وما بها من مراجع.

كذلك لعبت الصحافة دورا كبيرا في ذيوع فن القصة وتعريف القراء على هذا الفن – الذي كان فنا جديدا – والصحافة تتشابه مع التعليم في تأثيرها على ذيوع القصة، فبينهما علاقة جدلية متبادلة، كذلك كان لإنتشار المكتبات وإصدار المجلات والملاحق الأدبية للصحف، وإنتشار الأندية الأدبية دور بارز وفعال ساهم في تنمية وإزدهار الفن القصصي.

لا جدال في أن القصة فن ينطلق من الذات ليعبر عنها، وبالطبع يعبر حينئذ عن الآخرين من أفراد الذي يعيش فيه القاص أو القاصة المبدعة، بحيث يرى الآخرون انفسهم في إبداع المبدع .. والذاتية في الفن هى المرحلة المبكرة من مراحل الإبداع، كأن يعبر المبدع عن مشاعره وخلجاته وإنطباعاته، فيكون الشعر – في المجال الأدبي – في هذه المرحلة أقرب وسيلة يعبر بها الفنان المبدع عنمكنونه ذاته وفكره .. لما يتميز به الشعر من ذاتية ورومانسية حالمة " في حين أن القصة تأتي في المرحلة العالقة من مراحل التكوين الفني للكاتب والأمة على حد سواء، وهذه المرحلة تتميز بغلبة الفكر والتعقل وضبط الشعور والتحكم في الوجدان والتعمق في تفسير سلوك الإنسان، وتوجيه هذا السلوك توجيهاً منضبطاً، هذا كله تتناسبه القصة وتكون الفن المعبر عنه بوضوح، وهذا يعني بطبيعة الحال أن الأمة في عصر الفطرة الفكرية يكون الشعر وسيلتها التعبيرية الأولى، بينما إذا إزدهرت حضارة هذه الأمة، ونمت معارفها، وإرتقت العلوم بها، والتزمت التفكير العلمي أساساً لتوجيه سلوكها فتأخذ عندئذ في اصطناع لون فني يستوعب التجارب الإنسانية وينظم العواطف

والأحاسيس، ويعبر عن الأزمات الشعورية والإنفعالية، ويتسع للفكر حتى يشمل شؤن الحياة جميعها واصفاً ومحللاً، ومفسراً[1].

وأمام طفرة التطور والتغيير الإجتماعي .. أرادت المرأة السعودية أن تعبر عن ذاتها، فكانت وسيلتها القصة القصيرة التي تضنمها مكنون نفسها وتصور فيها مختلف ميادين الحياة، وتصور أفراد مجتمعها الذين هم أدوات حية تستجيب في مرونة لدواعي التغيير والتطور حتى يمكنهم مسايرة ركب الحضارة وعجلة الارتقاء، يضاف إلى هذا طبيعة العصر، فالتقدم الحضاري في مختلف وسائل الحياة، جعل العصر عصر السرعة، وكما يقول الأستاذ توفيق الحكيم: " السرعة في كل زمان ومكان تنمي في الإنسان سرعة التلقي والإستيعاب، فيتخذ الفن تبعاً لذلك من القوالب ما يتفق مع روح العصر والحياة"[1].

فالقارئ أصبحت تكفيه اللمحة الخاطفة لإدراك الصورة، وفهم سريع يصور له لحظاته الشعورية، وتأملاته النفسية، فالمرأة السعودية في حاجة إلى كل هذا، فكانت القصة القصيرة أقدر على ذلك من أي فن آخر، يضاف إلى العوامل السابقة عامل الصحافة والنشر، فالقصة القصيرة اقترنت بالصحافة لإتفاقهما على إشباع نهم القارئ في وقت وجيز، من هنا تفاعلت الصحافة مع القصة القصيرة، وأسهمت في

---

(1) المرجع السابق : ص ٤٠ ، ٤١ "بتصرف الحذف".

(1) أنظر: مقدمة مجموعة "مدرسة المغفلين" لتوفيق الحكيم ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٣م، ص ٩٠.

تطورها، فضلاً عن إنتشار الطباعة مما شجع الكثير من الأدبيات السعوديات على كتابة القصة القصيرة ونشرها في الصحف، ثم جمعها في مجموعات قصصية.

"فليس هناك في الواقع لون من ألوان الإنتاج الأدبي يدين للصحافة إنتشاره ورواجه مثل القصة القصيرة، بل ليس هناك لون من ألوان الإنتاج الأدبي تقبل عليه الصحافة وتتهافت على نشره مثل القصة القصيرة"[١].

" والقصة بمعناها الواسع معروفة في المجتمع السعودي في مرحلة النشأة، ومنتشرة مثل قصص وقائع العرب وأيامهم وحكايات الأسمار، والسير والملاحم، والقصص الشعري والمقامات، وقصص شعبي يتسامر به الناس في البيوت والمقاهي"[٢].

وكانت هناك قراءات ليلية في البيوت لهذا القصص الشعبي، قصص لا يعرف مؤلفها، وهي لا تتحرى الدقة التاريخية، وإن كان لها نصيب تحفل بكثير من الأخطاء اللغوية والنحوية، ولكن هذا القصص لا يخلو من عنصر التشويق والإثارة في بعض الأحيان، وكان بعضها فيه من الفحش ما يدخله في باب الأدب الماجن، ولكن هذا الفحش لم يكن غرضاً من أغراض الكاتب، بقدر ما كان عنصراً من عناصر لا تكتمل القصة إلا بها في نظر المؤلف المجهول، كان هذا القصص ينتشر في البيوت وفي المقاهي على السواء، أما في البيوت فإن نساء العائلة يتحلقن مساء

---

[١] فاروق خورشيد : بين الأدب والصحافة ، دار اقرأ ، بيروت، ١٩٨٠ ، ص ١٠٦.

[٢] سحمي الهاجري : كتابه السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

حول غلام من أفراد العائلة يحسن القراءة، فيقرأ لهن من هذا القصص، قصة "عجيب وغريب" أو "سيف بن ذي يزن"، أو "أبو زيد الهلالي"[٣].

ورافقت القصة القصيرة المرأة السعودية في إنطلاقها من قوقعة الظلام إلى رحاب الضوء والعلم، وإنطلقت المرأة السعودية نحو نهضتها الحضارية، بالتزام في سائر سلوكها، ترافق الرجل في زمالة مشوار الحياة، فالتطورات الإجتماعية التي شهدتها المملكة العربية السعودية فتحت الطريق أمام المرأة لتثبت كيانها وتحطم قيماً إجتماعية بائدة حرمتها من أبسط حقوقها وهو التعليم .. ويرى ماثيو آرنولد أنه " لا يمكن أن يتم خلق العمل الفني العظيم إلا إذا توفر عاملان: الطاقة الإبداعية الكامنة في الفنان، والطاقة الثقافية الكامنة في العصر ولابد للطاقتين أن تلتقيا لينتج عن التقائهما عمل عظيم" [١].

فالمرأة السعودية كانت في نفسها طاقة إبداعية كامنة، شجعها على إخراجها وإستثمارها النهضة الفكرية في المملكة وتطور المجتمع .. ولما كانت القصة أقرب الفنون إلى نفسها، فإنها إتجهت نحو كتابتها .. لكننا نلاحظ في تلك الفترة أن مصطلح القصة القصيرة كان لم يتحدد بعد .. فقد تداخلت مصطلحات الفن القصصي، فاستخدم مصطلح القصة القصيرة كان لم يتحدد بعد .. فقد تداخلت مصطلحات الفن القصصي، فاستخدم مصطلح القصة القصيرة والقصة الطويلة والرواية وقد شاع أنهم

---

[٣] محمد علي مغربي : ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ، مؤسسة تهامة للنشر ، السعودية ، ١٩٨٢م ، ص ١٥٣.

[١] د. سمير سرحان : النقد الموضوعي ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، د،ت ، ص ٤٣.

جميعاً بمعنى واحد، وليس هذا في النتاج القصصي للمرأة السعودية فقط، بل للرجل أيضاً، كلاهما يصب في مجرى واحد وهو الإبداع.

ويرجع سبب الخلط بين المصطلحات القصصية أن المنطلق الذي قدم من هؤلاء الكتاب قصصهم ليس منطقياً فنياً، بل كان إصطلاحياً لإبراز فكرة التوجيه والتهذيب، فجاءت أغلب القصص غير غير متميزة الملامح من حيث الشكل الذي أثقله المضمون التعليمي، والأغراض الوعظية والتهذيبية، وكانت هذه الصفة هى الغالبة على الأدب العربي في مطلع العصور الحديثة، حيث كان الغرض الإرشادي هو الحجة الطبيعية لوجوده في معظم الأحيان[1]، كذلك من أسباب تداخل المصطلحات – في الفن القصصي الأولى، فبقى المفهوم غير محدد ومختلطاً بمفاهيم أخرى في تلك المرحلة.

ومن الملاحظ أن الكثيرين ممن يتناولون العلاقة بين التطور الإجتماعي، والتطور الفني لأدبنا المعاصر لا يتبعون إلا مضمون الأعمال الأدبية، كأنما هى لون من ألوان المقالات التي تتضمن معلومات وأفكار، ولا يلتفتون إلى تطور الشكل الذي أضفى عليها صفة الفن الأدبي" [2].

وكانت أسبق الفنون القصصية ظهوراً في أدب المرأة السعودية طروحات الرواية والقصة الطويلة، ولكن ما لبثت القصة القصيرة أنا احتلت ناصية الفن القصصي.

---

(1) د. شكري عياد : الأدب في عالم متغير ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٣٠.

(2) يوسف الشاروني : القصة والمجتمع (سبق الإشارة إليه) ، ص ١٣ ، ١٤.

(٧)

بين القصة الطويلة والقصة القصيرة في أبداع المرأة السعودية

من رائدات فن القصة القصيرة والرواية الأدبية " سميرة محمد خاشقجي " [١] التي بدأترحلتها مع كتابة القصة وهى ما تزال تلميذة لا يتعد عمرها خمسة عشر عام .. وظهرت قصتها " ودعت آمالي " عام ١٩٥٨م حتى عام ١٩٧٩م، نشرت الكتابة تسع مؤلفات .. ضمت مجموعتين هما: " وادي الدموع "، و " تمضي الأيام ".. وباقي مؤلفاتها قصص طويلة وروايات باستثناء كتابها " يقظة الفتاة العربية السعودية "، ونجد أن سميرة خاشقجي لم تخصص أو تتجه لفن قصصي واحد سواء كان هذا الفن قصة قصيرة أو قصة طويلة أو رواية .. كذلك الملاحظ على كتاباتها أنها كاتبة عاطفية ولا منتمية، تعيش أجواء روائية سينمائية، وهى تظن أنها تمارس أدباً واقعياً حياً، لأن الواقع في نظرها لا يزيد على العلاقات الشخصية والممارسات وأحيا الواقع، وأكتب الواقع وأنا أعيش القصص، فالخط الفاصل بينهما الروتينية التي تحكم يومها، وهى لهذا تتجرأ وتقول: " أنا أكتب القصص رفيع جداً ".. والكاتبة تحس وتدرك إبتعادها عن الواقع وإعراضها عن معطياته، وهى تحاول الدفاع عن نفسها دفاعاً محكوماً بالمباشرة، ومسوماً بالتكلف، فقد افتعلت قصة قصيرة، ونشرتها في مجموعتها "وادي الدموع" وأجرت فيها حواراً يمثل خلافاً حاداً

[١] من مواليد مكة المكرمة عام ١٩٤٠م، وذلك كما ذكر في دليل الكاتب السعودي الصادر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، الرياض ، ١٩٨٤م.

بينها وبين زوجها الذي يحاول إيقافها عن الكتابة، وفي سياق دفاعها عن ذلك الحق تقول: " وما العيب في كتابة القصص العاطفية ؟ أنا أدعو في قصصي إلى مبادئ ومثل وقيم أخلاقية، أعرض مشكلات المجتمع وحلولها، أسهم بنصيبي في بناء صرح وطني .. وهل حرم على المرأة أن تكتب" ولكن .. أي مجتمع هذا الذي عرضت مشكلاته وقدمت لها الحلول ؟[1].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن الكاتبة سميرة خاشقجي كتبت القصة القصيرة والطويلة والرواية، وهذا الرصيد القصصي يفوق في كمه ما نشر لبقية الكاتبات السعوديات .. ولا نبالغ إذا قلنا إن "سميرة" تنافس بهذا الكم أشهر الأديبات العربيات .. ولكن هذا الرصيد القصصي الهائل كان مضمونه بعيداً عن هموم المرأة السعودية وواقعها ومشاكلها التي تعيشها .. " فهى لم تعش حياتها وتنشأ معها، لا مكانياً ولا ثقافياً، فهى تعايشت خارج المملكة وخالطت أناس لا يعيشون واقع الأدب السعودي، ولا يهتمون بهمومه، وقد انعكست حياتها الخاصة على أدبها إنعكاساً شاملاً، حتى جاءت كتاباتها أميل إلى الترف منها إلى الإبداع، وهى في كل ما تطرح تحوم في دائرة الذات، لا تتخطاها إلا ببعض الهواجس الرومانتيكية، التي قد تتخللها نبرة تعليمية لا تمت إلى العمق بصلة "[2].

---

(١) نسيم الصمادي : (بحثه السابق ذكره) ، ص ٥١٩.

(٢) المرجع السابق.

وهـذا بـالطبع لا يقلـل مـن جهـود ومحـاولات " سميرة خاشـقجي " القصصـية، وحسـبها أن محـاولات لبنـة في صـرح أدب المـرأة السـعودية القصصي.

ومن بين الكاتبات اللائي حاولن طرح أفكارهن من خلال كتابة الرواية الكاتبة الطبيبة "أمل شطا " وهى لم تكتب سوى رواية واحدة هى " غدا أنسى " .. والواضح أنها توقفت عن الكتابة الآن .. والرواية وشت للقـارئ بموهبـة الكاتبـة ومـدى جـديتها في طـرح أفكارهـا، ولكـن ذلـك تم بشـئ مـن المبالغـة الفنيـة في التحليـل النفسـي لـدخائل الـنفس الإنسـانية وتحليل المواقف والظروف .. وكان الحوار أحد السمات الأساسية البارزة للرواية، فكان هو العامل الرئيسي في رسم الأحداث وتسيير الشخصيات، كـذلك نوعـت الكاتبـة أسـلوبها في السـرد، واسـتخدمت وسـائل فنيـة في السرد، مثل المنولوج الـداخلي، ولعـل مـا يؤخـذ علـى أن أسـلوبها لم يكـن مشوقاً، فالقارئ يشعر بالملل منذ الصفحات الأولى، ربما ذلك يرجع إلى إستطراد الكاتبـة وإدخالهـا تفاصـيل كثـيرة في ثنايـا الروايـة لا تخـدم سـياق الأحداث كذلك كثرة المصادفات وإفتعالها في كثير من مواقف وأحداث الرواية .. والمصادفة المفتعلة في رأيي هى أعدى أعداء الفن القصصي .. ورغـم ذلـك تبقـى الرواية عمـلاً يضـاف إلى صرح المحاولات الأولى، سـواء كانـت تلك المحاولات للكاتبة الطبيبة "أمل شطا" أو كان ذلك بالنسبة للقصـة السـعودية، فالروايـة بشـرت بمبدعـة قصصـية، سـيكون لهـا – إن استمرت في الكتابة – مكانة مرموقة في الفن القصصي، وكما كنا نتمنى

أن تنبع أفكار " أمل شطا " من الواقع بحيث لا تباعد بينها وبين التجارب القصصية الحديثة التي لا تنفصل عن الواقع.

وإذا إنتقلنا إلى كاتبة أخرى وهى " هدى الرشيد " نجد أن الفن القصصي الذي تبدعه المرأة السعودية يشهد تطوراً كبيراً على يدها، في الموضوع والأسلوب .. وإذا كانت الموضوعات تكرر ويعاد تناولها، فإن التعامل مع الموضوع التقليدي المكرر يحتاج إلى ذكاء وخبرة من المبدع .. و " هدى الرشيد " قد سبقت زميلاتها في إستشراف أرض الواقع – رغم موضوعها التقليدي – وسبقتهم أيضاً في جزئيات أخرى، كالصدق الفني الذي هو العمود الفقري للعمل القصصي، ونستطيع أن نقول: إن رواية – أو القصة الطويلة – "غداً يوم الخميس" هى قصة المرأة السعودية، لأنها كتبت من منظور المرأة، فالمرأة هى المؤلفة، والمرأة هى بطل الرواية الناضجة الفيلسوفة، والرجل – في هذه القصة –كان هو الفاشل .. الزائف، وتنهي الكاتبة روايتها بانسحاب بطلها، تقول " أجل سيدخر لي الغد يوما جديداً لأهتدي فيه عما أبحث، وحسب عاداتنا التي أحبها .. سوف يكون يوم الخميس ".

تُرى هل أتى يوم الخميس الذي انتظرته " هدى الرشيد " بنهاية روايتها المفتوحة ؟

لا شك أن روايتها الثانية "عبث" كانت أنضج وأكثر واقعية من روايتها الأولى، فنجحت "عبث" أن تشد القارئ، نتيجة لرسمها شخوص قصتها بدقة وأيضاً نتيجة، لأسلوبها النابض بحرارة الصدق والعمق.

أما " هند صالح باغفار "[١]. في "البراءة المفقودة" فكانت تجربتها إنسانية رومانسية جداً .. وجذور الرومانسية ترجع إلى شعور الغرب بالأوضاع التعسة التي تحيط به من جهل وفقر وخرافات ومعاناة، فيهرب الكاتب أو الكاتبة أو المبدع بصفة عامة إلى فكرة المجتمع المثالي، ويجعل عالم المثل عالمه الأوحد، ولكن ذلك لا يمنعه من التأرجح بين العالمين – عالم الواقع وعالم المثل – والرومانسية من سماتها الحزن والألم، فهى تقوم على الإيمان الشديد بالذات، وتقديس العاطفة.

" والرومانسة لا تريد أن تتحدث لا تريد أن تتحدث عن الإنسان بعامة، وإنما عن الفرد ذاته عاطفة وإحساسا، وتضفي على كل فرد لونه النفسي وخصائصه المميزة، وسماته المحلية، وهى أوضح في المظاهر الخارجية والعادات والتقاليد منها في حقائق النفس البشرية العميقة"[٢].

والقصص الرومانسية نوعان:

الأول: ما يمكن وصفه بالرومانسية الهادئة الحالمة التي تحلم بأشياء غير موجودة، وتزين عالم الواقع بنظرتها المتفائلة للمواقف والأحداث، وتحلم بالحب الروحاني، الذي لا أثر للجسد فيه، ومن هذا النوع كانت قصة " البراءة المفقودة " لهند باغفار.

---

[١] من مواليد عام ١٩٥٤م، من مؤلفاتها "البراءة المفقودة": قصة طويلة عام ١٣٩٢هـ، "نافذة على الحائط المهدوم": مقالات أدبية عام ١٣٩٨هـ، "جروح في جبين الحياة" قصة عام ١٣٩٨هـ، "الهداية" قصة ١٣٩٩هـ، "العطاء الأكبر" قصة ١٣٩٩هـ، "الرحلة الأخيرة" قصة ١٤٠٠هـ.

[٢] د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص٤٧.

والنوع الثاني: رومانسية عنيفة حادة أو مادية، والحب فيها حب مادي وكلا النوعين يصدر عن رؤية ضيقة تنقصها الشمولية والعمق فالإنسان ليس روحاً فقط، أو جسداً فقط، كذلك ليست جميع الأحداث والمواقف التي يمر بها الإنسان مواقف هادئة، حالمة، ففيها العنف والقوة، والحقد والحب، فالواقع يجمع بين المتناقضات.

" والقصص التي تنزع منزع الرومانسية،وإن كانت تتحدث عن مشاكل انسانية، إلا أنها ليست من الشمول والعمق بحيث تكون هى المحرك والدافع لتصرفات الإنسان في الحياة، إلا من زاوية ضيقة جداً، فحياة الإنسان أكثر تعقيداً وأوسع أفقاً، إذ ليست مشكلة الانسان الوحيدة هى البحث عن الحب أو الجري وراء المرأة، فحب المرأة جزء من حياته ولكنه ليس كل شئ في الحياة "[١].

ونجد أن المعالجة الفنية في قصة " البراءة المفقوده "كانت معالجة فجة ومباشرة، وقد تسرعت الكاتبة في تعاملها الفني مع أفكارها .. فقد اختارت البيئة المصرية مسرحاً لأحداث قصتها، مما جعل قصتها تعد من القصص اللامنتمية للبيئة السعودية، وعلى كل فإن القصة كانت محاولة طموحة لكاتبة سعودية موهوبة، أرادت أن تعبر عن ذاتها من خلال فن صعب .. وهو فن القصة .. ويمكن أن من أهم نقاط ضعف أدب الرائدات الأوائل في فن القصة السعودية:

---

[١] عبد الله خليفة ركيبي : (كتابه السابق ذكره) ، ص ١٧٦.

- سيادة روح الوعظ والتوجيه التربوي والطرح المباشر التقريري، الانشائي، أو الميلودرامي الفج، فجاءت حبكة القصص متفككة، منسابة بلا ضوابط.

- غياب الحركة النقدية الجادة المتابعة .

- الاعتماد على التقليدية في السرد والخواطر الشخصية، كذلك البناء الفني لا يفرق بين الحدوته والقصة القصيرة والقصة الطويلة.

- افتقار الكثير من الأعمال القصصية إلى الرواية الإنسانية التقدمية المشحونة بحرارة الانفعال وصدق المعاناة.

- افتقار الأعمال القصصية إلى مقومات تكنيكية عديدة، وذلك بحكم تجارب كاتباتها المحدودة.

وإذا كنا قد أشرنا إلى السلبيات في قصص الرائدات فالأمانة تقتضي أن نشير إلى ايجابيات هذه المرحلة المتمثلة في:

- الرغبة الأصيلة لدى الكاتبات في الاصلاح الاجتماعي.

- المناداة بالقيم الإنسانية والأخلاقية العامة والخاصة.

ولا شك أن سلبيات المرحلة — الريادة — استفادت منها الأديبات القاصات اللائي أتين بعد جيل الرائدات، وحاولن تجنب تلك السلبيات، فالقاصات الشابات قد قفزن بالقصة السعودية قفزة حقيقية باتجاه طموح نحو كتابة القصة النموذج، وساعدهم على ذلك النماء الحضاري والثقافي، ولا ينبغي — من وجهة نظرنا — فصل الريادة عن المعاصرة.

(٨)
اتجاهات القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية

لست أعني بهذا العنوان أن أضع أدب القصة القصيرة النسائي في مواجهة أدب الرجل في هذا الفن .. بمعنى التفرقة بين كلا الأدبين، فالقصة ليست في الابداع قضية رجل وامرأة، كما أنها ليست قصة قصيرة نسائية وأخرى رجالية، وإنما القضية قضية فن أدبي جيد وآخر غير جيد.

إني أقصد من وراء " اتجاهات القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية " أن للمرأة السعودية في ابداعها القصصي طابعاً خاصاً، ونكهة متميزة تعكس فكر ومعاناة، وبكل تأكيد .. " إن المعاناة الأنوثية لموضوعات، الأدب والفن تختلف بالضرورة عن معاناة الرجل عندما يتصدى لنفس الموضوعات، هذا فضلاً عن المعاني الحميمة للمرأة اللصيقة بتكونيها الأنثوي، التي لا يستطيع التعبير عنها سوى المرأة .. وإن عبر الرجل فمن تجريد الخيال الخيال، وليس من واقع المعاناة، فمن الحقائق التي أثبتها علم النفس أن التوازن " الفسيولوجي " في المرأة أشد تعقدا وأدق تركيبا وأكثر تغييرا والإختلال " السيكولوجي " لدى المرأة أعسر تحقيقا من التوازن " السيكولوجي " لدى الرجل، ما دمنا نسلم بالإرتباط الوثيق بين النفسي والجسمي، وتبادل الأثر بين الاثنين .. بهذا المعنى تختلف الأديبة عن الأديب والشاعرة عن الشاعر، بل ويختلف العطاء الأدبي بين الأديبات أنفسهن باختلاف الصدق في التعبير "[١].

إذن نجد أن هناك ميولا واهتمامات واتجاهات خاصة، شغلت اهتمام المرأة السعودية، بدليل وضوحها في فن القصة القصيرة.

---

[١] جلال الشرقاوي : ثقافة بلا دموع ، دار المعارف "اقرأ" ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١٣١.

اولاً: الاتجاه الوجداني التحليلي

في هذا النوع من القصص، تركز فيه القاصة على النفس البشرية وما يدور في دواخلها من صراعات ومتناقضات، القاصة تكشف للمتلقي عن مواقف الصراع وتعري أسبابه .. ولما كان هم القاصة الأول تحليل مكنون النفس البشرية وتجسيد أحاسيسها ومعاناتها، فإن إنعكاس البيئة الاجتماعية والمجال الزمني لا تهتم به المؤلفة كثيراً، لأنه لا يضيف إلى مضمون عملها اضافة جديدة.

وهذا الاتجاه – الوجداني التحليلي – يعني بشعور الفرد ومعاناته، دون تصوير شعور الجماعة ومعاناتها، " ولا شك أن تصوير الذات وتحليل مشاعر الفرد يمسان في الواقع ذات الانسان ومشاعره من حيث هو إنسان وتلك غاية يصبو إليها الفن الأصيل في كل زمان ومكان "[١]. وتعد من رائدات هذا الاتجاه، ومن رائدات القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية، " نجاة خياط " فقد أخلصت لهذا الفن، رغم أنه لم يظهر لها سوى مجموعة قصصية واحدة هى " مخاض الصمت"[٢] وكانت لغتها في قصص مجموعتها، لغة تعبيرية وجدانية شفافة تعلو بها عن الضخب أو الجمود، وكانت تعبيراتها وجملها هادئة، رغم أنها كانت تعالج مشاكل إنسانية تنزف بدموية مزعجة، فالكاتبة عاشت وتعايشت مع همومها

[١] د. شفيع السيد : اتجاهات الرواية المصرية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٦٧.

[٢] صدرت عن: مكتبة الفكر ، جدة ، عام ١٩٩٦م.

كامرأة في مجتمعها، لكنها عبرت عن تلك الهموم في حين أن غيرها من القاصات عجزن عن التعبير والبوح .. ورغم أن تعبيرها كان هادئاً متميزاً بالكثافة والشاعرية، فإن القارئ ما إن ينتهي من قراءة قصة من قصص المجموعة حتى يشعر أن تلك القصة التي قرأها صرخة، تصرخ بها أنثى واعية، مفكرة، تقول في قصتها " لو كنت ولدا " .. " أول شعور بالكراهية انغرس في نفسي هو نحو أنوثتي " .. وتقول بلسان الأنثى الحكيمة: "كلما وجدت علاقة وجدت الأسباب التي تمد هذه العلاقة بالحياة" .. فالكاتبة تتكئ على مشاكل المرأة السعودية – في تلك الفترة – وتنفذ من هذه المشاكل وتحللها وتشرح الأحاسيس والمشاعر التي تفيض بالأسى والتي تنجم عن ظروف معينة داخل إطار الأسرة .. تقول في قصتها " قلب الشاعر ": " .. لم تعد ترى شيئاً غير ماضيها .. أمها وجلال الموت على جبينها .. أخاها وصراخ الجائع .. اليح تعوي وذبالة القنديل المرتعشة .. الطفلة المزعورة والعويل الممزق .. الأب المصدور .. والبحر الغدار .. والعم البشيخ، وحياته الشاقة .. وشبكة الواهنة، وآلامه العميقة .. الريالات الفضية والثوب البنفسجي والشبشب القصبي، والحلم المزهر .. وابراهيم وشفتيه الساخرتين .. وحلمه المرهق .. آمالها المصروعة تحت قدميه .. ".

وهذا المثال الذي اخترناه من قصة " قلب الشاعر " يسري على جميع قصص " نجاة خياط " فهى تعتمد في سردها على التلقائية،

وتوظيف التداعيات النفسية، تقول في قصة " المستحيل ": " تأخذني أفكاري منك ومن عينيك .. وأتوه بين الفراشات الملونة، وضجيجها الصاخب، وتمر أمامي فراشة تحمل ثروة أبيها في معصمها .. هذا السور "

ورغم جودة " نجاة الخياط " في هذا الاتجاه – الوجداني – ومجموعتها القصصية " مخاض الصمت " أحد العلامات مضيئة في تاريخ القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية، إلا أنها توقفت عن الكتابة منذ صدور مجموعتها المشار إليها.

وكاتبة أخرى هي " لطيفة السالم " في مجموعتها " الزحف الأبيض "[1] نجدها تولي اللحظة النفسية عناية بالغة، الاعترافات الوجدانية في كثير من قصصها تصعد الحدث وتنميه، وهناك عنصر مشترك يجمع بين قصصها، ألا وهو التوتر الدائم والمعاناة .. والمجموعة تشئ لنا أنه رغم المتغيرات الحضارية ورغم قيمة المرأة في الحياة الاجتماعية ودورها الهام كأم وزوجة وابنه وحبيبه، إلا أنها مازالت تعيش واقعاً مشحوناً بالقلق والتوتر يصاحبها في مراحل حياتها المختلفة، وقد صورت لنا فكر الرجل والمرأة تجاه مشاكل اجتماعية محلية عالجتها الكاتبة، لكنها تحيزت للمرأة وأنصفتها، فالمجموعة " الزحف الأبيض " تضم ثلاث عشرة قصة قصيرة جميعها تعالج مشاكل المرأة وتدلف إلى عالمها الخاص .. باستثناء قصة واحدة في المجموعة وهى قصة " الميت الذي ضاع " ونجد بطلات قصصها

[1] صدرت عن (نادي القصة السعودي) ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، الرياض ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

يعيشون لحظات الذروة من الخوف والاضطرابات والقلق بسبب معانتهن، ففي قصة " الزحف الأبيض " نجد البطلة قبل زواجها تخاف من الزواج والتزاماته، تقول: "كانت تعتقد أن الزواج في معادلة بسيطة وواضحة يعني الانتقال من حياة منطلقة سعيدة إلى حياة لا يفارقها فيه احساس ثقيل بالالتزام " .. وتقول أيضاً "كيف تخاف من شئ غير واقع .. وقد يكون مجرد وهم .. وببطء مرتجف .. مدت يدها إليّ .. حيث الخوف مجسماً .. وببطء .. حاولت أن تتأكد .. لكنها سحبتها سريعاً .. إنها تخشى الحقيقة .. تخشى المواجهة .. إن مستقبلها كله يكاد ينهار فوق رأسها .. في هذه اللحظة .. كلا .. إنها ليست .. يجب أن تتخلص من هذه الأوهام المزعجة، إن هذا ليس إلا ..".

هكذا نرى مدى تركيز الكاتبة على اللحظة وتكثيفها .. والسؤال الذي يطرحه القارئ لقصة " الزحف الأبيض " ما الذي يجعل بطلة القصة تخاف إلى هذا الحد – الذي صورته الكاتبة – من شعيرات بيضاء تسللت إلى مفرق شعرها؟ نعم أنها تخاف من الرجل الذي وصفته في قصة " الزمن الأسطورة " بأنه لا يهمه أحد، ولا يهتم بأحد، ولا يرى أبعد من ذاته، وأن المرأة (البطلة) تعيش معه وهى تشعر من أعماقها بالغربة.

والملاحظ أن الكاتبة تلجأ إلى استخدام " المنولوج الداخلي " في السرد .. أي حوار الشخصية مع ذاتها .. وهذا نتيجة لواقع الاهتراء والتمزق والألم الذي تعيشه الشخصية .. كما في قصة " الحوار الأخرس "

تقول: " اقطعي صلتك به .. اتركيه .. اخرسي كلام الناس .. لا تتركي الفرصة لأحد ليشمت بك ..

وأكرهك .. وازداد كرهاً لكل من يذكرك بسوء .. بكل من ينصحني بالبعد عنك .. أرفض آراءهم .. لا أريد التعريض بك .. بأي شكل .. وأبتعد عنهم، عن الناس .. كل الناس .. لأبقى معك ..".

وتقول في القصة نفسها " انهمرت دموعي .. وسابقت الغصص الحري الكلمات في حلقي .. حكيت لك .. بكيت .. شكيت .. تمنيتك كالعادة .. تمنيت أن أجد خلاصي عندك .. انتظرت ردك على شفاء نفسي وعذاباتها، جاء ردك:- لابد للناس أن يتكلموا يا "مها " لأننا نفعل الشئ الذي يرفضونه ..".

ورغم أن أبطال قصص " الزحف الأبيض " يعيشون في دوامة من التوتر والاضطراب إلا أنهم أبطال وشخوص يتصفون بالمثالية في تصرفاتهم .. ففي قصة " عرض على المسرح الآخر " جاء في وصف شخصية الأم أن تصرفاتها في أي يوم من الأيام تصرفات حذرة .. واجفة .. محسوبة.

" وقد تحس المثالية في القصة إذا كانت ثورة على قيم زائفة، وأوضاع خاطئة .. وصراعاً بين عواطف سامية وأخرى وضيعة، أما إذا كانت استسلاماً مطلقاً لمشاعر بينة الإنحراف..فهي عيب لا شك فيه"[1].

---

[1] د. عبد القادر القط : في الأدب المصري المعاصر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٣٧.

والمثالية أحياناً في رسم الشخصية القصصية، تجعلها القاصة تتسم بالسلبية .. فالمرأة البطلة في قصص " لطيفة السالم " تعطي الرجل كل مبرر للتصرف المنفرد، فهى تبرر أخطاءه، ولا تحاول إشراكه في همومها .. ففي قصة " الحوار الأخرس " تقول: " يجب أن تعلمي أن المرأة تختلف عن الرجل .. احذري ".

وتقول البطلة لزوجها في قصة " اغتيال الفرح ": افعل ما تراه مناسباً .. اقرار لك .. انت الرجل .. وأنا سأقبل " وهى بذلك تفشل في مواجهة الرجل باعتراف ضمني بضعفها .. وتقول أيضاً: " حاولت .. حاولت، ولكن هل يستطيع العصفور منازلة الصقر؟، هل تقف السنبلة في مواجهة الرياح؟ .. " وإذا كانت شخصية المرأة هى المهيمنة على المجموعة ككل، فإن ذلك جاء على حساب شخصية الرجل، التي أهملت الكاتبة رسمها وتجسيدها فقد تناولتها بسطحية ومع ذلك فإن المرأة تظهر في القصص بصورة الضعيفة، المسكينة، الضحية، المستسلمة لنصيبها وقدرها.

والوجدانية في قصص المجموعة وظفت لاستبطان أغوار الشخصيات، وحركتها الكاتبة بين يديها، وكان تحريكها وفحصها لها أشبه بطبيب يفحص، مع الاختلاف .. فأغوار الشخصية هى المريض الذي في حاجة إلى تحليل وعلاج.

كذلك نرى " فاطمة عبد الله الدوسري " في قصصها تولي اللحظة النفسية جل عنايتها، فجميع قصصها[١] تنبع من موقف نفسي وتتبع الكاتبة هذا الموقف وتطوره، ففي قصتها " نهاية أو .. بداية "[٢] نجد أن بطلة القصة تلاحظ تغيراً مفاجئاً طرأ على زوجها، تقول: " لم تكن تعلم ما الذي يشغل بال زوجها .. منذ عدة ليال تراه قلقاً .. يتململ في نومه .. وفي الصباح يصحو وحالته النفسية أسوأ ما تكون، يجلس معها شارداً ساهماً في شئ ما .. لا تعرفه .. يحدثها وهى تحس أنه يفكر في ذلك الشئ .. حاولت التعرف .. ولكنه يتهرب ". واستخدمت الكاتبة " المنولوج الداخلي "terMonologue in في إستبطان أغوار شخصية الزوج، تقول: " يا إلهي .. إنني أبحث عن وسيلة تخفف من وقع الخبر عليها .. ومع ذلك كل شئ أفعله يزيدها حيرة وتكثر تساؤلاتها من حولي .. غيرت لها أثاث المنزل .. اشتريت لها حليا جديدا .. لم تكن سعيدة .. ذهلت لكثرة الهدايا .. تأملت لعدم صراحتي من الأسباب .. وزاد عذابها .. القناع المزيف الذي أرتديه اخفاء لما وراءه .. مسكينة كم أرثي لها .. ".

وتتصعد اللحظة النفسية .. فالزوجة لا تنجب، والزوج يريد أطفالاً .. لكنه يحب زوجته، واللحظة النفسية التي يعانيها، هى كيفية إخبار

---

[١] قصص " فاطمة عبد الله الدوسري " التي أشير إليها قد تفضلت بارسالها إليّ، مصورة .. وقد أشارت إلى الصحيفة أو المجلة التي نشرت فيها دون ذكر تاريخ .. والبعض الآخر من القصص قد اطلعت عليه منشوراً في مجلات سعودية.

[٢] نسخة مصورة أشارت الكاتبة أنها نشرتها في جريدة " الجزيرة " السعودية.

زوجته أنه يريد أن يتزوج من أخرى تنجب له .. وفي الوقت نفسه يبقي زوجته الأولى، ويصارح الزوج زوجته، ولا تجد حلاً أمامها إلا الموافقة .. وتنهي الكاتبة القصة بتلك الفقرة الرمزية التحليلية .. " .. وقبل أن تنهض ألقت نظرة أخيرة على الجبل، رأت عصفوراً يرحل إلى تلك المروج الخضراء يبني لها عشاً بين الأزهار تاركاً خلفه عصفورة مكسورة الجناح، لا تستطيع اللحاق به .. راعها ذلك المشهد، وسقطت من عينيها دمعتان .."كذلك نرى بطل قصة " حبات الرمل " [١] ضائعاً،بائساً، لأن حبيبته تزوجت من غيره، وهو في الغربة ".. الشعور بالمرارة يطغي على كل شئ حلو .. يخرج من البيت بدون هدف، يتخبط في دوامة من الآهات والأفكار .. ويصل به الإحباط إلى حد اللاشعور .. ينتهي وجود العالم في عينيه وتظلله سحابة الحزن .. يسير بلا هدف حتى يصل إلى تلك التلة بين التلال ويرويها هذه المرة بدموع الحسرة والألم .. لم يعد الساعات .. كأنه الزمن توقف ..".

وتركيز " فاطمة الدوسري " على تصوير خلجات النفس البشرية جعلها تستخدم جملاً قصيرة مكثفة، مسددة بوعي إلى الهدف، ففي مطلع قصة الظلام " انزواء " [٢] تقول " .. الفرحة تخنق قبل مولدها .. والفجر يلفه الظلام قبل البزوغ .. العالم يغترب وينهار تحت وطأة النزوات .. الحب ينبض في القلوب والدموع تفيض بلا مآق .. الحب مارد مجنون

---

[١] المجلة العربية ، السعودية ، ع (١١٤) – رجب ١٤٠٧هـ .. مارس ١٩٨٧م ، ص ١١٤.

[٢] قصة مصورة أشارت الكاتبة أنها نشرت في جريدة " الجزيرة " السعودية ، ع (٥٠٢٣).

يغرس الحيرة في النفوس .." .. والصراع في قصص " فاطمة الدوسري " صراع مميز، بتناولها له في لحظة التوهج .. ونهايات قصصها دائماً مفتوحة .. وكأن القصة قضية مطروحة، لم يحكم فيها ولم تحسم بعد .. والحقيقة أن النماذج كثيرة التي تبرهن بصدق على وجود وتطور الاتجاه الوجداني التحليلي في إبداع المرأة السعودية القصصي .. ولكننا اكتفينا بنماذج فقط تمثل هذا الاتجاه.

يبقى أن نقول: – إن السمة الرئيسية للقصة القصيرة الوجدانية التحليلية هى تناولها للفرد في إطار ذاته وأزماته فقط، والعزف على النغم العاطفي المتوهج، ورسم أدق خلجات النفس والكشف عن أغوارها والنفاذ إلى صميم وجدان الأشياء.

ثانيا: الاتجاه الواقعي

الواقعية إصلاح فني يبلور أبعاد عالم إبداعي ظهر على شكل هياكل فنية في مجالات الأدب والفن، وقد كان ذلك بادئ ذي بدء في مجال الفن التشكيلي، حيث بدأ الفن على العموم من خلال هذا المنطق يحدد سمات الطبيعة، ويرصد معالمها الدقيقة، وأدق جزئياتها بغية إعادة تشكيلها من جديد، وقد تكون الواقعية بهذا المفهوم بعيدة عن تلمس روح الجمال أو تزيين الواقع ذاته لمصلحة الجمال بمفهومه المطلق .. بيد أن ذلك شهد تغيراً وتطوراً رهيبين في مجال التطبيق والدراسة الإبداعية بهذا الصدد [١].

فالأدب الواقعي، هو ذلك الأدب الذي يعبر تعبيراً صادقاً وعميقاً عن الروح الإنسانية التي هى منطلق تعبيري في مجال الأدب بغية الوصول إلى الجمال، ذلك الجمال الكوني العام الذي يبلور قيمة الواقع، وقيمة العلاقة التي تربط الإنسان بذاته من جهة وبواقعه من جهة أخرى، وقد أشار أحد الباحثين إلى فكرة التحقق من الجمال بمعناه الشمولي ضمن مسار البحث الكوني الذي يجب أن يحققه أدب الواقعية الجديدة بقوله .. " لابد أن يزود الإنسان من الجمال بالبهجة والمتعة، ولكن هذه المتعة ينبغي ألا تكون متعة ذاتية تضعف إرادته، وإنما متعة تعلم الناس أن يحبوا الجمال، وأن يناضلوا من أجله، وأن يزيدوا ما هو جميل على الأرض،

---

[١] د. نصر عباس : الواقعية الجديدة وانعكاسها على الأدب العربي ، ملف الثقافة والفنون ، الرياض ، ع (٥) يناير ١٩٨٣ ، ص ٥٨.

وهذا هو البرنامج العريض للفن المعاصر الذي يستطيع وحده أن يثري الفن، ويكفل احترام الإنسان "[1].

ويتميز الاتجاه الواقعي عن الاتجاه الوجداني التحليلي بارتباطه بالواقع الاجتماعي بشكل عميق وأوسع من الاتجاه الوجداني، ويعالج المشكلات والآزمات ليس على مستوى طبقة واحدة أو على مستوى الفرد فقط، فالشخصية في الاتجاه الواقعي لا تمثل فرداً واحداً يعيش أزمته الخاصة وهمومه الذاتية، بل الفرد أشبه بالنموذج الإجتماعي الذي يحمل خصائص وسمات طبقة اجتماعية بعينها.

" فالواقعية إذن هى اتجاه نحو الواقع .. والقصة الفنية هى التي تنقل هذا الواقع في صدق، فتعكسه في أسلوب مقنع مبرر، وهى بهذا لا تنقله نقلاً مباشراً ولا تسجله آليا، وإنما تصوره تصويراً يوحي بإمكان وقوعه، وبتعبير آخر تعيد هذا الواقع في صورة جديدة تعكس لنا إحساس الفنان بهذا الواقع، وأثره في أعماق النفس الإنسانية، وليس معنى الواقعية أن تتجرد من الخيال، وإنما معناها أن الخيال مرتبط بالتجربة وبالواقع، أما الخيال الذي يبتعد عن الحس والواقع ويعتمد على معادلات ذهنية، فهو مجرد صور وتشبيهات واستعارات تنعدم فيها الأصالة والإبداع، والإيحاء بالفكرة، ومن ثمة فهو لا يصبغ الواقع بأي جمال" [2].

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦١.

(٢) عبد الله ركيبي : كتابه السابق ذكره ، ص ٩٥.

وقد عاشت الواقعية باعتبارها إتجاها أدبيا في المملكة العربية السعودية، تطورا متتابعا كتطورها على المستوى العربي والعالمي، فجاءت نتاجات معظم — إن لم يكن كل — أدباء المملكة العربية السعودية، منحصرة ضمن أطر الواقعية النقدية والتجريبية، وقد شهدت الأعمال الأدبية بصفة عامة تطورا ملحوظا وجديرا بالتسجيل والمواكبة والمتابعة النقدية الجادة، نتيجة للتطور المتتابع والسريع اللذين يشهدهما واقع الحياة ذاته، أخذت نظرة القاصة السعودية ذاتها تتبلور عن روح هذا العصر وقدرة القصاصة على إستيعابه، فجاء تجسيدها في معيارين، أو لنقل مسارين أحدهما: هضم الواقع المعايش بكل لهائه وصخبه وتطور الحياة فيه وثانيهما: محاولة التطلع إلى إجتياز للحظة الآتية، بغية تجسيد الأمل المنشود، وحمل الطموح المتفائل من ثنايا الإنسان من أجل التجاوز لتلك اللحظة حتى يتحقق الأفضل والأمثل دوما، ومن خلال التعامل مع الجانبين بدا أن — الأديبة القصاصة — دائمة التأزم والتوتر والصخب[١] فجاءت نماذج كثيرة من مؤلفاتها في مجال القصة القصيرة أقرب إلى التعامل الحذر، وبهذا الحذر، تنوعت أشكال قصتها القصيرة .. ووجدت مضامين جديدة تعبر عن قيم إنسانية جديدة لم تكن في القصة من قبل .. هذه المضامين تصف علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض، فينشأ الصراع بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، فينشأ الصراع بين الأفراد والواقع.

---

[١] د. نصر عباس : مقال سبق الاشارة إليه "بتصرف" ، ص ٦١.

وبعبارة أخرى .. الإتجاه نحو الواقعية ظهر من خلاله الإحتفال بالسمات الفنية للقصة القصرية شكلا ومضمونا.

ومن الكتابات اللائي يمثلن هذا الاتجاه في الاتجاه في قصصهن " شريفة الشملان " ففي قصتها " أحمر الشفاة "[1] بطلتها فتاة تستعد لتزف إلى رجل لا تعرفه، تقول: " يمسك بذراعي جلادي الجديد، لقد وقع له والذي عقد ملكيتي، وقعه وأوصاه خيرا بي .. " وترسم الفرحة وهى كارهة هذا الزوج من قبل أن تعرفه .. فهى تلقبه بالجلاد .. والوحش البشع، ومن أول موقف تجد نفسها تواجه انسانية هذا الزوج .. تقول: " ومشيت معه نذبح كعكة العرس .. ثم مشيت الهويني معه لمذبح انسانيتي .. عندما قبلتني على جبيني، أحسست أنني .. وأنه .. حاول أن يكلمني، لم أجبه كان صوتي قد اختفى وتظاهرت بالنوم ثم نمت، وأنا بكامل ملابسي .. وعندما صحوت .. وجدت نفسي كما أنا بينما الجلاد كان يرقد على الكنبة بالصالة الملحقة بالغرفة .. " وتسافر معه الزوجة إلى " روما " حيث يدرس هناك، وبعد ستة أشهر قضيتها وهى تلعب دور الخادمة المطيعة أما جسدها فبقى لم يمس، تأخر عن موعد عودته ذات ليلة، فقلقتعليه قلقا لم تتصوره، وأصبح الصباح ولم يعد .. وجاء وقت عودته في اليوم الثاني ولم يعد وظلت تعاني صراعا وتأنيبا بين مثاليته وجحودها، بين رجولته وثوب الوحش الذي ألبسته له، وعاد

[1] المجلة العربية ، ع (٨٢) ، ذو القعدة ١٤٠٥هـ . أغسطس ١٩٨٤ ، ص ١١٤.

متأخرا في الليلة الثانية لغيابه، فارتمت في أحضانه وبكت فأخرج منديله به أحمر الشفاة كان حيلة من صنعه، وهذا " الأحمر" خاص بها هى.

والقصة تأتي واقعيتها من نقطة انطلاق الحدث الذي تناولته القاصة وطورته وتتبعت مشاعر البطلة، لاسيما أن القصة رويت بضمير الأنثى المتكلم، مما أكسب القصة صدقا فنيا .. كذلك قصة " منيرة صدقي "[1] التيتروي قصة صداقة حميمة بريئة، تنشأ طفلة في المدرسة الابتدائيةتسمى " هيا " وبين تلميذة أخرى تدعى " منيرة " وكانت عائلة منيرة ميسورة الحال، وبمرور الأيام توثقت الصلة بين " منيرة " و " هيا " .. تقول الكاتبة على لسان " هيا " .. " .. بعد أن أنهينا دراستنا المتوسطة سجلت منيرة لتدريس الثانوية، أما أنا فسجل لي والدي عقد زواج لابن عمي .. ابن هذا لم أكن أبدا أحبه ولكن رغم صغر سني آنذاك كنت واقعية جدا .. لإإنني إن لم أتزوج ابن عمي حتما سيزوجونني لغيره .. ووجه تعرف خير من وجه تنكره .. لكنني أحببت ابن عمي .. ووجدته خير رفيق لحياتي ..".

وتشاء الأقدار أن يموت والد " منيرة " .. وتكشف " هيلة " أو "هيا" — بالمصادفة — أن " منيرة " ليست ابنة لوالدها المتوفي، إنما هو قد عطف عليها ورباها، وتشاء الأقدار أيضا أن نفرق بين الصديقين .. ف" هيلة " تزوجت و " منيرة " لا أحد يعرف عنها شيئا والتقيت " هيلة " بصديقتها " منيرة " مصادفة في لجنة امتحان .. وتحدثنا .. قالت منيرة:

---

[1] المجلة العربية ، ع (٧٦) ، جمادي الأولى ١٤٠٤هـ .. فبراير ١٩٨٤م، ص ١١٣.

".. ايه ي " هيلة " أظنك ماتدرين، ليش سافرنا .. ليش تركناكم بدون حتى مع السلامة، يا " هيلة " أبوي طلع ما هو أبوي .. لا ما طلع .. أنا أدري من يوم ما كنا – بالخبر – عيروني البنات .. قلت لابوي قال: كذب ما يستحون على أنفسهم .. وخلال أسبوع نقل شغله للدمام ونقلنا معه .. وبدأت أنسى كلام البنات بل اقتنعت أنه كذب .. إلى أن توفى رحمه الله .. جاء الأعمام (قصدي اخوانه) وما خلو شيئا .. ذهبت مع أمي إلى " الرياض " اشترت بميراثها القليل بيتا صغيرا، وبدأت تخيط وأساعدها بفراغي، إلى أن أكملت الثانوي والجامعة .. الحين أعمل بالجامعة .. زوجي أستاذ فيها .. نسيت لم أقل لك أن زوجي ابن خالي، " يعني ولد أخو اللي ربتني " .. وتنتهي القصة بأن تمتزج ضحكات الصديقتين.

نجد أن طريقة المعالجة في القصة، طريقة بسيطة تعتمد على السهولة والبساطة في العرض .. فجاءت تلقائية، دون إطناب أو خطابية، فشخصية " منيرة " شخصية واقعية انسانية .. كذلك عرض القاصة لمشاعر " هيلة " وتحليل هذه المشاعر وشوق " هيلة " ل " منيرة " فيه بساطة تلائم مشاعر الصداقة والحب التي تربط بين الصديقتين، كذلك جاء الحوار في القصة مشحونا بالصدق الانفعالي، الواقعي .. وأيضا سرد الأحداث بضمير المتكلم وافق الأحداث والانفعالات، وجاءت تلك القصة الواقعية لتخاطب المشاعر وتتجه إلى الوجدان مباشرة في عفوية وتلقائية .. ويبدو أن القاصة تمتلك رؤية اجتماعية إنسانية محددة، انبعثت

من أعماق تربيتها وواقعها المعاش، ولعل هذه الرؤية بكل أبعادها، بلورت العلاقة الوطيدة بين القاصة تمتلك رؤية اجتماعية إنسانية محددة، انبعثت من أعماق تربيتها وواقعها المعاش، ولعل هذه الرؤية بكل أبعادها، بلورت العلاقة الوطيدة بين القاصة بحسها الشعري، والفني، وبين شخوصها الذين اختارتهم من وحي تجارب ذاتية، عاشتها أو عايشتها القاصة مع الآخرين، وقد جسدت هذه الرؤية الدقيقة لكثير من دقائق النفس البشرية، وسلوك الإنسان وارتباطه بواقعه، جسدت نوعا محددا لعالم العلاقات بين الإنسان وذاته من ناحية، وبينه وبين واقعه ومن حوله من ناحية أخرى[1].

ونجد " شريفة الشملان " في الكثير من قصصها تجدد في الشكل الفني للقصة القصيرة، ففي قصتها " مقاطع لا مرأة جديدة "[2] والتي هى أجود من سابقتها بتطبيق المعايير الفنية للقصة القصيرة .. فاقصة مقسمة إلى مقاطع .. وكل مقطع مكثف تكثيفا يخدم الحدث ويعمل على تطوره .. تقول الكاتبة في المقطع الأخير الذي أحسبه يحمل فكرة القصة: " .. أنظر لوجهي .. وجهي جديد .. صدري نبضاته مستقرة .. امرأة جديدة أنا .. قالت أمي:- يجب أن يطلق بأسرع ما يمكن .. أبي يردد:- الحرامي لعنه الله .. نصبت أختي نفسها متحدثة باسمي .. لم أجب أحدا منهم كنت مشغولة عنهم وعنك .. تطلق أم لا .. أمر لا يعنيني .. كما لم

---

(1) فاطمة الزهراء عبد الغفار : الرؤية والأداة في قصص " شريفة الشملان " ، ملف الثقافة والفنون ، ع (٤) ، سبق الإشارة إليه ، ص ١٠٤.

(2) المجلة العربية ، ع (١٠٧) – ذو الحجة ١٤٠٦هـ . سبتمبر ١٩٨٦م ، ص ١١٨.

تعنيني أنت .. يكفيني أن بحري عاد لونه .. والعشب أراه أخضر .. ملابسي لا تضغط على قلبي .. والأهم خطواتي، واسعة، واسعة ".

إن " شريفة الشملان "كاتبة ذات رؤية واعية، وهذه الرؤية مدركة لكوامن النفس البشرية، فهى تشعر بوطأة الواقع على من حولها، وتعبر بصدق عن هذا الواقع في قصصها، ودائما تترك لأبطالها وبطلاتها حرية الحركة والإرادة " غير أن هناك حقيقة مهمة ينبغي أن تذكر في الحال، وهى أنه ليس المهم في الفن ما يقال، وإنما المهم هو كيف يقال في اطار تقاليد قالب فني معين، وفي سياق مجموعة من العلاقات الفنية – التصويرية اللغوية – التي يخلقها الكاتب، ومعنى هذا أن أية مشكلة اجتماعية أو أخلاقية – مهما كان من أهميتها في ذاتها – تفقد قيمتها في داخل العمل الفني إذا لم تعالج علاجا فنيا جيدا[١].

ونجد " شريفة الشملان " تنوع من الطرق الفنية في معالجة أفكارها في قصصها، فمرة تستخدم أسلوب السرد العادي المباشر وأخرى تستخدم الترجمة الذاتية والمنولوج الداخلي ولعل هذه الطرق على تباينها وتنوعها واختلافها في طريقة التصوير والتعبير عن كوامن النفس البشرية قد جاءت نتيجة لتلك الدراسات التي ظهرت، وتطورت في مجال العلوم الإنسانية على تباينها، بيد أن القارئ المتعمق لفن" شريفة الشملان " القصصي سيدرك الطرق التي تبتعد فيها القاصة عن طرق التعبير المباشر أو الخطابية، وتقترب إلى حد بعيد من عوالم النفس البشرية الباطنية [٢]

---

[١] د. محمود الربيعي : قراءة الرواية ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٢٨.

[٢] فاطمة الزهراء ، مقال سبق الاشارة اليه ، ص ١٠٤.

حتى ترسم بقلمها خيوط الإتصال بين فنها وبين القارئ لهذا الفن، ومن هنا " فلكل عمل قصصي طبيعة خاصة، تتماشى وتساير الفكرة من ناحية، وطبيعة الحدث والشخصيات القصصية، فإن " شريفة الشملان " أجادت تلمس السلوك الفردي ودوافعه في لحظة شعورية واحدة[1] مهما تعددت طرق المعالجة الفنية لديها.

وأسلوب " الشملان " بطول ممارسة كتابة القصة يزداد رونقا وكثافة وتركيزا وتشويقا .. ففي قصة " زينب " [2] نجد جملها بسيطة .. مركزة .. مشوقة، من أول فقرة في القصة تقول: " لم تجمع أغراضها .. تركت كل شئ كما هو .. صحا زوجها في الثانية ظهرا، وجد كل شئ كما البارحة .. غرفته .. منفضة .. سجائره المليئة، فنجان قهوته .. حذائه وشرابه، والبيت يعوم في سكون غريب .. زينب لا أحد يدري أين هى؟ ويبحثون عن " زينب " في كل مكان لا يجدونها، جواز سفرها موجود .. النفوس موجودة، سألوا عنها الأصدقاء .. الجيران .. الخدم .. السائق .. المربية، لكنهم لم يجدونها .. تركت زوجها وأطفالها .. إلى أين ذهبت؟ "

وبعد كل هذا التشويق تختم الكاتبة قصتها بهذه النهاية " .. الطباخ في المستودع يبحث في الثلاجة الكبيرة .. زينب في الثلاجة .. زينب قطع ثلج .. من أغلق الثلاجة على زينب .. تلك قضية أخرى .." ونلاحظ أن القصة اكتسبت جودتها من عنصري التشويق الجيد والتكيف.

---

(١) المرجع السابق : ص ١٠٥.

(٢) المجلة العربية ، ع (١٠١) – جمادي الثانية ١٤٠٦هـ . مارس ١٩٨٦م ، ص ٤٥.

وكاتبة أخرى هى " حصة التويجري " قصصها تتسم بالواقعية .. لكننا نجد " حصة " توقفت عن الكتابة أو كادت، ولم يعد من أصدقائها في ذهن القارئ غير الذكرى والإعجاب .. ففي قصتها " وطال شعري من جديد "[1] تطالعنا بأسلوب متميز وبمقدرة فريدة في إدارة دفة الحوار والتركيز على الجو النفسي.

والقصة صرخة إحتجاج تطلقها امرأة شقية وهى لهذا نقص شعرها إحتجاجا مع التعمق المدرك لقيمة القرار وتأثيره في حالة كهذه يقضي بقلب الموقف، بأن يحاول الزوج جز الشعر في حين يمثل موقفها المقابل حالة رفض مبدئية لجز الشعر الذي ترمز به الكاتبة للشخصية وقيمتها وحتمية المحافظة على كينونتها[2] والبطلة تجز شعرها بنفسها، ثم تعلن انسحابها، لا لكي تبحث عن السعادة، ولكن لتهرب من الشقاء، وتنهي الكاتبة القصة على لسان بطلتها " .. فقد عزمت في الماضي في تحطيم أغلال حياتي الصغيرة .. فالحياة أقصر من أن نقضيها في شقاء " .. ونجد " فوزية البكر " في قصتها " حياة من ورق " [3] تطرح عملية تحول شاملة لا تفصل بين الخاص والعام، وتقدم نفسها فتقول: " أنا المرأة القادمة من ديار الحرارة اللاهبة والصقيع الحاد الذي يثني العظام .. يغفو الليل باكرا فوق حدود قريتي الصغيرة .. أنا المرأة التي لا تملك اتساع عالمها غير أن

---

[1] كتاب القصة: " نماذج مختارة من القصص السعودية "، باشراف لجنة القصة بنادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٨هـ : ص ٥٧ ، ٦٠.

[2] نسيم الصمادي :(مرجع سابق) ، ص ٥٢٣.

[3] أذرع الواحات المشمسة ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، الرياض ، ١٣٩٩هـ.

تقف في الخفاء على أصابع قدميها لتنظر إلى العالم من خلال فتحات النافذة الصغيرة ".

وتذيب " البكر " الغربة في المدينة بفعل عوامل طبيعية، واجتماعية قاسية .. لكن هل تستمر الغربة في البعد عن القرية والنزوح إلى المدينة .. أم أن القرية تمثل الاصالة، وبالتالي العودة إليها عودة إلى الجذور .. تقول: " فالعودة محتومة .. ها هو الحقل من جديد، والشوك حقا قبل الثمار بدمي ".. وقصص البكر هى مرافئ مشمسة صورت فيها لواعجها وهواجسها بروح خلاقة قلقة على مستقبلية الواقع .. " فلم تتأطر أفكارها داخل هموم الدائرة النسائية ككثير من زميلاتها، بل اقتحمت حاجز الجنس الآخر، وحاورت الرجل في أغلب سلبياته، وأضاءت عليه بشدة، فالتقت مع كاتبات أخريات في هذا المنفذ بالذات "[(١)] فالكثير من قصصها لقطات حية وعرض حيادي للحدث، فيتيسر للقارئ الفرصة للإندهاش والتعجب " إلا أنها حين تحس أن التلميح والإيماء والعرض المحايد للحالة محطات لا تكفي لميلاد صدى أو رؤية متابعة مع الآخرين، تلجأ إلى المباشرة في طرح فكرتها، لكنها مباشرة، مصاغة بصورة تتجلى فيها قسمات الجمال التعبيري "[(٢)].

وقصص " فوزية البكر " تتمحور حول " الدعوة إلى تجنب السقوط " والسقوط توظفه الكاتبة كمفهوم عصري حديث للإنسان، المنهزم،

---

(١) المجلة العربية ، الملمح الحضاري في قصص فوزية البكر ، ع (٩٠) رجب ١٤٠ هـ .. ابريل ١٩٨٥م ، ص ١٨، ١٩

(٢) المرجع السابق.

المنكسر، ففي قصة " السقوط " تكرر لفظة السقوط كثيرا .. وهذا التكرار إن دل على شئ فإنما يدل على قلق الكاتبة على ضياع المعاني الإنسانية النبيلة، وتتمنى أن تعيش واقعا حضاريا يقي الإنسان من الفراغ الفكري الذي يؤدي إلى السقوط الإنساني. " وعلى صعيد التكنيك القصصي الحديث ألمح في قصص – البكر – ورقتين ناجحتين: أولهما: تلك المستهلات الجميلة في السطور الأولى لكل قصة .. فهى تدخل القارئ لعالمها الآتي من خلال بدايات عقوبة واضحة غير مراوغة .. " ليلة عرس أخرى .. تكبر عبر مسبحة العمر .. " أو قولها " ما الذي يبقي؟ قالها في ضجر وهو ينقض عقب سيجارته الأربعين .. الوحدة تلو الأخرى "

وثانيهما: الصورة المدهشة، في تعبيراتها، حيث توظف لها الإدراك الإستعاري الحاد، مثل قولها " لكنه ظل يبكي من الداخل كحيوان جريح فقد أحد أعضائه " .. أو " أصابعه لزجة كثمار تسلل إليها الفساد "[1].

والعالم القصصي الخاص ب" فوزية البكر " هو عالم مثالي نموذجي، تسعى لايجاده بين الرجل والمرأة، فبطلاتها دائما نساء عاقلات .. متفهمات .. ورجال حكماء .. تقول في قصتها " السقوط " .. الولادات المشوهة للنساء ترن بفراغ في قاعة العرس.

والقاصة تنشد الرجل في قصصها مثالا للأصالة والنضج اللذين يواكبا التطور الحضاري، فرؤاها رؤى تجديدية تلوح لمفاهيم الأصالة

---

[1] جريدة " الرياض "– السعودية – ع (٥٩٢٧).

والحداثة والإنتماء .. وعبّر قلمها عن ذلك .. تقول " آه أشعر أني أود أن ألملـم قـريتي مـن أطرافهـا الأربـع .. أود لـو قبلتهـا طـويلا .. طـويلا .. لـو أشعرتها بدفئها الذي كستني اياه ".

ونلمس في قصـص " جـوهرة عبـد الله المزيـد " الواقعيـة الإجتماعيـة فمـثلا قصـتها " الـدوار "[1] تمثـل الصـراع بـين الحـق والباطـل، بـين النفـاق والصـدق، فبطـل القصـة يثـور علـى المـدير لأنـه يكلفـه ويكلـف المـوظفين بعمل يعارض مصلحة الجماعة ويخدم مصلحته وحده، ونتيجة لاعتراض هـذا الموظـف " بطـل القصـة " علـى تلـك الأعمـال غـير المشـروعة، يفصـله المدير من وظيفته .. و" جوهرة المزيد " باستمرار تواصلها المبدع مع فـن القصة القصيرة قد طورت أدواتها الفنية وطرق معالجة موضوعاته، فقصة " حين يتوه الأطفال "[2] اتسمت واقعيتها بالغموض، وليس أدل على ذلك من تعبيراتها " .. اتركني ولا تسلني إلى أين؟ فأنا لا أعرف المكـان .." .." لقـد أتعبتـني يـا رفيقـي رائحـة القـبر المنبـوش،إنها نتنـة، تعـج في سمعـي .. في رأسي .. في أنفي " .. " دعني أطهره بيدي لا بصلواتي، لا تخشـن شيئا، فيكفيك أنك الوحيد الذي مس القبر، وأقنعني فعلا بأنه نتن وخلق عندي الإرادة لممارسة العطاء معه ".. " ركضت لألحق بذلك القبر، والقبر بيرق يلوح في طفلة تعيش في الكهوف وبين الوحوش ".

---

[1] المجلة العربية ، ع (٩٠) ، سبق الإشارة إليه.

[2] مجلة الحرس الوطني ،ع ربيع أول ١٤٠٥ هـ .. ديسمبر ١٩٨٤م.

وفي قصتها "كل التماثيل تتحطم " [1] نلمس إدراك الكاتبة الجيد لصياغة الواقع في أسلوب فني .. ففي هذه القصة طرح ايجابي يشف عن رؤية مستقبلية لعالمها المتطرف ف " جوهرة المزيد " تتطلع إلى النظرة الشمولية لمعالجة الموضوعات، ونجدها كذلك تنحو برموزها مناحٍ عديدة، غير الإجتماعية والعاطفية .. وهى دائما تسعى إلى إستخدام أسلوب التداعي، والغموض الذي يكتنف لغتها لا يطرح مجردا من الرموز، فعلى امتداد امتداد الشريحة القصصية التي تختارها، تكمن القرائن الفنية التي تؤدي بالرؤية إلى الوضوح، وهناك دائما ما يشير إلى ادراك الكاتبة للواقع .. وإنها تقوم بصياغته بجرأة، عبر تكنيك ذكي، يدع للغة مهمة هتك الاسرار الخفية، ويبقي على شئ من الايحاء عبر اللقطات المتداخلة، لكن الكاتبة تخرج من السياق الواحد لتدخل في مسارب جديدة، قد تبدو منفصلة عن القصة، ومنثورة كالخواطر هنا وهناك [2].

إن ما وقفنا أمامه بالتعليق من قصص قصار تمثل الاتجاه الواقعي في القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية، ما هى إلا نماذج وشواهد فقط .. ولسنا بصدد حصر كل ما كتب ممثلا هذا الاتجاه.

يبقى أن نذكر أن الأداء اللغوي في قصص هذا الاتجاه الواقعي سواء كان في السرد أو في الحوار، ظهر في ثوب قشيب من اللغة العربية الفصحى باستثناء بعض الكلمات والجمل الحوارية التي تخللتها اللهجة

---

(1) مجلة الحرس الوطني ، ع محرم ١٤٠٦هـ .. أكتوبر ١٩٨٥م.

(2) جريدة " الجزيرة " ، السعودية ، ع (٢٩٥٥).

العامية السعودية، وقد أدى الحوار وظيفته الفنية في الأحداث أو الكشف عن أعماق الشخصية القصصية، وهذه الاستثناءات الحوارية – التي ظهرت بصورة قليلة – كانت ضرورية لأنها نتاج للبيئة والشخصية القصصية ومعبرة عن أفكارها ومزاجها النفسي، ومن ثم اكتسبت صيغ الحوار عمقا في الإيحاء وحساسية وثراء الدلالة.

ثالثا: الاتجاه التعبيري

التعبيرية أسلوب فني ظهر أولا في فن الرسم والموسيقى بألمانيا في أثناء الربع الأول من هذا القرن، وما لبث أن انتقل إلى الأدب المسرحي، واشتهر به الكاتب السويدي " سترندبرج "، ثم تأثرت به سائر الفنون الأدبية الأخرى، وأخص ما يتميز به هذا الأسلوب .. " أنه ثورة جذرية على الواقعية، فبدلا من تمثيل العالم تمثيلا موضوعيا، على نحو ما يدعو إليه المذهب الواقعي، يقوم المؤلف بالتعبير عن تجربته الباطنية بتمثيل العالم، كما يبدو لعقله أو عقل إحدى شخصياته التى تكون عاطفية، أو مضطربة، أو شاذة، فالكاتب هنا لا يلتزم بالعلاقات الطبيعية التي يقرها منطق الواقع بين الأشياء، ولا يعني كثيرا بالمجالين: الزماني والمكاني للأحداث، على نحو ما يعني بهما الكاتب الواقعي الذي يستحيل قلمه في كثير من الأحيان آلة تصوير دقيقة تلتقط أصغر المشاهد وأدق التفصيلات "[1].

فالكاتبة تتناول قضية أو فكرة يوحي بها الواقع وتستمد عناصرها منه، أما إطارها الفني فيبتعد عن الإطار الواقعي، الذي يصف الوقائع والأحداث بصورة مباشرة أو يسرف في إيراد التفصيلات والجزيئات، ويتهم بتطوير الشخصية ونموها.

ففي مجموعة "حلم [2] لرقية حمود الشيب، نجدها تستوحي شخصيات تراثية وإسلامية في قصصها، وعبر الإسقاط التاريخي الذكي

---

(١) نسيم الصمادي : مرجع سبق ذكره ، ص ٥٢٤.

(٢) د. شفيع السيد : كتابه السابق ذكره ، ص ٢٤٠.

توظف التراث لخدمة أفكارها – المعاصرة – إن عالم " حلم " هو عالم التوتر والتمرد معا، في آن واحد .. فنجد الألم يغلف جميع قصصها ونجده يحتل كلمات " الإهداء " فنطالع كلمات تنضج بالمرارة مثل: " زمن الوجع الدائم .. إليها في ثكلها .. الثكلى .. الزهرة التي ذوت وهى في ميعة الشباب وتيه الصبا " إلى آخر هذه الكلمات .. والتي تؤكد شيئا واحدا، هو أن التوتر الذي تحياه هذه الكاتبة إنما هو " حالة " توتر عام، يخرج من أعماقها إلى أعماق المجتمع والدلالات في قصصها تشير إلى أن الخلاص لابد أن يوجد في التمرد على الحاضر الذي تعيشه بما فيه من سلبية وانهزامية .. ذلك بالتواصل مع القيم النبيلة في الحياة والعمل على احياء هذه القيم.

فقصة " فجوة " تؤكد من خلال كلب كيف تهون القيم على الإنسان الذي يجيد الحديث عن الحب والسلام وعن تاريخه المجيد، وعدا ذلك، يكمن في داخله الغدر والخيانة .. أما في قصة " حلم " التي تأخذ منها المجموعة عنوانها، فإنها تصور الواقع المر من خلال رجل قبيح الخلقة، لكنه طيب القلب، يحلم بأحلام لا تتناسب مع واقعه، فهو يمارس أوهام البطولات الخالية، فيتقمص شخصية " عنترة " حتى اذا ما أفاق من أحلامه، فإنه يعود ثانية إلى مستنقعات آسنة من العذاب، ويكتشف أنه مازال يعاني من مرض الجدري، وأيام ثقال لا تريد أن تمضي أبداً، فلا يجد أمامه غير أن يعود إلى العربة القديمة التي يدفعها ممارساً عمله الذي يرتزق منه مع رفيقته " المكنسة " في الطريق العام .. وفي قصة " اليمامة وغدر الزمان والمكان " نرى صوراً متتابعة رائعة لما تشعر به اليمامة في هذا

العصر، الذي نجد فيه الغدر والخيانة في كل مكان، ونجحت القاصة في المزج بين دلالة الأسطورة " زرقاءاليمامة " وبين دلالة الواقع القاسي.

وفي قصتها "تسكنيني يا أسماء " المنشورة في المجموعة نفسها، تستوحي الكاتبة " أسماء بنت أبي بكر الصديق "كنموذج لشخصية إسلامية معطاءة فاق عطاء الرجال، عبرت عنه القاصة من خلال الإسقاط التاريخي .. فالكاتبة عقدت مقارنة بين " أسماء بنت الصديق " بعطائها وإيجابيتها والمرأة العصرية بأنانيتها وسلبيتها .. تقول في القصة: " .. من ظلام دامس وأنهار دم منصوبة، أمام عينيك تصرخين به .. إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، أنفاسك تتردى عبر المسافات يصبح الدمع دماً .. الليل بهيم .. البعد كقبضة شمشون .. القلب رهين .. الصبح لا يظهر والكلام أجوف .. لا شئ سوى الانتظار .."

وتقول أيضا: " أسماء تسكنيني وأساطير الدهر تدور برحى عقلي المسكون بك ".

ونلاحظ أن " رقية الشبيب " في قصصها تبالغ في إستخدام وتوظيف الرموز التاريخية إلى حد الإفراط، فلا تقتصر على شخصية " أسماء " و " شهرزاد " و " عبلة " و " زنوبيا "، بل تطرح إلى جانب المرأة الإسكندر بجيوشه والسندباد بمغامرته وارخ في غموضه، ونجدها تقبل على اللغة الشاعرية والصور المتداخلة والجمل الإيحائية .. ففي قصتها " دوائر عريضة " نجدها مغرمة بالتساؤلات المتلاحقة .. تقول: " تتأكل الأفراح .. عملية تشبع بالألم .. هل تخطئ المقادير أم تخطئ الظروف ؟ نحملها

النتائج ونحن ننظر ببلاغة، تدق الدفوف .. تضاء الشموع .. تصلب الدموع .. محاجر يسكنها الشوق، وتقطنها الحيرة .. كيف نعمل لتلاشي الحنين لبقعة ما .. للحظة .. لهمسة وكيف ..؟ نحن لا نزرع الشوك في طرقاتنا ؟ نحن لا ننشر العتمة في دروبنا ؟ إذن من يملك البسالة ؟ ".

ونجد القاصة تتحول في قصصها من الذاتية المفرطة إلى الوطنية الحماسية، ومن الجانب العربي بهمومه ومشاكله .. داعية العرب إلى الصحوة .. ففي قصة " ليالي شهرازاد " تقول: " يا قدس .. فيك منذ ابتلعت الأرض بشرة صلاح الدين .. ابن الوليد كلنا يعرف أمنيته ".. وتقول أيضاً: " يا لبنان .. يا أم الأبجديات .. تراتيل القدس في كنائسك تتعالى لتعانق آذان مساجدك .. أين الحب يا بلد الحب ؟ ".

ونجد " رقية الشبيب " في مجموعتها الثانية " الحزن الرمادي "[1] تتمسك بنفس خطتها في مجموعتها الأولى " حلم " ولم تطور طريقتها في المعالجة الفنية، ولم تطور نموذجها التاريخي، فلو طورته لأمكنها الإرتقاء بإبداعها كلية، لكن يبدو أنها استهلت الصنعة الدرامية، وقاموسها الخاص فمثلا تقول قصة " الدائرة " .. " قلت لك يجب أن نطرح القضايا على بساط البحث " نجد أن التركيبة تركيبة جامدة لا تناسب قصة قصيرة .. وتأمل قولها " كان أول بند أن نطرح جانباً الحرب بيننا " .. والسؤال الآن: هل الحرب الباردة تعبير يناسب السياق ؟ وتقول في القصة نفسها " أصررت على نقبل أي حل بروح رياضية ؟ " " .. للقارئ أن يتأمل هذه

---

[1] نادي القصة السعودي ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، الرياض ، ١٩٨٧م.

الروح الرياضية " ويتخيل وجودها في قصة قصيرة ! وفي قصة " ظل " تقول " .. قذائف حب أنت أرسلتها ولا تنظر رد إبليس يعظك كل يوم .. لكن ما يؤلمك هو أنياب الأيام لكن لا تستدر قط ".

إن " رقية الشيب " لها في بعض أقاصيصها قاموسية ممجوجة، وكان الأولى والأجدر أن تطور نموذجها الذي طالعتنا به في "حلم " لكنها لم تفعل !.

ورغم قاموسية اللغة في قصتي " جوار " و " استئناف " — من مجموعتها الثانية— إلا أن البناء القصصي فيهما يتميز عن باقي قصص المجموعة .. ففي قصتها " استئناف " تركز على باطن الشخصية وتصوير الذات الإنسانية، ورصد دقائق معالمها الذاتية، ويبدو " تيار الوعي " ملائماً للفكرة تماماً، ومن كان تفاعل القارئ مع القصة تفاعلاً سهلاً .. تقول الكاتبة وهى تبسط ملامح شخصيتها القصصية وتبين أزمتها " .. يستوي في هذه الساحة الرحبة أن يصدر الحكم المطلق بالإعدام ..أو أن يتربص بي الحكم إلى وقت آخر .. اصطف القضاة ثلاثة والجرس رابعهم، أو لعلهم أربعة والجرس خامسهم، أو ربما بدا في الوسط .. باغتتني ضحكة قوية ترددت لها ردهات القاعة، وجحظت لها عيون قضاتي .. ثم غشتني نوبة بكاء هائلة ونشيج قوي برقت له قلوبهم " .. وتقول في وضع آخر: " تملكتني رغبة ملحة في أقفز وأنا مكبلة في قفصي، وأعانق قضاتي، كانت رائحة الأول تشبه رائحة أبي، أما الأوسط فبدت لي ياقة قميصة قذرة، وقلت لعله تشاكس في ليلته مع امرأته وكافأته بمظهره هذا .. أما الثالث فعندما أقبلت عليه كانت تأخذه سنة من النوم .. " وتستمر قصة

" استئناف " في سخريتها الممزوجة بالرمز، وتنهي القاصة القصة بهذه الفقرة التي تمحورت فيها القصة " .. وقبل أن أهم بالفرار داهمتني سنة نعاس قوية وأسندت رأسي للقفص من الخارج، وتكومت على نفسي، وحلقت حالمة .. وكنت أطير وكان المكان مستطيلاً .. وأنا لا أطراف لي سوى أجنحة مقصوصة .. قلت: "كيف أحلق وأنا مقصوصة الجناح ..؟ " وإلى الآن لم أفق .. وقضاتي يسبحون في عالم آخر .. وسقطت ورقة التقويم، وانتهى العام .. ولم يتم الإستئناف بعد ..

التوقيع: متهمة

نستطيع أن نقول إن اللغة التشكيلية لدى رقية تفاعلت مع مدلولات تيار الوعي.

ومن كاتبات هذا الاتجاه – التعبيري – أيضاً " قماشة عبد الله السيف " فقصصها تدور حول محورين:

(١) أزمة الانسان المعاصر في اغترابه، وضياعه وكفاحه المستميت للبحث عن الخلاص واليقين.

(٢) المرأة في محاولاتها الجادة للبحث عن مكانة اجتماعية أفضل[١].

المحور الأول نجده في قصص " الهروب إلى الداخل " [٢]، " ما قبل الغروب "[٣]، "من حوليات شبه الجزيرة"[٤].

---

[١] أمل الصباغ : محوران في قصص " قماشة السيف " ، ملف الثقافة والفنون ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، ع(٤) ، رجب ١٤٠٢هـ .. مايو ١٩٨٢م ، ص ٩٥.

[٢] مجلة "اليمامة" ، السعودية ، ع(٦٠٩) ، ٢٨ شعبان ١٤٠٠هـ.

[٣] مجلة "اليمامة" ، السعودية ، ع(٩٩٢) ، ٢٠ محرم ١٤٠٧هـ.

[٤] مجلة "اليمامة" ، السعودية ،ع(٩٣٥) ، ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٧هـ.

المحور الثاني نجده في قصص " القاع والخروج منه " [١] والدائرة "[٢].

والقاصة تعتمد في أغلب قصصها على عنصر المفارق (NTRASTCO) .. لأن مفهوم الانسان سواء في عالم الواقع يظل نسبياً، ولا سبيل إلى معرفته إلا بالمقارنة والمقايسة[٣].

وقد حرصت " قماشة السيف " في قصصها على إبراز ما يسمى بأدب الضياع أو الغربة، ففي قصتها " المدينة وأتون الإغتراب " تكشف عن فهم البطل للحياة – أو ادعاء هذا – وهو ابن المدينة، ويتضح هذا من حواره مع فتى قروي ..

" يبدو أنك لست حديث السن جداً، ولست فارغاً من كل شئ كما يتبادر إلى ذهن من يراك من بعيد! كم تثير فضولي، فهل لي أن أسألك: ما هو ماضيك ؟

– أعرف ولكن بعض ما مضى يكون له امتداد محرك لما يحدث حالياً ..

اذن ليكن المشتقبل فبأي منظار تنظر إليه ؟

– المستقبل بيد الله .. كل شئ بيد الله .. لكن ماذا أتراك تلغي ما فات وما هو آت ؟ فما عدتك للحياة ؟

– ليس هذا قصدت .. حسناً ماذا أعددت للموت؟

– وماذا عساي أن أعد له إلا رفشاً يحفر لي نفقاً في الأرض ..

---

[١] مجلة "اليمامة" ، السعودية ، ع(٦١٩) ، ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٥هـ.

[٢] ملف الثقافة والفنون ، ع(٤) ، سبق الاشارة إليه ، ص ٦١.

[٣] أمل الصباغ : مقالها السابق ذكره ، ٩٥.

لكن: لماذا تختار الكاتبة المدينة مسرحاً للكثير من قصصها ؟ لأن في المدينة يقف البطل في مواجهة أكثر من قوة، ويعجز – أحياناً كثيرة – عن تمييز الحق عن الباطل، والزيف والحقيقة، فيشعر البطل أن بينه وبين أفراد المدينة مسافات كبيرة، يحاول أن يجتازها فلا يستطيع، فيشعر بموت العلاقات الإنسانية .. يقول بطل القصة: " .. وجدي كظليم أضنته المطاردة، وأزعجته قناص غشوم، إذ لا أنيس غير الأشجار العادية ..".

وفي قصة " الهروب إلى الداخل " يكون خلاص البطل من غربته الروحية بالإيمان، فانسان هذه القصة يشكو مكر الإنسان وغدره .. تقول القاصة على لسان بطل قصتها: " .. الجدران أربعة والزنزانة عفنة منيعة لا تخترقها إلا عيون المتلعلعين، وهو واحد مأسور الجسد والقلب .. استمات حتى مد يده مرفوعة، لكنه أعادها منكسرة حتى أستوت متوازية مع جيبه ..". ويشعر القارئ أن بطل القصة مثقل بالرغبات، سجين للقلق والاضطراب.

أما قصة " القاع والخروج منه " فتتمحور فكرتها حول محاولات المرأة البحث لها عن مكانتة اجتماعية أفضل، فتصطدم بزيف العادات والتقاليد .. تقول في القصة: " .. اضطجعت واضعة يدها على قلبها فيما الجارية تسحب خطوها مغمغمة: .. الأنثي الثالثة .. لم يأت ذكر واحد .. ويلي .. كيف أوجهه بالخبر .. " فالكاتبة ترى أن عملية الخروج من القاع عملية تحول شهدت ومازالت تشهد صراعاً سوسيولوجياً حاداً بين الجيلين: السالف والآتي، وهذا يمثل بعداً حضارياً هاماً .. تقول

القاصة: " ليذهب بصري ان أنا شربت الكتب .. كل الكتب، تصوري يا أماه .. هل مسك جنون ؟ مسني عقل "، " تزداد الآفاق اتساعاً، أضحت تحلم بأن تقبض على الماء والهواء ".

وبطلة " القاع والخروج منه " لم تذعن للمد والجذر، تقول الكاتبة عنها " تلملم أشلاءها، وتركض في دروب يكسوها الصقيع، إلى حيث المنائر متوجهة الأعناق .. وجود بعد عدم يصر على أن يكون بعضه يشد بعضه، تمضي ركضاً، لكن الأرضية صقيع تتزحلق عليه الأقدام، فتكبو ثم تسمتيت، لتهب واقفة .. وهكذا وجدت الشمس لها منفذاً .. ".

فالبطلة تسعى إلى هدف محدد، وترفض أي بديل لهذا الهدف، فإنسانة هذه القصة أرادتها القاصة أن تكون ارهاصا للنموذج المثالي.

أما عن أسلوب " قماشة السيف " فإنه يشف عن مغامرة إبداعية، تعتمد على الموهبة، وصدق التجربة .. كذلك نجد عباراتها قوية تلج إلى أعماق اللغة، وذلك نتيجة لخيالها الخصب وعاطفتها الفياضة التي تخلق الجمل الشعرية، عن طريق التداعيات غير المنظمة .. ولغة " قماشة " في كثير من قصصها لغة تجريدية تميل إلى الحكمة، وربما طغيان لغة الشعر على أسلوبها ساهم في غياب الموضوع أو غياب الحدث .. وقد عاب عليها بعض النقاد أن مقاطعتها – في بعض قصصها – تفتقد التوازن والترابط المنطقي .. ورغم هذا تبقى تجربة " قماشة السيف " ذات خصوصية إيداعية متميزة، تجمع بين اللغة الوامضة والشاعرية بالاضافة إلى استخدامها الجيد للرمز.

كذلك المتتبع لقصص " وفاء الطيب " يجد نضجاً فنياً يواكب استمرارها في كتابة القصة القصيرة، ورغبتها في الإرتقاء بما تبدع .. ففي قصتها " لن تفقد ظلك "[1] نجدها تقترب من لغة القصة الحديثة، متجاوزة لغة الحكاية القديمة – التقليدية – أو بعبارة أخرى قصصها لا تعتمد على الحدوته كبنية أساسية لها ..

ومن الواضح أن هذا النضج جاء مصحوباً بالإحساس بقيمة " الأنا " فالكاتبة تثري تجربتها بلغتها المميزة وتجاربها الشخصية. كما أنها برعت في إختيار اللقطات الإنسانية وبرهنت على وعي يقظ بدواخل شخوصها، فهى تغلف الحالة الإجتماعية بستار من الإبهام الذي يجد تبريراً له على مستوى الواقع وعلى مستوى الرمز.

تقول في قصصها " لن تفقد ظلك ": " من ابتدع فكرة الإحتفال برؤوس الأعوام المبتورة، من يحتفل إزاء مقصلة ملعونة تلتهم رؤوس الأشياء بلا شبع .. بلا ارتواء ؟ وأنا وأنت نزاول معهم نفس الضحكات، فلا سبيل إلى التراجع وقد اجتزنا معا شطر الطريق .. وإن كنا لا نحب أن نحتفل بانصراف الأعوام على طريقتهم لكننا مدعوون .. ففي جيب كل واحد منا بطاقة دعوة ..".

ولغة " وفاء الطيب " لغة مكثفة تطل من بين سورها سخرية لاذعة .. تقول: " .. وأنا وأنت في نهاية كل عام نحلم بأن نصدر الألم إلى الخارج .. ونحلم بشحنة جديدة من الفرح .. وننتظرها معبأة في زجاجات

---

[1] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع(٨٢١) ، ١ محرم ١٤٠٥هـ.

من الكريستال ومغلقة بورق السيلوفان .. ولا يصلنا منها شئ .. فالصادر والوارد نقيضان في حياتنا، ومستحيلان في الوقت نفسه إذا لا أحد تستهويه بضاعتنا .. فها أنت ناء عني وأنت بقربي .. فإلى أين نصدر الألم لنستورد الفرحة ولا أحد يقبل مقايضتنا ؟ من ذا يتاجر بالأحزان — يا ربيع العمر — فيشتري هذا الكم الهائل من الصخب الذي بداخلنا ولو بحفنة من هدوء ".

ويبدو أن المثالية جذبت الكاتبة، فتقول: " أنت الحقيقة الوحيدة التي امتشقت سيفا تشهره في وجه السراب والتهويم الذي أعاني .. ولكنك، اللحظة تحاول أن تعيد حساباتك من جديد لمجرد أن يفصل بيننا مقعدان، كأنه صار يفصل بيننا عالمان فسيحان ".

وتنهي " وفاء الطيب " قصتها الرائعة " لن تفقد ظلك " بهذه الفترة الرمزية الغنية الدلالة " .. انني كلما تبعتك خفية، فلأنني أزاول الحياة نفسها .. فالظل لا يحيا إلا تابعاً، وكلانا لا غنى له عن الآخر .. فأنت أيضاً تخاف أن أنحسر عنك فتفقد ظلك ..".

وعلى مساحات قصص الكاتبة نلتقي بنماذج نادرة، فهى تلتقط لحظات غريبة، مدهشة، فهى تلجأ إلى الواقع اليومي فتأخذ منه، وتستفيد من الخلفيات الاجتماعية .. ونتيجة لإصرار الكاتبة دائماً على التصعيد الدرامي للحدث في أقاصيصها نكتشف أن الأحداث بالفعل قد فرضت نفسها على خيال القاصة، ففي قصتها " البوابة السؤال "[1] سارت

[1] المجلة العربية ، السعودية ، ع(١١٦) ، صفر ١٤٠٨هـ .. أكتوبر ١٩٨٧م ، ص١١٦.

بالحدث بتواصل مقبول، نتج عنه تعلق القارئ بمتابعة القصة، فإنسانة القصة، تتمنى أن تهنأ بزواجهاوأطفالها بعيداً عن مشاحنات الحلم الذي بدآه معا .. فها هى حصلت على مكافأتها الجامعية خمسين ألف ريال، دفعة واحدة، وتساءلت بينها وبين نفسها أتزف إلى زوجها هذا الخبر المفرح أم تطرح عليه سؤالها وهو: ماذا يفعل لو بين يديه خمسين ألف ريال؟ وطرحت على زوجها سؤالها، لكنه هرب من الإجابة عليه باعتباره أنه لم يحلم بمبلغ كهذا بين طرفة عين وانتباهتها، وتفاجأه الزوجة بالخبر .. تقول القاصة: " جاءته تودلو .. تطير من الفرح " أزف إليه النبأ المفرح قبل أن يزفه إليه أحد، تلكأت على الباب ريثما ينجز صلاته .. تناهى إليه صوت أمه بالداخل ..

- يقولون أن " مزنة "[١] ربحت خمسين ألف ريال.
- غير معقول!!!
- هل سترحل بها وبصغارك من هنا ؟
- بل سأتزوج من باكر !"

وهنا تحدث المفارقة، ونجد الكاتبة تستغل هذه المفارقة إستغلالاً فنياً جيداً، فتتبع موقف " مزنة " ورد فعلها من كلام زوجها .. تقول " .. أسراب الأحلام المسجونة في قوالب الإنتظار تطير وتطير ثم تسقط في قلب العاصفة المجنونة، أو صدت العاصفة بوابة السؤال البوابة بصعوبة، دخلت عليه باسمة، وقالت: لقد ربحت خمسين ألف ريال تصور ! .. ناولته

[١] تقصد نفسها " أي زوجته ".

غترته وعقاله، ثم استدركت: لكني أضعت في المقابل ما هو أثمن، أليس فادحاً أن نبتاع حلماً كالكارثة بخمسين ألف ريال ..".

وفي قصتها " أزمة ما قبل الدجال الكبير " [1] تقسم قصتها إلى مقاطع تتكئعلى الواقع في أحداثها، وفي الوقت نفسه نجدها غنية بالدلالة الرمزية .. ويجمع بين المقاطع جميعها خيط فكري واحد، وهو أزمة الإنسان المطحون بالفقر والفشل .. ففي المقطع الأول: تقول له أخته: أريد سائقاً اتباهى به مثلما زميلاتي .. سألها: كم يتقاضى السائق من ريالات ؟ ها .. خمسمائة .. تسعمائة ؟ فرط لها جيبه، سقطت فاتورة المشتروات البائته ورقة تحمل درجات بليدة.

وفي المقطع الثاني، نلتقي بانسان يطحنه الفقر وذل الحاجة نتيجة لكثرة أبنائه. وفي المقطع الثالث، يطالعنا مشهد التلاميذ الذين لا يحترمون أستاذهم، لأنه أصبح في نظرهم دجالاً !. وفي المقطع الرابع، نلتقي بموظف دخله لا يكفيه ولا يكفي ما يصرفه .. ماذا يفعل ؟. وفي المقطع الخامس، شاب تسأله أمه .. لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟ فيقول لها: تعالي نتحاسب .. معلم في مدرسة ابتدائية، يسكن شقة حقيرة بقلب المدينة مع أمه وأخوته، مؤهلاته راتب شهري وعربة لم يتم إصلاحها للمرة العاشرة، مطلوب صبية تحتويه بملحقاته، هل وجدت من ستقبل هذا الوضع الصعب ؟ المقطع السادس: يقال عاقب ابنه البكر بالجلد حين ضبطه يختلس من بقالته علب السجائر، رغم أن البقال يبيع السجائر

---

[1] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع (٩٤٥) — ٤ رجب ١٤٠٧هـ ، ص ٧٤.

وينصح ابنه بالابتعاد عنها لأنها ضارة بالصحة .. ويطالعنا كذلك مشهد طفل يخرج للضيف قائلا: أبي يقول لك بأنه غير موجود.

والملاحظ على الجو العام لقصص " وفاء الطيب " أنه جو قاس وقاتم لأن الواقع الذي يصوره واقعاً قاسياً، من هنا يشعر الفرد بالهزيمة والضياع .. وتتميز قصص " الكاتبة " عن زميلاتها بأنها تتناول الحدث في عفوية وتلقائية .. وتركز على انفعالات أبطالها ومراقبتهم، مما يدفع بقصصها إلى الملتقى الذي يتعايش مع القصة برغبة وشوق .. كذلك تتميز لغتها بالعذوبة، وتسير بالأحداث بتواصل مقبول.

إن القصة التعبيرية لا تهتم بتقديم صورة واضحة ومفصلة للأحداث، وأيضا لا تهتم برصد تطور الشخصية والكشف عن أبعادها، لكنها تسعى بالدرجة الأولى إلى خدمة الفكرة وإبرازها في إطار يرتفع بالشخصية القصصية عن كونها مجرد عنصر محدد يحرك الحدث القصصي ويرسم معالجته إلى نموذج إنساني يتحرك في كل زمان ومكان .. وخلق الشخصية القصصية ليس بتصوير حياتها الخارجية فقط، بل بالغوص في أغوارها الذاتية .. وهذا ما دفع بعض القاصات السعوديات إلى إستخدام " تيار الوعي " الذي هو طريقة تنصب عليها محاولات الكتاب القصصين بالدرجة الأولى على وعي الإنسان – الشخصية القصصية – وجعل باطنها أرضية تسير عليها الأحداث، وتتحرك الشخصية من خلال علاقات تربطها مع الشخوص الأخرى، أي أن وعي الشخصية ذاته

يصبح مع هذه الطريقة شبيها بشاشة تعرض عليها أبعاد الشخصية بكل دقة ووضوح [1].

وهذه الطريقة الفنية لا تعترف بمنطق تقسيم الزمان إلى ماض وحاضر ومستقبل بحيث يكون لكل زمان وجود مستقل، بل إنه " تيار الوعي " يذيب الحواجز بين هذه الأزمنة، فتتشابك جميعا – ربما في مشهد واحد – وذلك لأن سمة تيار الوعي كما يقول " همفري " نوعا من الحركة لا يتقدم بالتقدم الآلي للساعة، انها تستلزم بدل ذلك حرية التنقل إلى الخلف وإلى الأمام .. حرية مزج الماضي والحاضر والمستقبل المتخيل.

وهذا التوحد والتداخل في الأزمنة الثلاثة، لا يدركه القارئ بسهولة لحظة قراءته، لأن الشخصية القصصية تحيا وتعايش معايشة تامة الأزمنة الثلاثة في لحظة شعورية واحدة، يلغي فيها الزمن تماما وتصبح اللحظة الآتية هى اللحظة الماضية ذاتها، ومن خلال هذا التوحد والإلغاء في آن واحد، تصبح الشخصية أكثر احتياجا لإصغاء مسحة الخيال والتكثيف في رصد الأحداث من حولها، بمعنى أنها بهذا المفهوم قد تبتعد تماما عن الطبيعة الواقعية لها، وتعتمد في كثير من الأحيان على طريقة " الرمز " أو ما نسميه " ب " التحليل النفسي الرمزي " وتصبح الرموز والكثافة من المدلولات اللفظية في القصة أساسا للتعبير والتصوير الفنيين عند القاص أو القاصة، ومن غير شك أن الشخصية القصصية في هذا كله تفقد بعضا من طبيعتها الواقعية – كما أشرنا – ولعل هذا لا يبعد عن الفن في مجال

---

[1] د. نصر عباس : تيار الوعي في القصة السعودية المعاصرة ، سبق الاشارة إليه ، ص ١٧.

الإبداع، بل هو في تقديري يلتزم بمفهوم الإبداع التزاما واضحا، اذ أننا حتى في رسمنا لشخصية قصصية عادية، لا يطلب منا أن ننقل معالمها بطريقة التصوير الفوتغرافي الحرفي، بل ليس مطلوبا أن تكون الشخصية هى ذاتها التي تحيا في الواقع [١].

وقد أشار " فورستر " إلى هذا قائلا: لا تتوقع من شخصيات القصة أن تنطبق انطباقا تاما مع وقائع الحياة اليومية، لكل خصائص الشخصية ككل وإنما تتوازى معها. ونجد في قصص بعض القاصات السعوديات " موقف وقضية " وتضع الكاتبة هذا التصور في اطار " الحالة " .. ومن هنا يصبح على القصة إلغاء كل الملامح الشخصية الذاتية، والسمو بهذا الإنسان – بطل القصة – إلى مرتبة الأنموذج، فقاصة ك " أميمة الخميس " في قصتها " ما قاله صمت شهرازاد [٢] تبدو لغة القص مركزة ومسددة نحو تصورات خاصة ورؤى داخلية، وأنسب وسيلة عن هذا – لدى القاصة – المنولوج الداخلي " وهو يقصد بمصطلحه النجوى الداخلية .. إذ يترك الكاتب أو الكاتبة بطله يتكلم بما يرد في خاطره، ويفصح عما يخالج نفسه، دون ضابط أو تحكم، سواء كان ما يقول ساميا أو هابطا، وفي ذلك يطلعنا على جانب كبير خفي من عالمه النفسي الباطني، كما يلقي مزيدا من الضوء على مسار الأحداث وتطورها، وعلى تقدم خطوات الشخصيات ونموها.

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨.

(٢) مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع(٨٣٦) ، ١٨ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ، ص ٦٠.

ومن ميزات هذه الأداة الفنية " المنولوج الداخلي " تخفيفهامن رتابة السرد، ودفع الملل فيه، ومزاوجتها أحيانا مع الحوار، وقيامها بدور واضح في التحليل النفسي والإستبطان، وتخطيها الزمن ومساعدتها في استرجاع كثير من الأحداث والذكريات "[١].

تقول " أميمة الخميس " في قصتها " ما قاله صمت شهرزاد " .. " أمر فوق هياكل خربة تعوي بها رياح الزمن .. فوق مقابر بائدة .. وأرى غربانا وسحاليتحدق بي تمهم .. وأهرب وجذع النخلة يشدني عاليا .. بعيدا عن صوت الساعة الرمادية .. وأحدق وأنا أعلم أن جذع نخلتي لا يحلق إلا في الظلام .. وأعلم أنني سأعلق من ضمائري يوما على بوابة المدينة غيره لمن يحاول أن يمتطي جذوع النخيل ويحلق بحثا عن تعويذة الولادة، وارتفع حتى أموت، وأنا محلقة في جذع نخلة، بعيدة عن ذلك التحلل الجزئي الذي يسري رويدا .. رويدا وراء جدران قصرنا ذلك الموت البطئ الذي تلطمني به دقات الساعة الرمادية ..".

فالقاصة تتفاعل رؤيتها مع لحظة تأزم البطلة فتنتقل من حيز المحدود الذي تمثله البطلة إلى طبيعة أكثر شمولية، دون أن تحدها حدود ثابتة، ذلك نتيجة وعي القاصة بواقعها وبذاتها، ومن خلال " الرمز " تطرح الكاتبة عبر تيار الوعي أزمة الإنسان المعاصر فتقول في قصتها " هناك حيث كل شئ ولا شئ " [٢]: " هل أنا مرتبكة خجلي .. لا أعتقد أو

[١] د. يوسف نوفل : الرؤية الإبداعية في التجربة القصصية المحلية ، ملف الثقافة والفنون ، ع(٤)، سبق الاشارة إليه ، ص٩.

[٢] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع (٨٧٥) – ٢صفر ١٤٠٦هـ ، ص ٥٨.

لربما المحيط من حولي جعلني أكف عن التكفير بالطريقة المثلى مع الذين حولي .. كل شئ ينساب بطريقة مبرمجة، حدثني " التليفزيون " بحماس غريب، خفت وساورني شعور أنك ستلتقي بي من سيارتك إن كان اصطحابي سوف يؤخرك عن موعد برنامجك المفضل ".

وتنوع الكاتبة أسلوب السرد .. فتستخدم المنولوج الداخلي .. " السنجاب الحالم الوادع الذي لمحته في قفص الاختبار اختطف فطرية الغابة من عينيه ولم يبق في عينيه سوى نعيب الخوف ورائحة مواد الاختبار المقززة ".

وتقول أيضا: " لو أنك هنا كانت خطواتي ستتسع، صوت ابتسامتي سيلتمع .. وستستيقظ الطفلة التي نبشتها في الأعماق .. وستمارس طقوس طفولتها كما يجب .. ".

إن أزمة البطلة – الإنسانة – لدى " أميمة الخميس " تتمثل في أنه لا يوجد من يفهمها. تقول في مطلع قصتها " هناك حيث كل شئ .. " كيف ستفهم منطقي اللولبي .. كيف سأقودك من أول الخيط لكي نصل إلى منتهاه، هل تكوينك سيحافظ على مساره، لكي نصل إلى هناك .. هل شبكية عينيك ستستطيع أن ترى تلك اللوحة التي تشرئب خلفي، وتحتوي على المئات من الأشياء الصغيرة الحميمة الدقيقة، التي تنبض وراءي فأتحرك وأنطلق من خلالها .. " .. وإذا كان أبطال قصص " الخميس " يعيشون في ضياع ومعاناة وينتظرون الخروج من هذا كله إلى رحاب الأمل، فإنها كذلك تركز على مفهوم الضياع والمعاناة، هذا المفهوم

المطلق .. المنطلق من داخل نفس الإنسان، فبدا لنا أن داخل شخوصها عوالما لا حدود لها، على المستويين الزماني والمكاني .. وكاتبة أخرى هى " ليلى الأحيدب " تتفاعل رؤيتها الخاصة مع لحظة التأزم التي تنقلها لنا عبر شخوصها، ونجدها تتخلص من الاطناب والزوائد اللغوية الفضفاضة، رغم أنها تستخدم أسلوب السرد المباشر في أحيان كثيرة، لكن سردها أيضا يتسم بالإجادة والإتقان. وهى شغوفة بالعناوين الجانبية، والتي تقسم بها قصصها، فقصتها " تقاسيم مجنونة لدائرة ما " [1] .. التي بدأتها بمدخل تقول: " الجنون أن يحيط بنا البرد يغمرنا .. يقبع في ملابسنا ونظل نردد أن الدفء الذاتي يمثل سورا ما تجاه البرد .. الجنون أن ".

ندلدل رقابنا إلى الخلف نحو أفق الشمس، أن نحدق في خط بدايتها وننتظر أن تصل ونحن قاعدون " ندلدل " رقابنا نحو أشياء سخيفة، الجنون أن نراقب حركة خط البداية، أن نراقب وهج الجمرة حتى يغمره الرماد .. الجنون أن تحاول إيهام نفسك أن الوحدة توجد في آخر، رغم أنها في الحقيقة بحث عن التوحد .. عن الآخرين الذين من الممكن أن تجدهم في وحدتك .. الذين يشاركونك الوحدة حضورا في الذهن .."

إن القاصة " ليلى الأحيدب " لا تخلو قصصها من عبارات حكيمة تقول:

" كل الناس لا يتذكرون أحبابهم إلا بعد رحيلهم ".

---

[1] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع(٨٤٧) ، الأربعاء ٦ رجب ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٠.

" السراب يغلف الآخرين فلا يبدون على حقيقتهم أبدا ".

" وهج الشمس يصقل من سرابه ويزيد من عدميته ".

وتقول في قصة " البحث عن يوم سابغ "[1]: " الحب .. الحب تلك الدهشة التي لا تتكرر مرتين ولا تمنحنا نفسها على أقساط .. تأتي مرة واحدة .. دفعة واحدة ! ثم نفقدها للأبد وتلك هى المشكلة ... ألا تكون قادرة على الدهشة مرة أخرى .. نحن لا نندهش في أوقات متباينة وضمن مفارقات مبكية في أحيان كثيرة ".

إن " ليلى الأحيدب " تؤكد من خلال قصصها بحث الإنسان " المثالي " عن القيم الجميلة المطلقة .. ولجأت الكاتبة للرمز لإحتواء تلك المعاني المطلقة التي تتسم بالشمولية . تقول في قصة " تقاسيم مجنونة لدائرة ما "[2]: " عنفيني يا أم .. فقط، تواصلي معي حتى لو كانت الأشرعة ممزقة .. كيف الأشرعة يا أم ؟ وكيف تكونت مرارتك خارج جسدك ؟ .. السراب في مدينتي يا أم رؤية ناقصة وحادة تتسلل عبر الأبنية لا تجمعها صورة مكتملة أبدا، وأنت في مدينتي العملاقة يا أم مغلفة بالسراب، وأحاول جمع خيوطك المسللة أجدك ممتدة كالصحراء .. عميقة كالأفق، بعيدة مثل القمر في المدينة .. أمي تقبع في كل الأزمنة .. وكان البر كبيرا والمدينة شيحا، الآن نبحث عن البر فلا نجده، تمتد بنا الجسور".

---

[1] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع (٩٥٠) ، الأربعاء ١٠ شعبان ١٤٠٧ هـ ، ص ٥٨.

[2] مجلة " اليمامة " ، السعودية ، ع(٨٤٧) ، الأربعاء ٦ رجب ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٠.

ونستطيع أن نقول إن الاتجاه التعبيري في القصة في أدب المرأة السعودية له عدة سمات منها:

- أن الجو العام الذي تدور فيه قصص هذا الاتجاه جو قاتم، متأزم، وواقع قاس، قائم على شعور الفرد بالهزيمة والضياع.

- تسعى قصص هذا الاتجاه أن تكون ذات نظرة شاملة وإنسانية عامة، فأسماء أبطال وشخوص القصص لا تذكر والأماكن التي تدور فيها الأحداث مجهولة، والأزمنة غير محددة، فهذا الاتجاه يسعى لفهم الإنسان من خلال ذاته فالإنسان (الشخصية القصصية) نموذج وليس من الضروري أن يكون ذاتا واحدة.

- الكثير من القصص تكون بلا حدث، لا لكون كتاب وكاتبات قصص هذا الاتجاه يأنفون من الواقع، بل لأن قصصهم قصص الصيرورة للفرد.

- الاعتماد على تكثيف الجمل وتركيز الحوار إلى أقصى حد ممكن.

- اعتماد المبدعين والمبدعات على أسلوب التداعي، إيمانا منهم أن مهمة القاص الكشف عن أغوار ودواخل الشخصية القصصية.

الخاتمة

القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية، لم تلق من اهتمام الباحثين إلا القليل، فما تزال الدراسات والأبحاث التي تتناول أدب المرأة السعودية بصفة عامة .. والقصة القصيرة بصفة خاصة لا تزال قليلة، ولم تتناوله إلا بشكل عرضي، ولم يزد عن كونه إشارة، فلم تحظ بدراسة منفردة " قصة المرأة السعودية " وأكثر ما قبل، عبارة عن مقالات في صحف ومجلات لم تخضع لدراسة منهجية محددة أو شاملة.

يعد التعليم من أهم العناصر التي أثرت في ظهور " أدب المرأة السعودية القصصي " فكان تعليم الفتاة مقتصرا على " الكتاتيب " " وبعض المدارس الأهلية " ولم يكن تأخر تعليم البنات يرجع لضيق الامكانيات، بل كان السبب الحقيقي، إختلاف وجهات النظر حول تعليم البنات .. إلى أن صدر في عام (١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م) مرسوما ملكيا بانشاء جهاز الرئاسة العامة لتعليم البنات.

وقد ساعد على ظهور أدب المرأة السعودية القصصي إنتشار المكتبات في أنحاء المملكة العربية السعودية وكثرة الصحف والمجلات، وترتب على ذلك تنظيم المسابقات الأدبية وانتشار الأندية الثقافية الأدبية في أرجاء المملكة السعودية.

قد تداخلت مصطلحات الفن القصصي في مرحلة بداياته .. بالنسبة للمرأة السعودية ونعني بالبدايات " المرحلة التي بدأت تظهر فيها

القصة القصيرة وليدا لم يكتمل بعد " فأستخدم مصطلح القصة القصيرة بمعنى المقالة القصصية وبمعنى الصورة القصصية وبمعنى القصة الطويلة، ويرجع هذا الخلط بين المفاهيم، إلى أن القاصات السعوديات لم تنطلق قصصهن منطلقا فنيا، بل كان اصطلاحيا بالدرجة الأولى .. كذلك ساعد على تداخل المصطلحات الفنية غياب حركة النقد الموضوعية الجادة.

ظهرت أولى المحاولات القصصية عام ١٩٥٨.. وكانت قصة طويلة للكاتبة: سميرة محمد خاشقجي ب "ودعت آمالي" ورصيد سميرة خاشقجي في الفن القصصي رصيد كبير .. إلا أنه يؤخذ عليها أن مضمون إبداعها القصصي كان بعيدا عن البيئة السعودية، وتبعث محاولة "خاشقجي" محاولات أخرى في مجال القصة الطويلة للكاتبات " أمل شطا "، "هند باغفار" .. إلا أن هذه المؤلفات كانت لا تخرج عن نطاق الذاتية، وحسبها أنها محاولات لظهور انتاج قصصي أكثر جدية.

للمرأة السعودية في ابداعها القصصي معاناة، وفكر يعكس مشاكلها وهمومها، وهذه المعاناة الخاصة بالمرأة، هى نفسها التي عبرت عنها بقلمها .. فأكثر قصص المرأة السعودية تدور حول المرأة (وهذا ما سيلاحظه القارئ في النماذج التي اخترناها).

ظهرت في أدب المرأة السعودية القصصي ثلاثة اتجاهات:. الاتجاه الوجداني التحليلي.

..الاتجاه الواقعي.

.. الاتجاه التعبيري.

ولكل اتجاه سماته التي تميزه وكاتباته اللائي أبدعن فيه .. وهذه الاتجاهات ليست تقسيمات نهائية، بل تمثل وجهة نظرنا لا أكثر .. وقد يختلف معي فيها الكثيرون.

الملاحظ على القاصات اللائي ظهرن في المرحلة الأخيرة، أن قصصهن تمثل تيارا يهرب فيه المبدع من الواقع إلى واقع مفتعل، مما جعل القارئ يصطدم بفردية عنيفة .. رافضة.

القسم الثاني

مختارات قصصية

الهدية

هند صالح باغفار

أبصرت بها جسداً هزيلا ولكنه نشيط دائم الحركة كثير الانتقال قليل الإبتسام نادر الكلام.

القيت كتابي من يدي وسرحت أتأملها .. كم لي وأنا أراها ؟ كم لي وأنا امضغ فضولي حتى أعرف من تكون وازدرد السؤال الكبير الذي يعانق أفكاري كلما رأيتها ..

لقد مضت سنتان كاملتان والمرأة العجوز تعمل في خدمتنا ولكن لم يفكر أحد يوماً في السؤال عمن تكون ؟ .. ولم تستغرق يوماً عيون في هذا الوجه الحزين كما تحدق عيوني أنا ووجدتني أضم كتابي على صدري وأسرح من جديد في وجه الخادمة العجوز ..

ومن بقايا الخريف الذابل عرفت كيف يرحل ربيع السنين .. ومن العود الضامر النحيل أدركت نعمة الشباب وفجأة ايقظتني من شرودي ابتسامة باهتة تدلت من الشفاه الذابلة كورقة صفراء سقطت من غصن يابس. ابتسمت لي وتساءلت عن سر شرودي فأشرت لها بالإقتراب فتركت ما بيدها من عمل واقتربت مني فأجلستها بجواري ودار بيننا حديث طويل وهزت رأسها برضى حين أدركت السؤال الذي أرمي إليه من خلال أحاديثي المتنوعة فأمسكت بيدها وقلت نعم إني أود أن أعرف من أنت ؟؟.

فتنهدت بألم وهي تشد أنفاسها بقوة من صدرها الضامر وسرحت بعيداً، وهي تفك زنزانة صمتها لتطلق السر الكبير الذي طال اعتقاله وقالت .. كنت يوماً مثلك ملء الحياة سمعاً وبصراً .. وملء العيون نضرة واشراقاً ولكني ولدت يتيمة فقد ماتت امي بحمى النفاس وأنا لم أكمل بعد شهوري الأولى .. حين بلغت الخامسة من عمري توفي أبي وتكفل بي خال حنون، ولم أكد أبلغ الثالثة عشر حتى زوجني خالي من شاب قريب يعمل سائقاً في إحدى الدوائر الحكومية، وبعد سنة من زواجنا رزقنا بابننا الوحيد محمود وكان مولده فأل خير علينا واكتملت بنور محياه سعادتنا.

وعشت في سعادة خلتني معها أسعد امرأة في هذه الدنيا فلم يكن زوجي يدخر وسعاً في سبيل اراحتي وإسعادي، ولكن قدر له أن يصاب بداء الربو الذي لم يلبث أن أودى حياته حين بلغ ابننا العاشرة من عمره فمات لي بوته الزوج والأب والحبيب وكان عليّ أن أواجه الواقع بمفردي وأنا أدير مسيرتي الشائكة بيدي الناعمتين وعملت " قهوجية " في أعراس أهل البلد ولم يكن المورد يكفي لتغطية نفقات ولدي الذي صممت على إكماله لدراسته فعملت حائكة ملابس وعشت راضية فلم أكن شقية أبدا .. ابتسامة واحدة من ثغر محمود كانت كافية لتمسح عن جبهتي كل عرق النهار وإرهاقه وقدرني الله على حسن تربيته فنشأ شهماً كريماً مجتهداً خلوقاً .. وكلما مشت بنا السنوات واشتد عود محمود كان يصر على أن يعمل بنفسه ليعول كلينا كي أرتاح أنا .. ولكني كنت أرفض .. طموحي بمستقبله كان كبيراً بحجم المدى وإتساع الأفق. لذا كنت حريصة على

إتمامه لدراسته فظل يذعن لإرادتي مجبراً ونال شهادة الثانوية العامة بتفوق .. ولم تقصر أرجل طموحي، وابتعثته الحكومة للخارج لدراسة البكالوريوس وظللت أعمل ليظل بيتنا الصغير مفتوحاً في انتظار أوبة محمود ورجع لي بعد سنوات وعادت معه كل أفراحي .. وعلى صدره العريض ذرفت دموع سعدي بانتصاري .. وعلى ثنايا الجبهة السمراء زرعت طيب قبلاتي .. وقدم لي هديتين الأولى شهادة التخرج بمرتبة الشرف والأخرى فستاناً أبيض اللون تصوراً أنه منطلق حياتنا القادمة ..

وانحني ولدي على اليدين الخشنة يلثمهما ويبكي وبعدني بعهد جديد للراحة والهناء .. وفي أمسية ذلك اليوم قدم علينا ثلاثة من رفاق محمود ودعوه علي العشاء إحتفالاً بعودته ونجاحه ..

ونظر لي باسماً وهو يستأذن للخروج فقبلته وأومأت له بالإيجاب وقبل أن ينزل احتواني الرجل الذي صنعته بدمي ودموعي ولثم جبيني وهو يقول لن أتأخر يا ست الحبايب .. سوف نتناول العشاء ونتجول في المدينة قليلاً لأني اشتقت إلى رؤية كل شئ فيها ثم أعود ولكن لي رجاء أريد رؤيتك بالثوب الأبيض حين أرجع فودعته وخرج .. وبعد منتصف الليل عاد .. ولكنه عاد محمولاً على نعش أسود .. اصطدموا بشاحنة وتمزقت العربة الصغيرة ومات الرفاق الأربعة ..

وتوقفت الحياة .. هكذا دفعة واحدة فقدت قدرتي على الحياة والمصيبة تنزل دائماً كبيرة ثم تصغر .. ولم تصغر مصيبتي بفقدان ولدي

لحظة واحدة ولكنها انتقلت من تشنجي وصريخي إلى داخلي من حيث يلذ للقلب الموجوع أن يبوح كل يوم دون أن تحرقه نظرة اشفاقة تسقط بعفوية من عيون الناس .. وبعد شهور أعطوني دية ولدي فأخذتها ولكن كان حراماً على قرش منها .. بل اشتريت بها قطعتين من الأرض وكان وقتها سعر الأرض لا يساوي أكثر من بضعة ألوف وبدأت أكمل المسيرة الشاقة .

أن ولدي قد مات ولكنه يظل في قلب أمه حياً لا يموت .. ذهب جسده وبقيت روحه بجواري تمنحني القدرة على العيش ..

وقد فكرت في يوم رحيلة في رد الهدية .. فكرت في شئ أغلى من نظري من الفستان الأبيض ومن الشهادة الكبيرة فلم أجد سوى شيئاً واحداً .. نذرت له نفسي وقدمت عمري قرباناً لتحقيقة .. فظلت أعمل ولا أصرف من مكسبي إلا النذر اليسير وأحتفظ بالباقي .. وقبل سنتين حين لم يعد يسعني بصري الذائب على الخياطة .. بعت واحدة من الأراضي وضممت مكسبها الكبير إلى كل ما جمعته طيلة الثلاث عشرة سنة الماضية وكدت أبدأ بعمل الهداية ولكن نقص على القليل فعملت خادمة .. وها قد مضت لي سنتان وأنا في بيتكم وقد ذهب الكثير، ولم يبق إلا القليل وبعدها سوف أرتاح حين أشعر بأني قد وفيت بالصنيع وسددت الدين الذي حملت عبئه على كاهلي طيلة سنوات مضت ..

أكملت العجوز كلماتها وصمتت ومن خلال صوتي المبحوح بالعبرة الحبيسة سألتها عن نوع الهدية التي سوف تعلمها .. وامتدت اليد المعروفة

ونزعت عن الوجه البائس النظارة السميكة ومسحت بقايا دموع وقفت على تجاعيد وجنتيها وقالت .. نذرت أن أبني لمحمود مسجداً يسترحم كل من يدخله على الحبيب الشهيد .. ما دام الأمر كذلك كان بإمكانك طلب المعونة من الناس وهناك الكثير من فاعلي الخير الذين يشاركون في بناء المساجد.

هكذا أجبت أنا فشربت دموعها وهى تجيب .. لا يا ابنتي أردت أن أقدم هديتي من عرق جبيني ما دام في القلب نبضة تخفق وما دامت قدمايا قادرتين على حملي والسير بي .. والحمد لله لقد انسلخت مرحلة العذاب وبعد شهور سوف أبدأ ببناء مسجد محمود..

فقلت وفي عيوني رحمة الدنيا ..

ولكنك تعبت كثيراً واحتملت كثيراً واحتملت فوق طاقتك ..

فردت بوهن وهى تبتسم ساخرة ..

أواه لو تدركين ماذا تساوي الحياة في نظر عجوز معدمة فقدت كل شئ .. لهان في نظرتك شقائي .. ولكن صدقيني رغم كل شئ أقسم لك بأني لم أندم يوماً على ما فقدت .. صحيح اني خسرت الأم والأب والزوج والشباب ثم الابن ولكني لم أشقى لقد ورثت منهم أغلى كنوز الدنيا .. ورثت إيماني بالله .. ربما كانت قلوب معظم الناس مليئة بالإيمان ولكنه لن يكون أبداً كإيمان انسان عائد ملهوف فقد عزيز وأظلمت في عيونه الدنيا فرفع بصره للسماء وقال بكل صدق وإخلاص .. يا رب.

ان موت كل منهم لم يشعرني بالخسارة .. وفقد كل شئ لم يصبني بالمرارة .. بل على العكس كسبت بكل مصيبة انصبت عليّ إيماناً قوياً بالله حتى التصقت روحي بأحبال رجائه فلم أهزم أبداً.

وقطع الحديث الباكي صوت الآذان من المسجد الكائن بجوارنا فاستأذنت العجوز وذهبت لتصلي وشعرت بدموع كبيرة تخصب عيوني وتتعلق بأطراف رموشي .. لقد مضت المرأة العجوز عني ومضت معها حقيقة كبرى تظن في أذني .. حقيقة رائعة تصرخ بجنون العائد المستغيث .. يا رب .. خذ كل شئ فقط ابقي لي ايماني بك.

فما أروع الإيمان العظيم الذي يرفع الروح فوق هامة كل البشر .. وعلى رأسي كل الخطوب، ليعلن للناس أن روح المؤمن لا تنهزم في هذه الأرض أبداً.

قلادة الذهب

فوزية البكر

ونحن نغرق في أعماق توابيتنا .. يبدو مألوفاً أن لا يرفض أحدنا الموت .. حين يقبل أن يستلقي في البداية ..

الليل الرابض فوق أشلائنا الممددة يظل توجعا خفياً يسهرنا في البدء فقط .. وحين تنشر خيوط النور .. في درب ما .. نضج بدمائتنا الاجتماعية المألوفة فلا نملك إلا أن نشق خط الرجعة.

آه .. يبدو محالاً أن لا نرصف طريقاً جديداً فوق قديم متآكل، لذا كان من الطبيعي ألا أقوى على ترقيع علاقات هى قطع من الزجاج المسحوق ..

في فمي يتجمع ألف خيط .. خيط يضيء بالابتسامة الخجولة الهادئة المتوقعة من زوجة مضى على زواجها سنين ثلاث .. وخيط يضيء بالتحطيم .. لكل ما يحيط هو .. أنا .. أي شيء .. وخيط يضيء بالحياة .. ولكن بعد أن أقوى على الإحتجاج .. فلا أقوى ..

والليل .. وأنا أعود إلى منزلي بعد أن هجرته لأسابيع أحمل في يدي خيوطي الثلاث .. وازدارد عبر حلقي قطعاً من قطعاً من الفولاذ الصامد .. أرقب خطوط وجه هذا الزوج القابع بجانبي في السيارة ونحن في طريق العودة .. وقدأطبق بفكيه فوق بعضها فبدأ مثالاً واضحاً للبلاهة والطيبة

عيناه بأهدابها الطويلة تتحرك في سرعة مستكينة .. وحبيبات خفيفة تظهر على جانب وجهه الأسمر ليشي بشئ من قلق وسرعة غضب ..

كان صامتاً طوال الطريق .. في حين كنت أراقب أن يقول شيئاً كنت ألحظ حركات يديه واتسلى بملاحقة الإشارات الضوئية في تتابعها..

الشخوص أمامي في السيارات المقابلة .. البعض يتسلى بمشاهدة .. البعض طفل هناك يحتضن دمية .. وزوج آخر يبدو مطابقاً لزوجي في فكيه وبلاهته وآخر يضحك .. ؟كم يبدو الضحك عجباً وسط كرنفال الملل المقام على الوجوه من خوفي .. !!.

حين وصلنا اخترت أن أسبقه إلى الداخل وبهدوء خلعت عباءتي ووضعت حقيبتي وبها الهدية التي حملها الىّ ليرضيني فأرضى بها والدي ووالدتي اللذين بهتا حين رأيا قلائد الذهب تلمع بين كفيه قلما يملك من نصح إلا أنهما زجراني بكل سخرية .. ؟ ماذا تريدين أكثر (الرهوة مهيب زينة).

خرجت من غرفتي إلى الصالة .. جلست أمام التليفزيون .. كانت الصور تتابع دون أن أعي .. ودون أن أسمع.

كنت أرقبه دون أن أشعر بذلك .. بديت مثالاً للجمود في حين ينفرط ألف عقد في داخلي .. ألف عقد ينبض به أن يتكلم .. أن يقترب .. أن يأخذ يدي بين يديه، حرك أصابع قدميه فقلت خيراً .. ها قد بدأ المصالحة بقدمه لا بأس كنت في داخلي مزيجاً من الحنان والمغفرة والفرح ..

آه .. كم يبدو الفرح بعيداً وقريباً معا .. كم أود أن يقترب .. لأمارس الفرح لأركض أمامه بطفولة العالم ..

كله أركض .. أرقص .. أنتشي .. فقط ليقول .. كففت عن محادثة النساء غيرك ..

كففت عن ممارسة الحب عبر الأسلاك .. فقط أود أن يقول .. أخيراً ها أنذا .. ولكن يبدو كل شئ ساكناً كقلائد الذهب النائمة داخل حقيبتي ..

الوجه المتصلب والعينان المحدقتان في الفراغ المحيط .. والأنفاس .. الرتيبة السهرة التلفزيونية تقترب من نهايتها .. وكل ما بي ينتحب كطفل يوشك على الموت بالإختناق ولا زال يأمل متنفساً .. أضرب بيدي على باب أمامي .. أهرب داخل نفسي .. داخل الحلم .. وأتخيله زوجاً بجانبي .. ولكن لا أحد .. ها هو بكل عليائه .. يتحرك لإطفاء التليفزيون .. ولأتحرك أنا إلى فراشي .. يبدو متيناً وبارداً .. ولكني لا أزال أرجو الأكسجين.. وأقلب عيني في أثاث الغرفة المقيت .. لماذا تسقط أهمية الأشياء حين لا تتحرك بداخلها ألتقط مجلة ما .. اقبلها بين يدي .. تصهرني صور النساء المبتسمات والبعض بأطفاله داخل ملابس ملونة ونظيفة .. هل يبدو ذلك مقبولاً لامرأة .. تعاني من الاختناق؟؟.

ألقيت المجلة من يدي حين لمست تأخره .. وذهبت أسعى لعلي أدفع الموت الجاثم داخل أبواب نفسي .. بهدوء وصلت إلى حيث كان

يجلس وبيده سماعة التليفون .. كما كان قبلا وها هو يزرع الحكايا الجميلة الملونة داخل صدر إحداهن دون أن تدري أن وراء فارس أحلامها المزعوم امرأة تعاني الاحتضار الأخير(*).

(*) جريدة "اليوم " السعودية ، الملحق الثقافي ١٨ / ١/ ١٣٩٩م

اغتيال الضوء عند مجرى النهر

خيرية السقاف

المسرح الذي تحركت فيه الخطوة ٤٥٠ كم، الدرب ملغوم بالأشواك
الفترة بين الأربعاء ١٩/٥/١٤٠١هـ والأربعاء ٢٦/٥/١٤٠١هـ
الحدث: اغتيال.

بين مسافة الخطوة والخطوة، كان هناك الجذر الممتد بين قلبي وقلبيها، بين نفسي ونفسيهما، وبمجرد أن رأيتهما ذاب الجذر، تفتت الجذر، ارتطمت الخطوة بفراغ الهاوية.

أحلم أن يأتي يوم الإجازة ربيعاً تتكوم فيه البسمة والضحكة والندى والمطر والنسيم ورقرقة المياه وهديل الحمام وكل الحنو والدفء .. المعنى والجمال ..

الأربعاء وآه ما أجمل يوم الأربعاء !، تنهال فيه الفرحة على خاطري كطائر رحل لسبعة أيام ثم حط فيه على صدري، تأتيني كموعد خرافي مع النشوة، تلمثني كمتعطش إلى الحنان، تملؤني كجائع إلى قمة " سأرى أمي وأبي " سأحمل إليهما كتبي .. دفاتري الوردية .. أقلامي .. ها هو معنى يوم الأربعاء.

سأتحدثهما عن الزميلات .. وعالمهن الخيالي يطوف على حواف الغيوم، وعن أوجه المعلمات تلك الشرائط المحملة بالكثير من القصص وعناوين التجارب وملخصات لرحلات متفاوتة المدى والمعنى والمضمون

!!.. سأصف لهما الفناء الواسع المخضر، سأتجاذب معهما الحديث عن العالم الصغير الرائع المزدحم والعميق بين أربعة أسوار رهيبة في شموخها تفصل بيننا وبين العالم الخارجي إذ لا نعرف – أنا وزميلاتي – من المدرسة سوى هذا العالم المكتظ الحرك وما دونه اسم لمدينة كبيرة ينام بين أسوارها الأغنياء والفقراء، الكبار والصغار، المدارس والمعاهد، المستشفيات والمعالم المختلفة، تتناثر على جوانب شوارعها المحلات التجارية البراقة، تتعالى بين جنباتها العديد من الصيحات، تصدر فيها صحف يومية ومجلات أسبوعية ودورية حين نقرؤها لا نجد رائحة المدينة الكبيرة، نتلمسفي بعضها رؤية الذات المحدودة، يبث فيها برامج روتينية مملة قاتلة لا تشدنا ولا تستدعي اهتماماتنا، نفضل أن نجلس إلى كوب دافئ من الشاي نتحدث عن أوجه المعلمات وعن الإعلانات على جار المدرسة أكثر من مشاهدة التلفاز؛ لا نستمع إلى مذياعها إلا عندما نرغب في معرفة كم عدد القتلى الذين سقطوا في الساحة أو عدد الموتى من الجائعين، عن الدماء التي اهدرت في فجر اليوم الذي يعلن لنا فيه أن نستمع إلى المذياع.

ترابية هذه المدينة هذا ما نعرفه .. أما حقيقة فنحن نشم رائحة هوائها ونستعشر طقسها من داخل أسوار المدرسة حين نعبر الطريق من بابها إلى المطار، تلمع حينها شوارعها أمام أعيننا وتعانق هذه الأخيرة منا بعض أجزائها، وحين نزور إحدى مستشفياتها فلا نقف منها سوى على

أماكن أكثر من عادية ليست تماماً كما تحدثنا به الصحف فيها أو يخبرنا المذياع إذا ما صادف أن قرأنا فيها أو سمعنا ..

هذا الأربعاء .. قررت ألا أذهب إلى المطار .. ذلك أنني لن أرى والدي هذا الأسبوع: (فالأسبوع القادم سأواجه الامتحانات الفصلية، وسأبقى في بيت الطالبات استعد لها)..

سأرى أبوي في الأسبوع الذي يليه ..

وخفق قلبها .. وجهك النوراني يا أمي .. لكم أعشقه وأعشق التعلق به، تسمرت أهدابي لأكثر من لحظات من عمر الزمن في كل مرة أشاهدك فيها .. وجهك عالم غامض يا أمي .. لا أدري متى يمكنني اجتياز بوابته ؟

- " قلبي ينكمش، أشعر بالاكتئاب .. ما علاقة وجه أمي بالاكتئاب ؟

" .. أمام وجه أمي مني .. إنه رجل، وهكذا قالوا لنا إن الرجال أشداء ..

" لا أرى في أبي شدة، قلبي ينكمش، ليس ثمة من رابط ..".

ونفضت للحظات عني فكرة التشاؤم ..

سأرى أبوي في إجازة قادمة، عندما أحمل لهما نتيجة الإمتحان سينسيان أني تأخرت عنهما أسبوعا كاملاً ..

الإيام فواصل .. والساعات نذير .. والثواني تذكير .. وطرقات الزمن تسكب في داخلي معنى الخوف .. والحذر .. والترقب .. أيمكن لشابة مثلي لم تتخط العقد الثاني إلا ببضعة أشهر أن يجتمع عليها الحزن والفرح، الضحك والبكاء، القلق والاطمئنان في لحظة واحدة ..؟!.

ما أقسى هذه المجردات حين تجرد سلاحها في وجهي ؟ ما أصعب أن أكون في لحظة امتحان وعليّ فيه أن أحدد مسار شعوري، ماهيته، أسبابه وعوامله ..

ثمة شيء غامض يهمس في عمقي .. عندما أزورهما ..

سيقدمان لي باقة ورد .. لمسة حنان .. أو حتى قبلة .. إنها إذن لثروة تعمر مشاعري .. هذه هدية النجاح !

ولكن كنت أتوق رد فعل من مثل هذا يأتي به أحدهما نحوي ..

رها ..

جاءني صوت المشرفة: " عليك بالسفر إلى والديك " !

تصويت نظراتي نحوها .. تصلبت في مكاني .. قدماي ما عادتا قادرتين على حملي .. قلبي كالحمامة يرجف بين أضلعي، تلعثمت، ما أقول لها ؟ – ترى ثمة شيء قد حدث – !.

– أبي مريض ؟

– لا تبتئسي يارها، سيكون بخير إن شاء الله ..

كانت تلك آخر كلمات سمعتها أو خيل إليّ بأنني سمعتها يصوت المشرفة، والعربة كانت تلتهم الطريق .. لم أتبين شيئاً من ملامح المدينة .. " ثمة من سيقرأ أسراري " لم أحصد دفاتري، نسيت احتضان أقلامي، تركت حجرتي في عجل وتلفحت بعباءتي .. وما حلفت كثيراً بما دونها .. أتخيل أبي وهو مسجي على السرير. ماذا حل به يا رب ؟ لا تفجعني يا رب، لا تقهرني .. يا رب يكفي قهر الزمن والحذر والخوف .. يا رب هل

سيكون قادراً على محادثتي ؟كيف سأراه ؟ .. يا رب كيف سأحدثه ؟ .. يا رب كيف سيكون ؟ يا رب سيعرفني ؟ يا رب هل هو حادث مروري ؟ " إنهم مغمرون في التيه، مكابرون في لا مبالاة .. يحصدون بعرباتهم الأجساد التي تلتئم عن قلوب رائعة أو غير رائعة .. هل تراهم حصدوا قلب أبي أم جسده ؟"

- شعرت بذعر .. انتقض سؤال رهيب في ذهنها ؟
-كيف حدث أن مرض أبي في يوم الأربعاء ؟ أم تراه منذ فترة ولم يخبروني بذلك .. - إيه أبي يا عالمي الرائع الذي أثق - ..

نهبت الطائرة الأرض والسماء أزيزها يوقظني من استغراق أبله غبي غامض رهيب مندهش فأصحو من أفكاري على الإرتطام بأرضي .. هذه مدينتي ..

لحظات وسأعرف كل شيء ..

تمدد الزمن ..

ثقلت الخطوة ..

تكوم الزمن والمسافة بين الطائرة ومنزلي جبلاً ثقيلاً يربض بين قدمي .. !!

ترى من سيقابلني في المطار ؟!

وأفقت من هواجسي ومخاوفي وحنيني وعواطفي على أرض المطار .. فجأة سرت في عروقي رعدة .. تبللت عرقاً ثقلت قدماي .. تصبب

العرق على عيني من جبهتي ثلجت أطرافي .. تسمرت عيناي عليه .. على أرض المطار .. انتحر الصدق ..

مفاجأة غامضة تلك التي ثقلت على صدري .. انكبت صوتي .. غار في أعماقي .. تمدد بين فمي وصدري .. ما عاد لي صوت !! ها هو .. إنه .. هذا هو .. أبي ..!!

-كل الذي قدرت أن تنطق به لحظتها -!:

أبي ليس مريضاً .. إنه يقف بكامل قوته أمامي على أرض المطار .. يبتسم لي ما هو هذا الدافع القوي لأكذوبة سخيفة كهذه ؟ ..

ثمة شيء يهجس في أعماقي !!

بين موطئ قدمي ..

وموطئ قدميه .. تمددت جنازة ..!!

سخطت لثوان على المشرفة .. ترى هل كذبت عليّ .. ولماذا .. وهل تجرؤ على ذلك دون إيعاز .. هل ثمة ما يدعوها لارتكاب خديجة كهذه ؟

وفي المنزل .. كنت أمام أبي أمي .. قلبي توجه إلى السماء أن يغفر لي سوء ظني للحظات في تلك المخلصة التي رافقتني في خوف وحنو إلى الطائرة .. وكانت تدعو معي لأبي بالشفاء والسلامة ..!!

اللحظة .. شعرت بأنني الوحيدة التي تحتاج إلى من يدعو لها بالشفاء ..

مضـى اليـوم الأول .. ومـا زلـت في ذهـول مـن سـر الأكذوبـة. فالصمت يحتوي .. وجه أمي لم يعد ما يشد فيه أهدابي، لأن تتسمر .. وجه أبي لم يعد فيه ما يستدر شفقتي .. هذا المنزل الذي أعد ساعات وثواني ولحظات الأسبوع لآتي إليه ما عاد فيه من شيء يغربني أو يشوقني .. هدوء بخوف .. صمت بحذر .. موت .. خوف .. وجل .. ترقب .. مؤلم .. كل منا على حذر من الآخر .. كل منا يطوي على نفسه سره .. جسـور كثيرة بيننـا .. " ثمة مـا يعلمانـه " .. وشـعرت بالضـياع وبـالخوف لساعات اليوم .. ذلك الهاجس الغريب الذي كان يراودني لم يكن غير زائر بعث بخياله قبل أن يقدم ..

ففي المساء .. اقتربت مني أمي .. في نظراتها كلام لا يطمئنني .. وجلـس أبي علـى مقربـة منهـا .. قفـل أخـي الصـغير البـاب مـن خلفـه وأسكت صوت المذياع .. وحلت علينا سكينة رهيبة لبضع لحظات ..
– مـا هنالـك .. أخـبروني وانتشـلوا عـني مخـاوفي .. "كـان صـوتي ذلـك السيف السيف الوحيد إلى شق ظلام السكوت " ..

– لا شيء يا ابنتي فهو أمر قد يسر – قالت ذلك أمي – .
– وتزايـدت دقـات قلـبي .. كـل دقـة تسـرع تسـابق أختهـا حـتى شـعرت بالغثيان والدوار .. ثمة شيء يهجس في أعماقي – !! وأكملت أمي:
– نود أن توافقي على الزواج من رجل تقدم منا سابقاً ورفضته ولا نجد مبرراً لرفضك له الآن !!.
– أهو ذاته ذو الجيب العامر والبطن الكبير .. ؟

وبلا مقدمات .. ودون أي تمهيدات .. لا مست يد أمي وجهي في صفعة قوية مفاجئة ..

- أمي .. " وامتص وجه أبي " .

- أنت مكابرة، لن تضعي رؤوسنا في الحضيض ..

- أي حضيض هذا .. ؟

- لن نتفاهم .. وقسراً ستوافقين ..

- ولن أوافق ..

- ولن يكون بيننا ود .. أبداً ..

- "ستنسين أنك أمي .. وأنني نمت تسعة أشهر في أحشائك " أتقسرونني على الموت ؟

- الموت .. أهون لو أنك تصرين على الرفض ..

كانت تلك آخر الكلمات التي سمعتها من أمي .. أما أبي فظل ضعيفاً كالعادة أمام وجه أمي .. لا يعبر إلا بملامح وجهه .. في حين انكمش أخي على آلامه وذهب .. وأسرعت اللحظات .. جاءتني أمي بعصا ..

ضربتني في حجرتي حتى برحت جسدي .. شدت شعري ذلك الليل الذي جدلت ضفائره بيدها طيلة سني عمري وهي ترعاه شعرة شعرة، وحنت عليه ولو قدرت أن ترضعه من ثديها لما تراجعت .. حتى تباهيت به أمام قريباتي .. أسدلته على كتفي، كانت مع خصلاته تنجدل رائحة يد أمي، حسبتها تظللني به لأكون يافعة جميلة بين أترابي .. ما

حسبت أنها تعدني كصاحب القطيع يغذي ماشيته لبيعها في يوم النحر !! شدت شعري .. فتساقط عمرها بين يديها .. نزف أنفي دماً .. ابتلت يداها .. تناثر بعضه على ملابسها .. ولم يهزها شيء.

صرخت – أنا – ذعراً من لون الدماء .. تذكرت صوت المذياع ونحن – أنا وزميلاتي – نربض بجواره نبكي ونتلهف حسرة على كميات الدماء التي تهدر لضحايا الحروب ويسفكونها على الشوارع المزفتة وتحت أعمدة النيون، وتعتصر أفئدتنا من وحشية أبناء الزمن الحاضر .. قلب أمي .. كجلاد أخرس. داس شرايينه، وخنق نبضاته، ومضى على أشلائه .. قلب أمي كجلاد غبي .. تعلق بجيب عامر .. وأدار ظهره لقلب عامر .. ألقتني على الأرض .. قفلت الحجرة بالمفتاح دوني .. ومضت ..تحولت أمي إلى مارد .. هذه ليست أمي .. ربما تكون خديعة أخرى .. تحدثوا كثيراً عن غسل الأدمغة !!

بكيت .. تألمت .. ثم تحجرت دموعي .. حملت ملابسي وجففت دمي .. حملت خصلاتي وربطتها بعضها ببعض .. صنعت منها حبلاً طويلاً .. حاولت أن ألف به عنقي ..

" أمي قدمت لي الحياة والموت "..

مرت أيام ثلاثة .. لم أتذوق طعم النوم .. ولا الأكل .. هؤلاء ليسوا أهلي .. خيل إليّ أن الطائرة حملتني إلى غير مدينتي .. إلى أناس لا أعرفهم .. ربما أكون في كابوس مخيف ولعل المشرفة تأتي بعد ثوان لتوقظني منه .. ولنكها لم تأت .. وتتابعت الأحداث ..

القهر .. المرض .. الموت .. الانتحار .. الوجع .. بين جسدي المريض وجسديهما مسافة .. بين قلبي المظلوم وبين قلبيهما جسور قد سقطت عليها عاصفة فحطمتها .. تذكرت ذلك الهاجس " الرعب .. الرهبة .. الحذر .. وجه أمي .. ".

- قلبي ينكمش – عاودني الإكتئاب .. أتلمس ثمة رابطة الآن بين وجه أمي واكتئابي المزمن أبداً ..!!

" بين وجه أمي ومستقبلي خيط اكتئاب رهيب !!".

أتمدد الآن خلف الباب .. لا أحد يزورني .. لا من يحدثني أو أحادثه ..

مدرستي تلك القابعة داخل أسوار رهيبة عالم ممتزج متحرك .. فناؤها أخضر واسع .. أناسها يعيشون قصصاً متفاوته .. فيها أرى الناس .. أشاهد الصحف .. أستمع إلى معلماتي .. أتجاذب الحديث مع زميلاتي .. لا أرى أمي .. ولا أرى أبي .. أشتاق إليهما ..

أحتضن أسراري في دفاتري ..

أجدل ضفائري أو لا أجدلها بحرية ..

أعبث بأحلامي في سرية .. بيني وبين قلمي .. بيني وبين السماء .. لم تكن لي أكثر من فترة محدودة كنت أعلم أنني سأمضيها على أية حال وأعود بعدها إلى دار أهلي .. أو إلى داري الخاص !! ذلك الذي حلمت به وكبر حلمي بحجم الفضاء .. وأراه الآن كفقاعة الصابون.

صفعات أمي حطمت فقاعات الصابون ..

تحول منزلنا إلى سجن والسجانون أهلي .. !

" ما أصعب أن يكون أبوك قاتلك وأمك من يسفك دمك "!!

- وما أشد من رعب ذلك الذي تبذره يداهما ..-!

تمزق جسدي .. أعلم ذلك من الوخز المتواصل يوقظني من هواجسي شيء واحد يظل يعيش فىّ هو قلبي مبعث إحساسي .. !

إيه .. ما أروعك يا ألهي .. القلب والإحساس وحدهما ما جعلت ملكيتهما من أشد خصوصيات الإنسان !

ما زلت أسمع وقع أقدام في الخارج .. أخذوا عني مفتاح حجرتي .. كان عمري كله ينام في حقيبتي !!

رنين الهاتف يأتيني من الخارج ..

صوت أبي يصرخ ليصل سمعي .. يحادث زميلاتي هذا ما يبدو ..

-رها مريضة .. لن تدرس .. ستسافر ..

لكم يكذبون .. ليتهم سلبوني بصري وسمعي !

لماذا لا يقولون لزميلاتي الحقيقة .. ليتهم أنجبوني خرساء بلهاء لا تعي! إنني مضروبة .. مسجونة .. مهددة .. ممزقة مساماتي مسفوك دمي .. جدائلي تنام على الأرض .. أنفي ينزف على يد جلاد أخرس .. هذه الحقيقة لماذا لا يجرؤون على قولها ؟!

صوت المفتاح يعالج الباب .. هذه هى .. هذا هو الجلاد .. ترى ماذا ستفعلون غير الذي .. لم أقدر على البكاء أبداً ربما لن أحسن الضحك إطلاقاً ..

وجهها يتقدم مني .. زرعت فيه نظراتي .. تتقدم .. أطيل التحديق .. تتقدم .. أشعر بحدقتي ستنفجران تتقدم .. ولا أدري في أية دوامة غرقت !..

الزحف الأبيض

لطيفة ابراهيم السالم

ذروة الجهود تبذلها في هذه الفترة من النهار .. حيث أعمالها كلها مكثفة الآن .. اعداد الأطفال لبدء رحلة التحصيل اليومية في المدرسة القريبة .. وتقديم الطعام لهم .. والاطمئنان على ترتيب أمورهم .. ثم .. اعادة تنظيم البيت وترتيبه .. وإعداده لاستقبال الزوج المتعب والأطفال العائدين .. أحلامها كلها تنحصر في تهيئة الجو .. لبناء أسرة سعيدة ناجحة .. وأقصى أمانيها أن ترى الثمرات الصحيحة لحرثها .. ناضجة مزهرة.

– ماما .. لقد انتهيت من ارتداء ملابسي قبل الآخرين .. هل أذهب لاعداد الفطور ؟

انتزعها الصوت الحبيب .. من أفكارها المعتادة .. فألقت نظرة حنان على ابنتها .. وطبعت قبلة سريعة على وجنتيها .. وصاحت:

– هيا .. تعالي يا هند .. ساعديني في اعداد الطعام .. وأمسكت بيديها الناعمتين .. بمرح .. وجرتها إلى المطبخ .. يا لهذه الطفلة الحنون .. لم تحاول بذل المساعدة فوق ما تطيق سنواتها العشر .. وبلمسات سريعة .. أنهت اعداد مائدة الافطار .. وتوجهت إلى غرفة الصغار .. يا لهم من كسالى ..

– ألم تنتهوا بعد .. ؟

ولم يرد عليها أحد ..

- أين أنت يا ماجد .. سعاد .. أين أنتم ؟

ولا مجيب .. أخذت تتلف حولها .. وتنادي ولا من مجيب .. ذهبت إلى الحمام .. إلى الغرفة الأخرى .. ولم تجد لهم أثرا.

عادت إلى غرفتهم .. وأخذت تنادي .. وفجأة .. وبشيطنة لذيذة قفزوا جميعهم أمامها .. يتصايحون كأنهم أفراد إحدى قبائل الهنود .. فأمسكت كلا منهم .. تعالجه بقبلة سكبت فيها كل ما يفيض به قبلها من حنان وسعادة .. وبشراهة لذيذة .. وصيحات ضاحكة .. أتموا تناول طعامهم .. فتبعهم نحو الباب لتوديعهم واحدا واحدا .. والسعادة ترف بجناحيها حول الوجوه البريئة .. وعادت لتجد الزوج العزيز جالسا إلى المائدة .. يحاول أن يلتهم بقايا الطعام .. فصاحت بمرح:

- هل نزلت .. ؟ انتظر .. انتظر .. سأعد فطورك سريعاً ..

وبعد أن انتهى من تناول الفطور .. نهض مودعا إلى بعد ساعات قليلة يشحن خلالها مزيدا من الشوق للأسرة الحبيبة .. وبقيت وحيدة، لتبدأ رحلة الإستعداد لاستقبال الأعزاء العائدين .. ولذلك .. وبهمة ونشاط .. انصرفت إلى أعمالها المنزلية المعتادة .. وصفير ومرح يخرج من بين شفتيها .. إن أعمالها الصغيرة هذه .. لا تحتاج وقتا .. إنها لتعجب من زفرات الضيق والتذمر التي تطلقها جاراتها وصديقاتها .. أين هى الأعمال الثقيلة التي يتضجرن منها ؟ أين هو الوقت الضيق الذي يشكينه .. إنها لا تدري سببا لهذا التبرم والضيق هى تملك نفس الوقت .. وتؤدي

الأعمال ذاتها .. لكنها لا تشعر ضيقا ولا حرجا .. ربما يتركن الوقت يتسرب من أيامهن في زيارات غير مجدية .. ربما يضقن بالعمل .. بل إن العمل وله وسعادة.

ربما لا يجدون السعادة التي تغمرها في كنف زوج عطوف وأطفال مرحين. وتذكرت أطفالها .. لكم تخوفت من الأطفال ومسئولياتهم .. بل طالما تخوفت من الإقبال على الزواج .. كانت تعتقد أن الزواج في معادلة بسيطة واضحة يعني الانتقال من حياة منطلقة سعيدة .. إلى حياة لا يفارقها فيها إحساس ثقيل بالإلتزام نحو كثيرين .. وهى عندما خنقت ترددها آخيرا .. وافقت على التضحية بالكثير في مقابل حياة تجهلها وتجهل نتائجها .. كانت تتوقع الكثير من التنازلات التي قد تجد نفسها ملزمة ببذلها .. ولهذا حاولت أن تعد نفسها للبذل في سبيل أي طارئ .. لكن الأمور جرت بطريقة مغايرة تماما .. منها هى .. دون تنازلات .. وسهولة وعفوية .. تمارس هذه الحياة على نحو عكسي تماما .. لمعادلتها القديمة.

وفي ساعات العمل .. بسرعة .. أدركها وقت العودة .. ألقت نظرة على الساعة في معصمها .. بقى أقل من الساعة .. يجب أن تهيئ نفسها لاستقبالهم .. وتوجهت إلى غرفتها .. لتغيير ملابسها .. وعلى نغمات رقيقة صادرة عن جهاز الراديو .. أخذت تصفف شعرها .. في محاولة لخلق تسريحة جديدة تفاجئهم بها .. منذ متى ؟ لا تدري .. المهم أن تحرص على التغيير من حين لآخر .. في أي شئ .. نظام منزلها .. أو

شكلها هي .. كي تستمر عملية تغذية المنزل بشحنات دافقة من الحياة والحيوية .. وفي لحظة انهماكها في تأملاتها .. لمحت شيئا .. أو خيالا .. دقيقا أبيض .. ربما كان لعبة من ألاعيب خداع النظر .. ربما لكنه خيط أبيض .. دقيق يسكن في مفرق شعرها الغزير كالشعرة البيضاء .. ربما كان أثرا من آثار الغبار الذي نفضته عن المنزل .. منذ ساعات .. وحاولت أن تمسك بيدها .. عليه .. لكنه لم يتحرك .. انه قطعة من شعرها .. إنها شعرة وشائبة .. ماذا ..؟

كيف تجرؤ على قول "شائبة"؟ هل هي .. هل هذه شعرة بيضاء حقا ..؟ أعني هل أصبحت " عجوزا " كلا .. كلا .. ما هذه الخاطرة المزعجة ..؟ لماذا تفكر هكذا ؟ هذه أوهام .. لا وجود لشئ .. لماذا تعكر جداول سعادتها بهذه الخيالات المزعجة .. ؟ لكنها حقيقة .. وأي حقيقة ..؟

يجب أن تتأكد .. كيف تخاف من شئ غير واقع .. وقد يكون مجرد .. وهم .. وبطء مرتجف .. مدت يدها إلى .. حيث الخوف مجسما .. وببطء .. حاولت أن تتأكد .. لكنها سحبتها سريعا .. إنها تخشى الحقيقة. تخشى المواجهة .. إن مستقبلها كله يكاد ينهار فوق رأسها .. في هذه اللحظة .. كلا .. إنها ليست .. إنها ليست .. يجب أن تتخلص من هذه الأوهام المزعجة .. إن هذا ليس إلا .. ومزق توتر افكارها .. صوت جرس الباب .. لقد عادوا .. وبيد مرتجفة رتبت شعرها

.. ونهضت متثاقلة نحو الباب لتستقبلهم وسحابة الألم تكذب ابتسامتها الباهتة ..

ودخلوا .. دون أن تقول شيئاً .. لقد نسيت كيف تستقبلهم .. وأسرعت إلى المطبخ دون أن تتفوه بشئ .. لم تشعر قط .. بأنه يجب أن تقول شيئا .. وبصمت كئيب .. أعدت طعام الغذاء .. واجتمع شمل الأسرة حوله .. كان للصمت صوت قلق .. سيطر على الجو .. وبدأ أن الجميع قد أحس أن هناك شيئا .. شيئا ما .. طارئا مزعجا .. وتطلع الأطفال بعبون ملأها حزن متساءل .. نحو أمهم .. ما بها .. ؟

وانتظر الطعام باردا .. بعدما عزفت الأيدي عن الامتداد نحوه وزحفت الدقائق في توتر .. وفي غمرة الانشغال بالأفكار المتصارعة في ذهنها .. التفتت نحو المائدة .. إنها لم تأكل شيئا بعد .. بل إن الطعام

لازال مصلوبا على المائدة .. لماذا لا يأكلون .. ؟

التفتت نحو الأطفال بقلق: لماذا لا تأكلون .. ؟

وبكل الألم والخوف اللذين تفجرا في نظهراتهم المعلقة بها .. أدركت السر .. إنها هى .. سأنانيتها .. لحظة انشغالها بذاتها .. تحسها المرتاع نحو المجهول .. أنساها اياهم .. وإنهم كل شئ .. ذكرياتها اللذيذة .. واقعها الهين .. وغيبها المشرق .. إنهم كل شئ وهى .. بعيدة عنهم .. لا شئ .. ثم .. ماذا تعني .. شعرة .. وتذكرت بغصة: شعرة بيضاء .. تتوج رأسها .. ؟ أليست بوحا صريحا .. يؤكد أنها قضت أجمل سنوات عمرها كأسعد ما يتأتى لأي أخرى أن تقضيه ؟ إنها لم تفقد شيئا .. بل ها هو

حصادها الرائع بين يديها .. ينمو .. وينمو .. فماذا يزعجها .. ؟ المزعج الآن .. وبحق .. هذا الخوف المبهم .. والألم الممتزج بالناس احبتها .. وبانتفاضة الحياة .. التفتت إليهم:

– لماذا لا تأكلون .. ؟ خذ يا سعد هذه أكلتك المفضلة .. ثم أتمتت:– هيا .. لنأكل الطعام .. قبل أن يبرد ..

أحمر الشفاه

شريفة الشملان

الطبول تقرع كالمطارق على رأسي المثقل .. الفستان الوردي يدب فيه النمل ليقرص كل قطعة بجسدي .. فلا أستطيع أن أحك وأترك للنمل حرية الحركة ..

تتمايل ابنة خالتي برقصة .. تنثر شعرها ذات الشمال .. يسقط رأسها في حجري .. تتمايل بلا رأس .. أنفض حجري بلا مبالاة. خالتي تقرب إناء الحناء من يدي التي يمسكها سيدة سوداء .. تبسمل السيدة بينما النساء يصدحن بالزغاريد وتنقلها أذني كنواح .. ترسم السيدة أشكالا على كفي، ترسم عقربا كبيراً .. العقرب يكبر ويكبر أحسه يملأ ذراعي .. ولكن آلة صماء لا أحس فقط انظر له .. لون الصبغة أتخيله دمي ودمه اختلطا ليمرا على كل النساء يخضبن أصابعهن به .. تسقط دمعة رغماً عني وتفرح أمي .. إن ابنتها خجولة .. وتبكي أسفاً على فراق أمها .. تنتهي الليلة وتبقى آثارها في كفي أحمر قاني كأنها نار تحرقني .. تمر ليلة أخرى وبعدها ليلة الزفة فستان عرسي الأبيض كفني الناعم ألبسه .. تنثر أخواتي الورد على رأسي .. كلهن فرحات ومتمنيات لأنفسهن طريقي إلا أنا .. يمسك بذراعي جلادي الجديد، لقد وقع له والدي عقد ملكيتي وقعها وأوصاه خيرا بي.

-" اضحكي يا نوره —
- ابتسمي — الناس سيقولون ".

بحركة آلية ترسم شفتاي بسمة ألم .. وجلست يحيطني الورد وبجانبي الزوج يبتسم يمر بيده على شواربه .. يقدم لنا الشراب أحمر قاني بلون الدم يمد يده ليجعلني أشرف رشفة صغيرة كأني أبلغ العلقم .. أتمني أن أصرخ أن أسحب الورد من رأسي أن أضرب الجالس بجانبي والمعازيم كلهم بكعب حذائي .. ولكنني قررت أن أستسلم للنهاية .. ومشيت معه نذبح كعكة العرس .. ثم مشيت الهويني معه لمذبح إنساني .. عندما قبلني على جبيني أحسست أنني (..) وأنه (..) حاول أن يكلمني لم أجبه كان صوتي قد اختفى وتظاهرت بالنوم ثم نمت وأنا بكامل ملابسي .. وعندما صحوت .. وجدت نفسي كما أنا بينما الجلاد كان يرقد على الكنبة بالصالة الملحقة بالغرفة .. غيرت ملابسي وتسريحة شعري فدخل عليّ .. تخليت أن كل قطعة منه ثعبان عنيد يخيفني .. ولعله لاحظ نوبة الرعب التي اجتاحت عيناي .. فتركني ومضى للحمام وخرج متعطراً مهندماً .. عندما حضر أهلي .. شعرت أنه أكبر ممثل قلت في نفسي ربما كان الجلادون مثله يجيدون التمثيل .. أمي مسكتني على جنب تريد أن تعرف مني شيئا كعادة الأمهات يغلفن فضولهن بالحب. ولكن مثله تظاهرت بالسعادة ولم أقل لها شيئا.

وبعد أسبوع كانت الطائرة تقلنا لروما حيث يدرس هناك وخلال سفرنا جاءني صداع قوي وطلب لي زوجي " اسبرين " وأخذته وغفيت فأحسست خلال غفوتي يدا تفرش على الغطاء .. كانت يده.

وفي الشقة الصغيرة التي أنا سيدتها عشنا ثلاثة أشهر كان يحاول أن يكون صديقا وأخا وأنا لم أجل عليه بدور الخادمة المطيعة لا شئ غير هذا .. فراش نظيف .. فراش نظيف وأكل طيب وشاي في كل وقت .. وأما عواطفي فمع الشيخ الذي ذبحته ليلة عرسي .. أما جسدي فبقى نقيا ..

اعتدته .. اعتدت دخوله وخروجه اعتدت صمته الكثير ودروسه الكثيرة .. كما اعتدت عمل ميزانية لمصاريف البيت الصغير يسلمني إياها في رأس كل شهر .. رفضت أن ألقى زملاءه وزميلاته وأزواجهم أو زوجاتهم ولم يضغط عليّ بل تركني على حريتي .. بدأ يخرج أحيانا لوحده للقائهم ولم أعترض فليس من حقي ذلك ما دام عرض عليّ لقاءهم من قبل ..

ومرت ثلاثة أشهر أخرى .. عندما تأخر كثيرا ذات ليلة فقلقت عليه .. قلقا لم أكن أتصوره .. وأصبح الصباح وهو لم يعد، جاء وقت عودته من الكلية ولم يأت .. وأسقط في يدي لا أعرف أحداً من أصحابه ألجأ إليه .. فأذهب لكليته وأسأل عنه .. أين أمضي ماذا أفعل .. هل مات .. هل قتل .. أم مريض لست أدري وكدت أجن .. ورحت ألوم نفسي .. كان مثاليا معي فقابلت مثاليته بالجحود كان رجلاً ولكني

ألبسته بعيني ثوب وحش .. ورحت أعدد مزايا في نفسي وأشهق باكية .. وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة الثانية سمعت صوت مفتاحه يدور .. وصرخت فرحا وعتابا في آن واحد ورميت نفسي على صدره لأول مرة منذ ستة أشهر، اكتشفت أن صدره ملئ بكل العواطف عندما ضمني إليه .. وبكيت .. بكيت كما لم أبك طيلة حياتي ولم يكن يقول شيئا بل كان يمر بيده على شعري الطويل مهدهدا ويضغطني على صدره باليد الثانية .. وعندما أفرغت كل دموعي وجفت، سألته عاتبة عن سبب تأخره قال وهو يخرج منديله من جيبة ليسمح آثار دموعي:-كنت أختبر حبك لي.

وذهلت: حبي لك

ونظرت خلال ذلك للمنديل الذي مسح به دموعي .. به أحمر شفاه قاني .. وصرخت "كنت مع امرأة. إذاً .. ".

قال بلهجة تنم عن عدم المفاجأة " وماذا في الأمر .. "

قلت .. طبعا مستغل وضعك هنا .. لو كنت هناك لرجمت .. "

قال بلا مبالاة " الرجم للمحصن فقط ".

وأسقط في يدي .. إنه محصن اسما وليس فعلا وكلامه صحيح .. وأحسست أن ثلج الماضي الذي ملأ حياتي يذوب والشبح يطير بهدوء من قلبي .. ولكن كبريائي كامرأة لازال يقوم ضئيل جدا. لم صمت طوال هذه الفترة. قلت له محاولة تخطي الحاجز..

-كنت أنتظر حلول هذه اللحظة .. .

وهل كل مناديلك ملطخة هكذا بالأحمر.

- أنت التي تغسليها وتعرفين ذلك أكثر مني.

- لكن لم ألاحظ.

- إذا هذا أول منديل يلطخ وأوعدك سأستعمل مناديل ورق مرة ثانية .. وعندما رميت نفسي للمرة الثانية عليه وبكيت وضمني له وخطيت معه الحاجز الصغير .. وبدأت تباشير حملي تظهر وبدأت أختلط بالزوجات وأرحب بهن في منزلي ولم أشعر يوماً أن المنديل الملطخ بالأحمر قد ضايقني بل نسيته في سعادتي الحالية إلى أن قال لي زوجي يوما .. لم تناقشيني بصاحبة أحمر الشفاه الذي على المنديل ؟ .. "

قلت له:- اعتبرتها نزوة قبل الزواج وليس من حقي مناقشتك بذلك .. " فمد يده ولفني إليه وقال .. ياحبيبتي إنها منك وفوجئت: - كيف مني .. وأنا ..

وقبل أن أكمل قال صحيح ليست من شفتيك لكنها من قلم أحمر خاص بك .. إنه ذو الغلاف الأزرق .. ووقتها تمنيت أنني احتفظ بالمنديل لأقارنه .. ولكني على كل حال صدقت زوجي فليس هناك داع لأكذبه ..

استئناف

رقية حمود الشبيب

يستوي في هذه الساحة الرحبة أن يصدر الحكم المطلق بالإعدام .. أو أن يتربص بي الحكم إلى وقت آخر ..

اصطف القضاة ثلاثة والجرس رابعهم، أو لعلهم أربعة والجرس خامسهم، أو ربما بدا في الوسيط.

باغتتني ضحكة قوية ترددت لها ردهات القاعة، وجحظت لها عيون قضاتي .. ثم غشتني نوبة بكاء هائلة ونشيج قوي برقت له قلوبهم .. ثم تولتني لحظات سعال قوي جاف أحسست وكأنه يهدم ويجرف ويسحق أمعائي (وحوصلتي) وابتسمت عندما تذكرت أن الإنسان لا حوصلة له وأنني لست دجاجة أو ديكا .. لم يكن هناك شاهد عيان واحد ولا حتى شاهد نفي وإثبات.

وكانت القاعة كأنها المتهمة لا غير ..

تملكتني رغبة ملحة في أن أقفز وأنا مكبلة في قفصي، وأعانق قضاتي، كانت رائحة الأول تشبه رائحة أبي، أما الأوسط فبدت لي ياقة قميصه قذرة، وقلت لعله تشاكس في ليلته مع امرأته وكافأته بمظهره هذا، أما الثالث فعندما أقبلت عليه كانت تأخذه سنة من النوم .. قرع الجرس وبدأ القاضي الأشيب مكفهراً .. لعله يستعجل أمره .. وبدت القاعة خالية .. ورأيت وأنا المتهمة الوحيدة أن أوجه اتهامي أيضاً إلى (سيدي

القاضي) وأن أترافع بقوة .. رفعت سبابتي، وكان عليّ أن أمارس على نفسي عملية تلقين.

وبصوت مبحوح وبعد أن بسملت رسمت للقاضي حدود مأستي وأني دخلت هذا السجن من باب واحد وأن ابناء يعقوب دخلوا من اثنى عشر باباً .. وأن الطير التي قطعت أربا ووزعت فوق عدة جبال عادت تحلق .. اعتقل القاضي لبرهة وجيزة حروفي .. وغزتني نظراته القاسية .. تلجلجت ثم صرخ في .. استأنفي ..

انطلقت من تحت أبطي ضحكة قوية .. ورأيت أن همي يحرضني على هذه الإنطلاقة .. استنفدت أكبر كمية من القهر ليلة البارحة قبل أن أعدم في هذه الساحة الخالية إلا مني وسيدي القاضي .. طرق بمطرقته .. رشف رشفة ماء .. ثم تلذذ بامتصاصها .. خطر لي أن يرتشف من انفاس امرأة يحبها .. ثم امسكت الضحكة الطارئة .. شاهدت بين عينيه بقايا جرح غائر .. قلت لعل سيدي القاضي كان بطلا محاربا ومن ثم تذكرت أن القضاة (عدول) فقط وليسوا أبطال حرب .. ابتلعت ريقي وأحسست بشظايا ووخز يغزوني ويدميني .. ومددت يدي وتخللت أصابعي خصلات شعري الفاحم وأحسست أن القاضي تنتابه حمى وانتفاضه خفية .. وانتهزت الفرصة وبعثت ببعض من رائحتي لتستدرجه إلى الإعتراف غير العلني المضمن بنظرة.

وقررت فجأة أن أقيس المسافة بيني وبينه بالقدم .. فأخذت اقترب وعيناه تتسعان .. اقترب وأنفاسه تتسارع .. واقترب وشعر رأسه يتحرك .. وأقترب وسيوف أهدابه تنتصب لتصد هجومي .. وأحس أن لحظة المداولة يجب أن تبدأ وأن عليه أن ينهي الجلسة، ضحكت .. قلت لسيدي القاضي ومستشارية إن بيني وبينه أربعة أقدام أو (فراسخ).

طرق منضدته بعنف، ووقف، وكان طويلا وكالجبل ضخما، ثم جلس، ثم طلب مني أن (أخرس) وخرست وأقفلت فمي، وكنت أعرف أنه يرسم زوايا فمي، ويقيس استدارة شفتي .. ولاحقته نظراتي .. استرخى على مقعده لأنه يحب أن يصدر قرارا ينهي هذه القضية المعلقة .. وتفصد جبينه عرقا .. توليت الإجابة على أسئلة لم يعلنها .. وقرع الجرس وكانت القاعة خالية إلا مني، وبدت لي أصابعه القاسية الضاغطة على الجرس كخيوط عنكبوت واهية .. تمردت وأصررت على الإعتراف الكامل الطويل المفصل وأن عليه أن يستمع بأذنيه وليس بعينيه .. وترجل بي إحساس ملح لإبرام اتفاقية هدنة أو صلح .. وكان الصلح بحضور (سيدي القاضي) .. وقف، طرق بمطرقته، وقرعجرسه، ثم جلس، وأسندت ظهري للمقعد، وحددت أربعة شروط للقبول بالحكم.

الأول أن يستصدر سيدي القاضي أمرا باطلاق سراح نظراتي وإرسالها إلى أقصى شعرة في رأسه وأعمق قشرة تحت جلده، وحرث جمجمته واستصلاحها، واستنبات كمية كبيرة من الحلول للقضايا المعلقة، ثم عليه أن يحدد لي كم خسائر الحرب القائمة ومتى يتم اغتيال (الدولار)

والا يكون في ساحة القضاء قضاء إلا يكون في ساحة القضاء إلا أنت، وأن تخرج كل القوافل العربية، والجيوش المجيشة داخلك وأن تتجرد من اقليميتك، وأن تنذر (الرفاق) أن الحادثة تعني أن نرجم بحجر، وأن لا تبني بيتاً زجاجيا، وأن الهلاميات هذه سوف تتبخر، وأن الجنس البشري سينقرض من المجاعة، وأن الماء سيلغى من العبوات، وأن على سيدي القاضي بعد هذا كله أن يستصدر حكما بالإعدام شنقا لكل ألسنة الإذاعات الموجهة، وبعد هذا سأقبل بحكمه ..

سيدي القاضي .. استصرخ العدالة في ردائك أن تأتي إليّ فجأة بلا قرع جرس وبلا جرعات من مائك الغائر وبلا همهمات مستشاريك.

سيدي القاضي: انتهت مرافعتي التي لم أنطق منها حرفا واحدا، لكنك حتما فهمتها .. وعليك أن تخلع نظارتك وتتفحص قراراتي بعينك المجردة ودعك من قرع الجرس فالعالم حولك في غفوة إلا من قاض، ومتهم، واقترب فالشمس تبدو مستديرة مشعة، والقمر دائما هلالا، وسيتفق العرب في العام القادم على عيد واحد، ولن تحتاجنا المجاعة .. وستمطر السماء كثيراً.

فاجأت سيدي القاضي ضحكة قوية وأخذ يسعل بصوت قوي .. ثم بصق في منديله الأبيض .. وأكملت حديثي .. لن يغزونا المرض .. لكننا نحن العرب سوف نحارب بعكاز خشبي واحد .. ولكن ما رأيك سيدي القاضي أن تطلق سراحي لأحارب بك ..

رشـف مـن كوبـه، ثم اسـتدار إلى مستشـاريه .. ولأول مـرة يصـله صـوت شـخيرهما .. أسـند رأسـه إلى منضـدته، واسـتأنف معهمـا النـوم .. محـذرا مـن إيقاظـه إلى حـين إجتيـاح النـور مـن منافـذ القاعـة .. وعـادت الضحكة تزورني .. ثم أشرت إلى قيدي .. لكنه كان في سنة من النوم .. وقبل أن ينام أشار إليّ أني طلبت أكثر من شروطي الأربعة، وأني يجب أن أذكر أن شهادة الرجل بامرأتين ..

قلت له: وقيدي.

وكانوا ثلاثة والجرس رابعهم ..

ونفذت إلى أنفي رائحة مختلفة من أنفاسهم الكسلى .. وقررت أن أكسر قيدي .. وأن أتسلل قبل أن يستيقظ قضاتي وأن أهرب إلى منفذ نور ..

وأن أحكم حولي طوق نجاة .. على ألا تكون لي شروط بل أن يستصدر حكما غيابيا بحقي .. وتسللت هاربة .. بعد أن استوليت على جـرس سـيدي القاضـي لـئلا يقرعـه مـرة أخـرى لسـيدة محكومـة بـه .. واصطحبت معي نظارته حتى يكف عن تضخيم الحروف .. وعد لآلئ الأنثى المبتسمة له ..

وقبل أن أهم بالفرار داهمتني سنة نعاس قوية، واسندت رأسي للقفص من الخارج، وتكومت على نفسي، وحلقت حالمة .. وكنت أطير وكان المكان مستطيلا .. وأنا لا أطراف لي سوى أجنحة مقصوصة.

قلت: كيف أحلق وأنا مقصوصة الجناح ..

وإلى الآن لم أفق .. وقضاتي يسبحون في عالم آخر ..

وسقطت ورقة التقويم وانتهى عام ..

ولم يتم الاستئناف.

التوقيع: متهمة(*)

(*) من مجموعتها " الحزن الرمادي " ، نادي القصة السعودي ، اصدار: ١٤٠٧هـ.

هناك .. حيث كل شيء .. ولا شيء

أميمة الخميس

كيف ستفهم منطقي اللولبي .. كيف سأقودك من أول الخيط لكي نصل إلى منتهاه، هل تكوينك سيحافظ على مساره لكي نصل إلى هناك .. هل شبكية عينيك ستسستطيع أن ترى تلك اللوحة التي تشرئب خلفي وتحتوي على المئات من الأشياء الصغيرة الحميمة الدقيقة التي تنبضن ورائي فاتحرك وأنطلق من خلالها.

الهواء بارد ثلجي، مشغول أنت بمساحات سيارتك وعن الطريقة المثلى لإزالة آثار المطر عنها .. قبعتك تخفي نصف وجهك .. ولا أكاد ألمح منك سوى معطفك الأسود المتجهم ويدك الرخامية الكبيرة ترتخي على مقود السيارة .. أنتصب بجانبك متحفزة، قلقة .. تحاصرني بأسئلتك أحتار سأتقمص أي أنا ؟

أتوكأ على خيال واسع أخبرك أكاذيب مهولة .. أغمص عيني وأذهب هناك .. هناك بعيدا حيث تتقطر الأعمار رويدا .. رويدا في محيط البلادة والجمود. أنتزع ورقة من بين أوراق التاريخ وأسرد لك الثرثرة التي هناك .. أحلم .. تعجبني حدقتا عينيك وهما تتسعان .. هل أنا أخبرك أم أنني أوصف امرأة أحاول أن أرى بها نفسي .. أصصم قالباً أدلق فيه هذه الأشياء الكثيرة المبعثرة كشعر ساحرة مجنونة.

متوحدة الليل تهرول فوق مساحات العطش .. تحاصرها كثبان الرمل أو قطة منزلية واعدة أصمت دبيب الترف فوق جسدها حنينها إلى البركان.

تتتالى الصور .. أبتديها .. أخلعها بسرعة رهيبة لا يهمني إن أنت لمحت كذبي فأنت مهيأ لتهضم كل شئ .. ولن تقف كذبة في حلقك كابوس حرقة تساومك دفء الليالي.

سيارتك تنطلق مسرعة حادة .. وبعينك ينمو حقل أسئلة (السنجاب الحالم الوداع الذي لمحته في قفص الاختبار اختطفت فطرية الغابة من عينيه ولم يبق في عينيه سوى نعيب الخوف ورائحة مواد الاختبار المقززة).

هل أنا مرتكبة خجلي .. لا أعتقد أو لربما الخيط حولي جعلني أكف عن التفكير بالطريقة المثلى للتعامل مع الذين حولي .. كل شئ ينساب بطريقة مبرمجة حدثني عن (التليفزيون) بحماس غريب .. خفت وساورني شعور أنك ستلقي بي من سيارتك إن كان اصطحابي سوف يؤخرك عن موعد برنامجك المفضل.

المطر ينهمر بشدة والأشجار الباسقة ترتفع عاليا كصف طويل من (المردة) الأحجام الكبيرة هنا تثير رعبي، هناك الأحجام صغيرة دقيقة تخجل .. تخجل حتى ان تنمو .. بالداخل الهواء له طعم قنبلة موقوتة .. تنسكب الأضواء على الوجوه فتبدو ملطخة موحشة تختفي وتظهر تحت الأضواء كأننا في كوني نتوء في هذا المحيط، أردت أن أتناغم مع هذا

الصخب .. رجوت عروقي لتنبض ولكنها تخشبت كشجرة عجفاء لا شئ سوى طوفان غربة يندلع في الداخل .. الحوار غوغائي لا أعي نصفه .. وحيدة أنا كحشد من علامات الاستفهام (لو انك هنا كانت خطواتي ستتسع، صوت ابتسامتي سيلتمع .. وستستيقظ الطفلة التي نبشتها في الأعماق .. وستمارس طقوس طفولتها كما يجب).

أنت .. أنت فقط وجدت الطريق إلى الداخل .. وسأظل أبحث عن مدينتنا الخرافية التي رفعناها فوق غيوم الحلم ولأنها بعيدة زجاجية السراب .. فسأظل معلقة بين زمانين ومكانين .. ولأنها خرافية كلون أفق فجرى ولأنني كنت وكنت أنت.

فستظل نطفو روحين بلا هوية خارج مدار الزمن.

هل هذا الكون المبرمج سعيد. أتفرس في وجوههم بشدة لعليّ ألمح خيوط السعادة تتوهج ولكنني لا أرى سوى وجوه تملك صناديق صغيرة تفتحها فتمنحها ثوان من الحبور يعقبها حزن أسود شرس يقتص من جميع ساعات الفرح التي اغُتصبت من بين فكي الزمن، يدك كبيرة بيضاء جامدة كيد تمثال أغريقي قديم أحس بطعم (ساندوش اللحم البارد) تحت لساني حين تربت على شعري، غثيان رهيب يصاحبني منذ زمن.

شألتني — هل أنت مشتاقة لوطنك؟

- لا أدري

- كيف؟

– أنا الآن في مرحلة عراك صدام مع الطحالب التي تنمو بالداخل أحاول أن اجتثها عن جوهرة الشرق إلى هناك حيث لا شئ .. وكل شئ.

حاولت أن أتذكر جاهدة اسم قريبتك التي اخبرتني أنها تزوجت شابا من وطني .. راجعت سجلات داكرتي ولكنني لم أفلح.

أخبرتني أن زوجها كان اسمه – اسماعيل – إبراهيم شئ من هذا القبيل لم أفهم بالضبط .. ولم أذكر.

تذكرت شيئا واحدا كان يرقد صغيرا مؤلما في حنايا الذاكرة ولكنه انبثق فجأة واحتوى كل مجال نظري.

ذكرتك يا نوف .. ووجهك المتسق الصافي .. وأحاديث شعرك .. وطريقتك الخاصة في رسم الكحل حول عينيك .. يداك الصغيرتان .. خطواتك المتسارعة .. أنت وأخي والحلم الذي ارتفع فوق أرض الزلازل ليشرف على هاوية العمر .. لمع كل هذا كواد خصيب وسط قحط الذاكرة .. مكالماتك المتلهفة .. أحلام مضيئة وهبت للردى .. وتهاوت في بئر العفن.

نوف .. لقد أصبت بعادة قضم الأظافر بعد أن أحسست أنه كان لي دور في لقائكم .. آه ياهناك .. يا حيث كل شئ .. ولاشئ ..

يستفرس الضجيج أحس بدوار لا أرى سو هذه اليد البيضاء الكبيرة كم أو أن أخرشمها أمزقها لكي تكف عن محاصرتي بالأسئلة ..

مللت من سرد الأكاذيب .. حتى بدأت أحس أن وجودي في هذا المكان كذبة أيضا.

- شوق

- شوق؟

- لا أدري فأنا مشتاقة لك فقط.

قفز إلى حلقي طعم ساندوشاللحم البارد فرصة جميلة لنصب فخاخ السخرية كوني خبيثة يهدئ من إحساسي اللحوح في خربشة يدك الرخامية المثلجة.

(الغبي تعدى عليّ تميزنا .. تفردنا .. طقوسنا .. مفرداتنا .. الخاصة بنا حيث الشوق قصص ودواوين .. وديان وتاريخ .. قمر متوجد .. وليل متوحد أسوار وأحاج للنجوم. شعرت وكأنني أستاذ يؤنب تلميذه لتعديه على كتابه الخاص. أنصت إليّ كالعادة .. كنت أشك أنه فهم ما أقصده بلغتي المتعثرة .. لم أكن أريده أن يتطاول على أكثر مفرداتنا صميمة).

لم أكن أريد أن أؤذيك بل كنت أحلم بحل صاخب حاسم يقنعك من أمامي فلا أعود أراك. كنت أكثر سذاجة من أن الطمك بفراق شرقي حارق.

-وداعا

استبقت ردود الفعل لديك.

هرولـت إلى الخـارج ومعـدتي تقلـب مـن طعـم سـاندوش اللحـم البـارد. تنشقت الهواء البارد .. ملأت به صدري وأحسست بحنين مرعب يخترق جوانحي .. انشقت الصخرة .. أضمحل كل شئ متوحد متوهج. لن أظل معلقـة بـين زمـانين ومكـانين. هـدأت أرجـو حتى. ذكرتـك أيهـا البعيـد .. وتنهدت وخرج الصهب حارقا له طعم (نجد).

وضاع الأمل

ثريا ياسين قرش

ابني الحبيب أمل:

أكتب إليك رسالتي هذه من قلب أم تحمل كل الحب والعواطف والآمال إليك ..

لقد ساءني جداً ما حدث، فقد تلقيت رسالتك التي بعثت لي بها مع صديقك تخبرني بأنك سوف تهيم في هذه الدنيا وتبحث عن طريق آخر بعد أن ضللت طريق العلم والمعرفة.

لقد خرجت يا أمل من عندنا لترى نتيجتك للمرة الثالثة في الثانوية العامة، وقبل أن تذهب كنت أعلم أنا النتيجة لكنك أقنعتني وأصررت بأن اجابتك هذه المرة كانت سليمة وأنك سوف تنجح وذهبت وكلك ثقة.

وعلمت بعد ذلك من صديقك أنك عندما علمت برسوبك خشيت غضب والدك وحملت ما معك من مال وقررت السفر لتشق طريقاً آخر.

وآسفاه يا بني على حصاد العمر .. لقد كنت يا أمل الشمعة التي تنير حياة أبويك .. لقد كنت شمس حبنا التي ظلت لسنين تشرق حياتنا وأنبتت فيها الأمل والحياة والبسمة .. لقد بذرناك في الخصب تربة

ورويناك بأطهر عرق وبثينا فيك روح الحب والشجاعة والتضحية. لقد عدت بذاكرتي يا بني إلى الوراء .. لأراك وأنا ألاعبك في أرجوحة الحديقة وأركب معك .. وأركض خلفك .. وأشاطرك كل شئ، لقد ربيتك يا أمل بيدي .. حتى ملابسك كنت أشعر بالسعادة عندما أحيكها لك، لم أسمح للحائك أن يضع يده على جسمك، ولقد كنت أصر حتى بعد أن كبرت أن تأكل الطعام من يدي .. أتذكر لعبة (الليغو)، تلك المكعبات الصغيرة عندما كنا نبنيها سوياً، لقد كنت ماهراً في بناء القلاع الشامخة والقصور، لقد كنت تخطط المشاريع وتقول: هذا قصرك يا أمي سوف أبنيه لك وسوف أضع لك من حوله شلالات صناعية تتسرب فيها المياه، وأختار لك أجمل أنواع الزهور من سويسرا، وأجمل أنواع الطيور من الهند والسند — ليكون لديك الماء والخضرة وأنت الوجه الحسن، إنك أجمل امرأة رأيتها في حياتي .. وكنا نبني سوياً الأمل والطموح .. وتكبر أنت ويكبر الأمل..

أتذكر يوم أن قلت لي لماذا أسميتني أمل يا أمي؟ فأجبتك (يا عيون ماما)، إن أمل هو أمنية سبع سنوات بعد الزواج وبعد أن أخبرنا الأطباء أنه لا أمل لنا في الإنجاب أنا ووالدك، ولكن حب الولد أصبح يكبر في قلبي، وظللت أحلم بذلك اليوم الذي يكون فيه طفل يملأ حياتي حباً وسعادة .. وبعد سبع سنوات شاء الله أن أحمل .. وكانت مفاجأة للجميع فقدرة الله يا بني فوق قدرة الأطباء، وأدهشت هذه المعجزة الجميع .. عندما قررت أن أسمي هذا الطفل أملاً سواء كان ولداً أو بنتاً،

فأمل اسم يناسب الجميع .. هل علمت أيها العندليب الصغير لماذا سميتك (أمل) .. لتظل أمل حبي وحياتي .. تغرد على مدى السنين، عندما ابتسمت. إذن أنا أمل حبك وبابا؟ .. آه يا شقي لقد أخذت ذكاءه ..

وكبرت وذهبت إلى المدرسة وأدخلتك أرقى المدارس لترتقي أخلاقك، وكنت أحفظ معك الأناشيد وكنت أحياناً أخطئ في حفظها فتصحح لي ذلك: غلط يا ماما (موكدة)! لقد كنت أشعر أنني طفلة عدت عشرات السنين.

وكان ترتيبك الأول دائماً، وها هي جوائزك وأوسمتك تملأ غرفتك كما تركتها .. وعندما أخذت الابتدائية كانت أول فرحة في حياتي وملأتني السعادة .. ودخلت المتوسطة وكنت أقف بجانبك أشد من عضدك وأبث فيك روح العزيمة .. وحصلت على الشهادة المتوسطة وكنت أحد العشرة الأوائل، وكنت أنا الشمعة التي تحرق نفسها لتضئ لك الطريق، وقبلتني وقلت لي بلهجتك الحبيبة، عظيمة يا ماما، أعظم أم، إفرحي ابنك الأول كعادته .. ثم تسير إلى غرفتك وتتكلم بلهجة ضخمة تقلد فيها صوت الكبار: وراء كل رجل عظيم امرأة.

وكنت أبتسم أنا ووالدك ونطلق ضحكة سعادة رنانة .. لقد كنت حياتنا تكبر فيكبر معك الأمل .. ونرسم سوياً طريق حياتنا، كنت مغرورة بك وكنت مخطئة .. فالإنسان يجب أن يكون واقعياً يرسم طريقين للحياة

فكما للحياة حلوها .. فأيضاً للسنين مرها .. وكما ينظر الإنسان إلى الوردة فيجب ألا ينسى أن بجانب تلك الوردة أشواكاً قد تمزق أيدينا وتجرحها، وتنزف دماؤنا قبل أن نحصل على تلك الوردة .. وتحديث معك يا أمل الأشواك.

ودخلت المرحلة الثانوية وبدأت تتعرف على أصدقاء جدد .. وبدأت تكبر يا أمل .. وبدأت تتغير لهجتك وأسلوبك وأفكارك.

لقد فوجئت بك يوم أن جئت تطلب مني سيارة "جاكور" مثل سيارة صديقك فهد .. واستنكرت ذلك منك وقلت لك: إنك لا زلت صغيراً، وأنا لا أسمح لك في هذه السن بقيادة سيارة، فحياتك غالية عندي وليست رخيصة لهذه الدرجة حتى أجعل روحك هدراً بين أيدي هؤلاء الأولاد الطائشين. وغضبت يومها وصفقت الباب ولبست ملابسك وخرجت ولم تعد إلا في الثانية بعد منتصف الليل. كانت أول غلطة وأول طريق لك للتهور .. وحاولت أن أنصحك وأعيدك إلى رشدك، لكنك تركت كل شئ وأهملت دراستك، وكنت كثيراً ما أسمع جرس الهاتف يرن ثم أراك تلبس ملابسك تاركاً ما بيدك من كتب وتجري كالمنجذب خارج البيت. (أنا يا ماما رايح أذاكر بره)، لم أعودك يا أمل على المذاكرة خارج البيت، اجلس يا بني فسوف ندرس سوياً كعادتنا .. فتجيبني بضحكة ساخرة (عسى ما كنت تحسبي يا ماما أناشيد ومطالعة بتع زمان، هادي كتب على مستوى الثانوي ما تعريفها)، وكنت تقنعني وأنت تحمل كتبك معك بأنك سوف تدرس عند أصدقائك، ولكني كنت

أحس بحاسة المرأة وكما يقولون – للمرأة حاسة سادسة – إنها لعبة وإنك تسير مع هؤلاء الأصدقاء بدون هدف.

وكانت النتيجة في الثانوية العامة رسوباً .. وتغيرت حياتنا وبدأت الغيوم تخيم على سماء حبنا، لقد كان أبوك يومها قاسياً معك وكنت عنيداً وقدمت للإمتحان للمرة الثانية، وكانت النتيجة كسابقتها، وقد حاول أبوك أن يخرجك من المدرسة لكنني توسلت إليه أن يمنحك فرصة أخيرة. فمنحك هذه الفرصة وتركت هؤلاء الأشرار لكنهم لم يتركوك، كانوا يؤثرون فيك تأثير السحر .. وكنت تضعف أمام إغرائهم، ورميت بنصائحي عرض الحائط .. وفي نهاية هذا العام كانت هذه النتيجة .. لقد علمت أنك ذهبت إلى بلد آخر لتبحث عن عمل وتعود لتكفر عن خطئك .. لقد أخطأت يا أمل وها أنت تدفع الثمن، وها أنا أبعث إليك رسالتي من قلب أم أصابتها خيبة الأمل في أعز إنسان لديها .. فأنت لا تعلم صدمة رسوب الولد على الأم. إن قلب الأم يا ولدي كبير ولا يبخل بشئ .. لقد أحسست يومها ناراً تحرق كبدي .. لقد خيبت كل أحلامي وحطمت كل الطرق، لقد حولت السهول إلى صخور. يعلم الله يا ولدي كم أبكيك وأنت حي، وأعلم أنك في ذهابك قد تركت قلب أم يتلظى حراً وشوقاً .. كل ما أتمناه لك أن يسهل الله لك الطريق وحسن الرفيق .. أن يقرب إليك صاحب العطر وأن يبعد عنك نافخ الكير .. لعل الغربة ومرارة الأيام تعلمك ما لم أعلمه لك في سنين ..[*]

---

[*] المجلة العربية ، ١٠٧٤ – ذو الحجة ١٤٠٦هـ – سبتمبر ١٩٨٦م

رند .. وإرث الحكاية

منيرة الغدير

الصيف نازح إلى السواعد وأنا أنفصل عن ذاكرتي كورقة تمزق ببطء .. أنفصل عن كل الأسماء .. أنفصل عن هذه المدينة .. وأخرج من خيمة القبيلة لتتلقفني خيام الضياع والتشرد .. احاول احراق الوجوه بكبريت اللامبالاة.

(كانوا يحاصرونك يا نورة ..!!)

ونوره من حصار إلى آخر .. ومن هروب إلى آخر .. تبصقني المدن .. والشوارع فوق أرصفتها الخالية من المارة في مساءات باردة .. ذاكرتي تسقط الوجوه كأجنة قطة ملقاة فوق رصيف مهجور .. والرصيف قادم .. والمجهول يقترب .. وأنا ابنة الأجواء الحارة .. ابنة النزق .. ومدارات الاستواء ..

وأغنية مطرب خليجي نصب في أذني، وبصوت حزين ملتاع تتساقط كلماتها كالغياب .. أسند رأسي فوق الوسادة وأنظر إلى سقف الغرفة، النور يصب في حدقتي .. أركز عيني في النور الأصفر .. المتقد .. أشعر بحرقة .. أدعك عيني، تسقط دمعة .. اثنتان .. أحسن بلذه تسري في جسدي، استسلم للنور ثم أضيع في رؤى شبحية .. والمغني يواصل البكاء .. أحلق فوق أجنحة اللحن الشرقي إلى عالم الشرق الملئ بالحكايا والأساطير .. يا أنشودة الشوق .. يا عبق الحكايات القديمة.

النور يصهرني إلى لوحة ذكرى قديمة كتلك اللوحة التي تلتصق بالجدار وتأبى السقوط.

ذاكرتي تواصل بصق الصور .. لوحة قديمة تصر ذاكرتي على اعتقالها .. يتضح وجهك. وأرى ابتسامتك .. عينيك منذ الصباح وشعور عميق ينغرس داخل صدري .. تمتد أشواكه بين ضلوعي .. كل الأشياء عادية .. وقلبي نهرين بلدين .. لا شئ جديد .. خواء يلف الوجوه .. والشعور الغامض يمزق صدري وكلما حاولت نسيانه بالتحدث وقطع الصمت أو في قراءة مقاطع من مسرحية هاملت تستيقظ في وخزات مؤلمة .. أضع يدي لعلي ألمسه، لعلي اكتشف العلة .. لكن الألم ينبعث من أعماق مطمورة بالغموض والصحيفة تتمطى أمام عيني وخبر كالحرية يختبئ في جسد إحدى الصفحات .. كنت معزولة مع هذا الشئ الغامض المدفون في أقبلها برتابة .. الأخبار مكررة .. الأقلام انتهى حبرها فبدت كلماتها باهته متقطعة .. أكومها فوق المكتب .. وأنغمس في الأوراق .. وأرى صحيفة فوق الركن الآخر أمد يدي، أفتحها، أخبارها مملة هى الأخرى .. افتح الصفحة الثقافية .. مجرد كلمات مستهلكة أرى خبرا صغيرا ينزوي بحياء في الصفحة المقابلة .. المعرض السنوي للفنون التشكيلية .. أقرأ الخبر .. الأسماء المعروفة تشترك في المعرض .. وفجأة ينشق الأفق .. وتلتهمني فوهة المفاجأة .. ويحرقني لهب الصدفة .. اسمك يا خالد .. بكل أحزان المجروحين يجتز صدري .. يضاجع ألمي .. يتحول قلبي إلى نهر .. مياهه الشقاء والأنين .. وأسطورة حكاية قديمة قارب

مثقوب يرجع القبيلة، ورائحة الدم الأزرق .. وتنزف ذاكرتي حكايات المساءات الأخيرة .. كنت أدمن الانصهار في الحان شتراوس وموزارت وشوبان .. أتجرع كل ليلة كأساً مليئة بأوجاعهم وإبداعاتهم، ومساء البارحة كنت أندثر بحزن موزارت، وهذا الصباح تدثرني مفاجأة يحملها خبر في صحيفة بائتة .. (سأراك هذا المساء .. سأرى تفاصيلي الصغيرة .. وحكايتي في عينيك الساعة الخامسة ميعاد الخوف .. وتوقيت الصدفة الخارجة من رحم الزمن. الساعة الخامسة اللقاء الأول .. وبدء الحكاية الساعة الخامسة أغنية حزينة ستنزفها حواسي في هذا المساء).

اجزائي المنهكة تركض بحثاً عن ملجأ .. هرباً من القادم .. ومن مفاجآت الغد .. جيوش القبيلة تركض .. وتنسف الغبار في وجهي .. أكاد أختنق .. والجو حار .. حار.

يبدو أن الصيف قادم. يا لتحول الفصول وتقلب اجوائي .. الحزن خنجر يندس في صدري، واللحن الشرقي يفجر داخلي أحزانا أخرى .. امرأة قادمة من ليالي الشرق .. الحزن كحل عينيها، والحب نهر اسطوري لا يتسع لنزق فتاة تدمن الهروب والغربة .. يالغربتي النابتة في عيون الصبايا .. غربة تنقش الوحشة بمساميرها النارية فوق كريات دمي .. حكايات تهمي من ذاكرتي قطرات موجعة .. كنزف جرح أزيحت قشرته الأرجوانية .. قطرة .. قطرة ..وأنا محبوسة في غرفة أكسجين .. مصلوب فوق كرسي عتيق، والماء البارد يقطر فوق رأسه .. قطرة .. قطرة .. ماء بارد .. ماء نقي .. قطرات بللورية تتساقط فوق رأسة عشرات السنين .. أنت يا من

تسكن الذاكرة. يا من تقطن ممرات عروقي هذا النهار .. قطرات ماء باردة أنت .. تتساقط ببطء .. ببطء من ذاكراتي، وتزداد الثقوب في جلد أيامي .. (ذات مساء بارد رأيتك تقطع تذكرة، الأندرجراوند، في تلك اللحظة اخترقني أشعاع غريب .. غريب احرق خريطة صدري .. مررت من الحاجز بعد أن وضعت التذكرة الصغيرة في الآلة، وكنت قد اختفيت وسط الوجوه، وزحام المعاطف وملابس الشتاء الداكنة .. كانت الساعة الخامسة .. الفراغ يضاجع الفراغ .. كنت وحيدة .. يصهرني المساء ويلوكني اسمنت المدينة الخرسانية، والعيوب الشرهة تلاحق سمرتي، وتلتهم أجزاء جسدي.

تدخل طفلتي الصغيرة وأنا ملقاة فوق سريري، تنثر صراخها وضحكاتها في جو غرفتي الشاحب .. ينقطع المنظر الضبابي .. وذاكرتي قطة شرسة تمسك بتلك اللوحة وتواصل نزف سيل الصور المتعددة .. تجثم طفلتي فوق السرير .. أقبلها، والخدر يسري في أوصالي أعبث بخصلات شعرها الكستنائي .. ثم تصرخ في أذني: ماما أبلا سألتني عن اسمي: يقذف لساني المخدر بكلمة مبتورة ا.. س .. م .. ك.

قالت لي: هل تعرفين معنى اسمك يارند .. ؟

ما معنى رند .. ياماما.؟

رند .. رند جيش من الفرسان، وغبار الخيول .. صورة هائلة تركض أمامي: قصائد بايرون وآلهة الإغريق وأساطير الرومان عيناي تعلوهما غشاوة، ويتراءى أمامي فارس اسمر .. بهي يشق قلبي بيرق عينيه،

والأكليل يلتمع فوق جبهته الشقية .. السيف والبيرق، وساحة الوغي، والمجد، واليونان .. أبصرها حولي !

(فبلاد اليونان قد استيقظت)

وكانت كلماتي تتساقط كسولة .. متباعدة في أذن صغيرتي. زهرة النصر .. زهرة المجد البيضاء التي تتوسط ببهاء اكليل هى أنت يارند ..

(لا أعلم أهى زهرة نصر أم هزيمة ..! هزيمتي في عينيه .. وهزيمته في عيون النساء) ماما .. ما فهمت قلت بتثاقل: غدا .. غدا

قالت وكلماتها تتكسر في فمها الطفل: في الصباح " لازم " أعرف معنى اسمي " علشان " ابلا زينة .. وضعت يدي فوق رأسها الصغير أحاول كتم ضجيجها .. رائحة قهوة أمي تجتاحني .. وصوت المعنى يصل إلى أذني (كانت المدينة ترتجف في يوم شتائي .. والسماء تمطر الثلج الأبيض .. البياض يتساقط فوق معطفي الأسود .. والبرد يخترق عظامي .. أعبر الشارع إلى الناحية الأخرى، وبعض المشاة يهرولون بسرعة .. وسيارات الأجرة مليئة بالركاب .. السماء تمطر ثلجها .. وقلبي يمطر الخوف .. والبرد.

تذكرت صديقتي القادمة من مدينة في الغرب .. كانت تحشو ذهني بمحاذيرها الأمنية .. وأنا وحيدة في منطقة الشمال، الصقيع والجليد والوحشة تغطي الأرض .. وتتكئ فوقها الوجوه وتكتسي بلونها الشوارع

.. تزعق إحدى نصائح الصديقة: امشي بسرعة، احرصي على حقيبة يدك.

وبعد الساعة الخامسة .. !يا لهذا الخوف الجاثم فوق وجوه الأسرى .. الساعة الآن الخامسة والنصف، ألا يا لحظة الخوف، ألا يا توقيت الجريمة .. السماء تواصل نزف البياض .. وأنا أمشي فوق الرصيف، وأطيل خطواتي .. أزداد تكورا داخل ملابسي الصوفية، والدم يتحرك ببطء في شرايين وجهي .. مازال طويلا .. والغربة تتلقفني أينما اتجهت .. الشوارع .. والثلج .. والوجوه .. والمقاهي .. والفنادق والبنايات تمضع غربتي، وتقذف في وجهي وحدة قاتلة .. وليلا يئن في صدري كل مساء .. أتابع الركض لعلي أصل قبل أن يبتلعني الظلام .. تلفح وجهي حرارة منبعثة من تدفئة مقهى صغير، أتجاوزه ثم أشم رائحة القهوة .. الجو بارد وأنا بحاجة إلى أن أتوقف .. أحتاج الدفء .. هاجس: الدفء لن يشفع لي أمام الظلام وحماقة الغرباء .. قطعت التردد بالعودة خطوات إلى الوراء إلى المقهى الصغير، دفعت الباب .. جاء الجرسون وأجلسني في زاوية خالية وعن يميني زجاج النافذة .. جلست وطلبت قهوة وفطيرة .. السماء مازالت تنزف البياض .. وأنا أنظر إلى عقارب ساعتي .. أتعلق بها لعلها تتوقف عن الركض .. لا أدري لماذا أشعر بالخوف من ظلام هذا المساء. والأغنية تنتشر في أرجاء المقهى بلحن رعوي متهاد: سأكون ملجأك من المطر الذي لا ينتهي .. كل كلمات الأغنية هربا من التفكير في وحدتي،

وفي هذا الليل القادم بخناجر الوحشة .. وفجأة التمع داخلي نجم " الاندرجراوند ".

ألفة مغروسة من سنين في ضياع عمري المنسي .. الوجه مألوف .. مألوف .. لا أدري إن كنا عشنا زمنا منسيا في جوف إحدى مدن الغربة .. والليل .. أو أكون قد رأيته في حلم مغزول بنبوءة المستقبل .. مشاعري اهتزت وهو ينظر من خلال دخان لفافته، وملامحه تختبيء بين أشباخ الدخان المتصاعد .. وجع مدفون في أرض صدري .. ينبث الآن .. وتجلدني بسوط لذة خفية.

دفء عربي يحتضنني بين ذراعيه .. وأساطير الشرق يضيق بها المقهى الصغير .. وحكايا البدو، ليل الصحراء وأنين الربابة، وصوت فناجين القهوة، و (الدلة) ونحاسها الأصفر .. والنار .. والجمر، والخدر تفيق .. تتجسد .. تتعرى. يبللني الدفء لأزيح معطفي الثقيل .. يبتسم (الوجه) المألوف، ويحمل فنجان قهوته ليجلس أمامي بعد أن استأذنني بلباقة وثقة، والجرسون يعدل فنجاني والطبق الصغير .. المفاجأة عبثت بنبرات تحيته البسيطة كبساطة ملامح امرأة خارجة من حلم .. ويده المرتجفة كقلبي انتفضت في كفي الصغير ثم استكانت فوق الطاولة .. وكان اللقاء .. لقاء العصافير المهاجرة .. لقاء المسافرين في مطارات مدن الفضاء أو الأرض .. عرفت أن الألفة رائحة لمدينة واحدة .. هى مدينتنا التي قذفتنا كأي كائنين غير مرغوب في بقائهما .. وبدأت الحكاية .. لا أرى أهى في " الأندرجراوند ".. أم في المقهى الصغير حيث أبحث عن

الدفء ورائحة قهوتنا المرة وهجير الصحراء .. أم أن الحكاية أفاقت فوق سيف الألفة الساحرة المغمد في وجهك - يا خالد - .

الجو حار .. منذ لحظة كنت أنغرس في جو الشتاء .. جسدي مصلوب فوق السرير لا أستطيع حمله لتشغيل جهاز التكييف .. والخبر يلتمع في الصفحة الملقاة بجانبي .. يتدفق ماء النافورة .. ويتدفق ماء حكايتك في ذاكرتي .. النوافير البيضاء تستقبلني عند المدخل بتدفقها الحيوي .. الصالة مضيئة بالتماع الكريستال في سقوف الرخام .. صخب الصالة وترفها يمتزجان مع صخب أفكاري وترف ثقتي أصبحت منهكة .. اللوحات تنتشر بثرا في أركان الصالة الممتدة كقصر فني ..

أتجول بهدوء وألمي وخوفي يلونان أرض المعرض بلوحات أكثر حزنا وإيغالا في النفس .. اللوحات تتتابع أمام عيني .. وفجأة تقفز ريشتك، أناملك أعرفها من بين تلويحات كل الأيدي .. لمستك الفنية المميزة تعرفني على عالمك .. أعرف أن اللوحة لك قبل التوقيع .. قبل رؤية احرف اسمك الأولى .. تستوقفني شامة في وجه امرأة سيريالية الملامح .. الوجه يحرك شيئا مخنوقا داخلي .. أذكر تعثر الريشة أمام لوحة القناة الشمالية، شهورا وهى تحتضر بين يديك .. كانت فتاة سمراء يميزها وشم يشع فوق جبينها .. كلما رأيت تقاطيعها تذكرت جارتنا الشابة القادمة من حائل والتي تخبئ سر الشمال في عينيها .. عانيت كثيرا: وكأن الريشة تجف وتتيبس أمام حزن فتاة الشمال .. وفي يوم شجارنا وبفرشاة تنزف الألوان أعميت ملامح الوجه وأسقطت اللوحة بغضب اليأس .. ومات شئ

جميل قبل أن يكتمل .. وتوالى دخول الموت إلى أشيائنا الأخرى .. أرى وجهك يلتمع في الممر .. وشئ كالإحتضار يلتهم أحاسيسي، يذكرني بموت اللوحة .. البريق انطفأ في سماء عينيك .. والهزيمة لازالت قبعة تعيق ملامحك .. وأنا فاصلة مقتولة .. وكلمة تعثرت في فم طفل .. الحزن (ديرة) يا أنت .. تخنقني أسواره وطين جدارنه .. " انظري رسمت عصفورا وشجرة " جملة قفزت إلى رأسي وأنا أقف أمام لوحة " نوارس البحر " بصوت إرثك .. الحكاية الباقية منك .. كنت أدفنك في رتابة يومي .. وفي عادية الأشياء لكنك تنهض في وجه رند .. أرث الحكاية وايقاع الوجع في صدري .. الصباحات تنطفئ ورند تشتعل أسئلة جديدة .. تستيقظ بنثر أسئلتها الطفولية مسامير في قاع عيني تبحث عنك، وملامحها تسحب روحي إلى قبر منسي في الذاكرة .. تنبش ترابه بعينيها المتقدتين كناري .. وتسقط في حنجرتي مواء معذبا .. لا يزال جسدي مكلوما فوق السرير .. والحكاية تنزف في رأسي .. أربع سنين وأنا أهرب منك وأهرب من نفسي .. أغرس إبر الخد في شرايين تمردي ورفضي .. وأواصل الهروب لأغرق في اهتمامات امرأة لا مبالية .. وأغلق عقلي بمفتاح الموت الذي أورثني إياه .. كنت يوما هاربة من عقدي .. ومن أحزان الشوق، وليالي " الحريم " ورنين ضحكات الجواري .. أنسلخ من الرغبة المعلقة فوق جسد امرأة يطاردها تاريخ مشروخ .. أقذف بهويتي في زبد الانعتاق .. أنسي كل الأشياء إلا أحرف اسمي العربية .. وظلامنا وانكسارنا، وهزائمنا انظمها قصائد تحد ورفض .. رفض لاغتصاب عقلي

.. واعتقال حقوقي .. كسرت قيدي في جنون منتصف ضيف، وأحرقت إرث أبي، وتدفقت فوق صدرك غيمة لمطر مستقبلي، وحكاية محبوس وراء الأسلاك الشائكة .. كنت أشهر سيوفي في وجه قبيلتي، وميراث أجدادي والدم الأزرق وأركض إليك، أمنحك انتصاري وحميم التمرد .. كنت أنمو فوق وجهك بعنف الأشواك .. واليوم أنت شوك صبارة ينسحل فوقها صدري .. الصباح يجيء .. الساعة السادسة .. سؤال رند سيفيق داخل عينيها .. الخدر يسري في عروقي .. وحمى الماء قطرات عرق باردة ..

شعور البارحة ينطفئ كألم الجرح .. لتصبح لوحة في تلك الصالة .. الشعور يرتد وأنا منفية خارج وطن الأشياء .. منفية خارج حكاية حكاية إرثها رند ..(*)

(*) من قصيدة للشاعر الإنجليزي جورج بايرون ، اليمامة ، العدد ٨٩٣ ، الأربعاء ١٠ جمادي الثانية ١٤٠٦هـ.

بداية ليل طويل

هيا الرشيد

بدأت أتبين المكان بالرغم من ظلمته الحالكة السواد من خلال ضوء خافت متسلل من فتحة صغيرة في أعلى الحائط الخرساني .. لم أكن في هذه اللحظات قد أفقت تماماً من هول المفاجأة التي تعرضت لها .. أنصت قليلا لعلى أسمع شيئا ما من حولي ولكنه السكون المطبق أبي إلا أن يدخل الرهبة إلى نفسي فلم أسمع شيئا ولم أشعر بوجود كائن حي وكأني بت وحيد هذا العالم الذي بكر هذا اليوم بإسدال ستائره السوداء —كنت أجلس القرفصاء — في زاوية من هذه الغرفة العتيقة والآم رجلي تكمل ما بنفسي من فزع وخوف — وقفت على قدمي بتثاقل شديد وتطلعت هنا وهناك .. لا شئ .. غرفة ضيقة لا أكاد أخطو فيها عدة خطوات حتى أرتد إلى أعقابي وأعود إلى زاويتي وأتكوم على نفسي .. أتى الليل بظلامه الدائم فقد ودعت في أوله نهار حياتي .. عيناي زائغتان أود من خلالهما أن أخترق صفحة هذه الجدران الصماء وأنفذ إلى الخارج. خارج هذا المكان، وإلى الداخل، إلى داخل عقولهم إلى ما يدور في خلدهم ماذا بشأني.

ماذا سيكون حكمهم عليّ .. لا شك أنهم سيتلاعبون بمصيري .. هذا بالطبع لن يضريهم بأي حال من الأحوال بل هو جلّ ما يتمنون .. سيلصقون بي أشياء كثيرة مكذوبة .. للأسف لم أكد أتوقع حدوث ذلك .. ما أكثر ما حذرني الرفاق من مغبة الإهمال، وما أكثر نصحوني بالتريث والحذر .. ها أنا ذا أدفع ثمن التهور بالرغم من أني لم أعمل شيئا ظاهرا ولكني خرقت قوانينهم التعسفية .. هذا بحد ذاته جريمة يعاقب عليها قانونهم الذي وضعوهم

الذي وضعوه من أجلي وأمثالي .. يريدون إرهابنا وتحطيم معنوياتنا ولكن سحقا لهم .. لن يكون لهم ما يريدون .. نحن هنا وهذه أرضنا .. حقا أنا أسير وحشيتهم ولكن الرفاق سيواصلون عزفهم .. سيتحفوننا بسمفونيتهم الرائعة .. وستكون طنيننا مزعجا في آذان هؤلاء .. أشعر بشئ من المرارة وأنا هنا بعيدا عن الجميع، وأعض على أصابعي ندما – لأني أعتبر نفسي قد خطوت الأولى إلى هنا فقد خرجت من منزلي ليلا وسرت هائما على وجهي إلى أن أوصلتني قدماي إلى ذلك القطع من الخلاء وكان السكون مخيفا والظلام شديدا والوقت متأخرا والحرارة شديدة ومع كل ذلك فقد جلست وأنا أتلفت حولي بحذر واستندت إلى صخرة متوسطة في حجمها وسرحت بعيدا بعيدا، وقد عانقت أحلامي ضوء النجوم الخافت .. ذهبت إلى هناك وتركت ما حولي .. النيران التي اشتعلت في كل شئ .. والحرب التي أحالت الكون إلى دمار – هذه الكلمات المتأرجحة كثيرا ما تنبثق عنها شفتاي الجافتان بين حين وآخر – كنت أشعر بالملل الذي سيطر عليّ .. انتابتني حالة تقزز واشمئزاز من كل شئ من العالم بأسره .. الحق سليب .. كرامتي تعفرت بتراب أرضي .. انفعالاتي تذوب أمام وطني المحتل .. أماطل الحقيقة وأستلذ لنسيانها.

ولكن هيهات بين نسيان الواقع والتفكير فيه .. تهتز جنبات كياني لذكريات أليمة، وتتلاشى ابتسامتي بين ردهات وجهي الحزين .. أتظاهر بالابتسامة ولكن الألم لها بالمرصاد .. يسحقها ويغتال نضارتها وهى لا تزال في المهد .. أشعر بوحدة قاتلة في كل شئ .. لا أجد من يشاركني حلم الطفولة والصبا وطموح الشباب .. حلم العودة إلى الأرض والوطن عودة الأهل جميعا .. عودتي كمواطن – ومعاملتي كمواطن – ومعاملتي كمواطن لا كشريد أو

مجرم هارب .. أقطن فيها ولا أشعر بوجودي .. أعيش يرافقني الخوف .. في كل حركة ألتفت وراءى لعلهم يتعقبونني .. منزلنا الخرب أصبح هواية من هواياتهم .. تفتيش باستمرار – تحقيقات – فوضى .. أجد الكثيرين يعانون ولكن الأكثر يسارع بالهرب .. محاولات يائسة أقوم بها وأحلام ضبابية تداعب أجفاني وتهدد الثورة التي تكتسح أعماقي .. في غمرة انشغال عقلي ووجداني رأيتهم قادمين.

سمعت صوت سيارة توقفت .. انهم يتراكضون .. يبحثون عن شئ ما .. معهم كلاب بوليسية ويمسكون بمصابيح قوية .. لعلهم يبحثون عن هارب .. أو لعلها دورية تفتيش .. لا أعلم .. يالتعاسة الحظ .. حتما سيلقون القبض عليّ، وسيلصقون بي أي تهمة كانت .. ولا لشئ سوى التنكيل والارهاب دفع الجميع إلى الهرب .. ياإلهي .. قلتها بفزع فهم يقتربون وعددهم كثير يتراءى لي إنهم أشباح سوداء يتجهون إلى نقطة معينة .. انتفضت من مكاني وسارعت بالهرب .. التفت وراءي .. انهم يقتربون أكثر فأكثر .. لقد شاهدوني واتخذوا مني نقطة للوصول .. أصواتهم تقترب .. أمامي عدة طرق .. ليس لدي وقت للتفكير .. أيها أسلك .. ؟ سأسارع إلى الطريق المنبسط – نعم – فهو أسهل من ذلك الطريق الوعر ومكان الصخور .. أشعر بالتعب والخوف والظمأ الشديد .. لا بأس فكل ذلك يهون في سبيل الحرية والهرب منهم .. لم أشعر بالخوف من قبل مثل هذه المرة .. لم أشعر بالنوم مثل الآن .. ما الذي دهاني .. ؟.

التجول الليلي ممنوع ومع ذلك أخرج ضاربا بكلامهم عرض الحائط .. حتما سأقع في أيديهم وسيكتشفون التنظيم – لقد جنيت على نفسي وعلى

أفراد مجموعتي .. صخرة كبيرة .. الحمد لله .. سأتوارى خلفها وليكن ما يكون .. لن أحتمل الركض أكثر من ذلك .. جلست وتنفست بعمق وكأن كابوسا إنزاح عن صدري .. أنفاسي متلاحقة وقلبي يخفق بشدة .. أخرجت منديلي ووضعته على أنفي وفمي فقد كنت أخشى أن يفتضح أمري .. في هذه اللحظات لا أسمع شيئا .. لقد انشغلت بنفسي عنهم .. أين ذهبوا.؟ لا أعرف ولا يهمني أمرهم الآن .. مررت بمنديلي على جبيني ورقبتي وبدأت استشعر الراحة قليلا. وهب نسيم عليل ففتحت أزرار قميصي القطني ليعيد لي الهواء نشاطي وقوتي وقبل أن تكمل متعتي ظهرت الأصوات من جديد بشكل مفزع ورهيب .. رفعت رأسي من خلف الصخرة ووجدتهم يجرون نحوي وكأنهم اتخذوا مني نقطة للوصول.

بدأت أزحف على يديّ وقدميّ ليتسنى لي المرور إلى الجانب الآخر حيث الأمان منهم والإطمئنان لبعدهم .. أنا أزحف على الأرض وهم يجرون بأقصى ما لديهم من سرعة .. أنا وحيد وهم جماعة .. أنا ضعيف وهم أقوياء .. ابتعدت قليلا ونهضت واقفا واصلت طريقي ولكن على الجانب الآخر – جهة الصخور – أصواتهم تقترب أكثر فأكثر ونباح كلابهم يكاد يصمم أذنيّ .. الهلع يجتاحني مرة أخرى .. الخوف يأسر جوانحي .. من فرط ارتباكي وتعبي تعرقلت ووقعت على الأرض .. أشعر بألم شديد في قدمي .. أحاول الوقوف فلا أستطيع .. لا أستطيع الإبتعاد خطوة عن مكاني .. الألم الشديد يعتصرني .. حاولت الزحف مرة أخرى .. ولكني أغالط نفسي .. سأحتمي بصخرة كبيرة ولكني لم أستطع .. لقد اقتربوا كثيرا .. اقتربوا أكثر فأكثر .. لم تعد بيني وبينهم أي مسافة تذكر .. لقد لمحني أحدهم وأشار إلى رفاقه .. لم أعد أبالي

بشئ .. فقد انتهى كل شئ بالنسبة لي .. لقد سلطوا أنوار كشافاتهم عليّ .. اقترب مني بعضهم وضحكات الإنتصار تدوي في المكان الموحش — أعربي أنت ..؟؟ قالها أحدهم بسخرية .. لم أجب .. اقترب مني وقال — قف أيها (..) .. حاولت الوقوف أكثر فأكثر وأشار إلى أحد رفاقه أن يساعده وبقسوة شديدة انتزعاني من الأرض وأوقفاني .. لم أتمالك نفسي ولم أطق آلامي فوقعت وأنا أصرخ في أعماقي بنهاية العالم وأندب الحظ العاثر الذي أوقعني سريعا بين براثنهم .. المتوحشون .. سيحكمون عليّ بالنهاية ويقضون على حلمي وحياتي .. أغمضت عينيّ فلم تتمالك أعصابي هذا الموقف ولم أفق إلا وأنا وحيد في سلم أعتلي درجاته عندهم يوما ولكن ليس برغبتي بل بالرغم عني.

الحلم المنكسر

فوزية الحميد

(١)

تباريح شوق انبلجت من وجهها الصبوح كانبلاج الصبح من وراء الأفق .. وجه جميل يحمل بين ثناياه كما هائلا من المعاني السامية في حدقتي عينيها تثبت تلك الرؤى .. إيحاءاتها توحي بذلك. كل من حولها لا يفهم لغتها: همسها .. حلمها المكسور .. تبدو جالسة في تلك الحديقة المكتضة بالزهور المخنوقة، تنظر ما حولها، أثارها منظر المياه وهذه الزهور الباسمة رغم اختناقها تتأمل نجمة بعيدة عبر البعد اللامتناهي .. توصيها بهذا الحلم المحتل عقلها .. وتتسربل ذاكرتها بهذيان هذا الحلم المفجع ..

(٢)

تريد أن تهملج على حصان لتكسر الحدود الموضوعة للقفز .. تحلم أن تركض إلى مكان آخر رحب عبر رؤى خاصة بها .. ضاقت هذا الإجترار وهذا الإحباط. تسمع صدى صوت .. حلم: حلم استيقظي من غفوتك .. الركض متعب عبر الرمال الساخنة يا سيدتي.

وخز يعتريها في جسدها. ألم مفجع يجعلها تهرب من هذا الصوت القادم الذي يحدثها عن أبعاد الحزن المذهلة وهذا الجنون والفرح المتمرد .. تبدو شاردة تكره هذا الصوت الذي يتجاهل أسرار نهارها ليوحي لها

بالشؤم .. إنه بحق يحذرها من الركض على حصانها المتهملج ينكسر شيئا ما في مخيلتها .. تريد أحدا ينصت إليها لتحدثة عن هذا الحزن المذهل .. لكنها تبدو وحيدة .. طافت في خاطرها معالم أخرى وواصلت التحديق في العالم الملون.

(٣)

برد قارس في ليلة شتوية مزعجة تلبس معطفها وتضع منديلا على رأسها. تهم بالنزول لحديقة المنزل وتقبع في مكانها المخصص. تبدأ ممسكة ورقة وقلما لتسجل بعضا من خواطرها، تلفتت وإذ بها ترى زهرة ساقطة على الأرض، تتألم لمنظرها تبدأ في كتابة خاطرة عنها تعاود النظر وتتمتم في نفسها من قطف هذه الزهرة ؟ تمد يدها لتأخذها وتضمها لصدرها، تتوسل حلما فوق الإمكان تهمس همسا خفيا، عبثا تداس الزهور اليانعة تعاود الجلوس مرة أخرى وتلتفت لتلك الورقة وهذه الخاطرة المبتورة تضغط عليها بقوة .. (لترميها) وتصرخ قائلة. عبث: عبث: عبث. تهم بالقيام وتغادر المكان.

(٤)

تبدو متعبة وتحتاج لقسط من الراحة تطفئ هذا النور الخافت وتخلد إلى النوم.

(٥)

في هذا الصباح الجميل تتهيأ لرحلة البحر كعادتها في نهاية كل أسبوع. خيال واسع الأفق يأخذها عبر زرقة هذا البحر تركض على

الشاطئ لتسترد شيئا من نشاطها تتأمل بحرا هائج الأمواج وتتوسل حلمها بين أمواجه. تناجي عروس البحر لتحكي لها قصة حياتها السارة تلك الصبوح تحسد عروس البحر .. رجعت خائبة والحلم لازال يراودها، تعب هذا الحصان المتهملج وزلت قدماه وأصيب بالتعب من الركض المتواصل استشاطت غضبا وسلمت أمرها للقدر، صوتها الناي غير مسموع، حقا إنها حصان متهملج.

عبر رمال ساخنة جدا، رتابة تجعلها تتوغل لبعد موحش. حست أن ركضها يمثل المستحيل في الزمن المكسور عادت تحمل بين ثناياها الخيبة تتأمل هذا القمر القابع في مكانه ترجوه وتتوسل في ضوئه الساقط أن يبقى مكانه تشرح له حالها تتنهد في أسى المشتاق وتوصيه بحلم مهشم في الذاكرة، تبكي بكاء مريرا من أعماقها لأنها تعيش الزمن القاسي.

(٦)

لم تستطيع مقاومته كل من حولها لا يستطيع الإنصات إليها تنظر لهؤلاء الصديقات وهذا المكان المكتظ بالناس تهمس لنفسها. تائهون .. تائهون .. تائهون: ما هذه النظرات المتشابهة عزلة سرقت الزهور من حدائقنا والبسمة من شفاهنا الكل يبدو حزينا ما هذا الحزن الأخضر المتسربل بالذاكرة، تبحث عن قلب لم يمسّه الحزن بعد عن فرحة تجدد الحلم في حياتها وتجعل المستحيل أملا أخضر، هذا الحلم سقط مثلما تتساقط أوراق الخريف، وذبلت الزهرة المقطوفة وبدت الصبوح في منظر الحزن الأخضر منكسرة.(*)

(*) ملف " بيادر " ، نادي أبها الأدبي ، ع (أ) ، ١٩٨٦م.

غداً ..!

فوزية الجار الله

أيها النار ! لا توقفي ضجيجك:

انتفضي أيتها الألسنة .. تراقصي دون ملل .. التهمي شعاعا لاذعا .. الرائحة تتصاعد .. تتسلل هاربة من مصيدة الصخب .. لازلت ترقبين تلك الحبيبات .. لازلت تقلبين القهوة .. اقذفي بهذا الإناء جانبا .. لمن تصنعين القهوة ؟! لمن تديرين فناجينها ولا من يحتسيها سواك .. أيتها النار ! لا توقفي ضجيجك .. انتفضي أيتها الحبيبات بجنون .. تقلبي بصمت .. احترقي أو تلوني أو تتأثري .. لا شئ يهمّ .. تقافزي وارتعشي ألما، فما أشبهك بما في صدرها .. حريق .. حريق .. يختنقها بصمت وحشي .. بقوة لا تطيقها التساؤلات المحمومة الهوجاء تتغلغل في خاصرتها كالخناجر تنتصب بالسهام الهالجة .. ألف تساؤل وتساؤل ولا إجابة .. كيف ؟ .. متى ؟ .. لماذا ؟ .. لابد من تعبير .. ستطوقه بحصار تساؤلاتها .. لابد لها من قوة سحرية تحملها .. تجتاز بها كل المساحات التي شهدت انهزامها .. لماذا هى السيدة الطاغية .. تتدحرج كصخرة متعرجة من قمة الجبل إلى قاع الوادي .. تحطم الشجيرات .. تكتسح وريقات السكون وأهازيج الفرح .. لكنها لا تتهشم .. لا تتأوه وجعا لماذا .. تتصدر باستبداد قسري كل أفكارها .. تعانق ذرات الشهيق .. ترتويها مع الماء .. تحرك بها صدغيها كقطعة من المطاط تلوكها دون أن يعتريها

أي تغيير لا تستطيع ابتلاعها أو التخلص منها .. تتحشر بين فكيها رغما عن رفضها .. لماذا تلك الشريدة الضليلة .. تصرخ مشدوهة حائرة ولا إجابة، تعيد حزام الأمان إليها، تبحث عن (لأن) تساندها.. (لأن) فقط لا يهم ماذا يكون، لكنها تريد إضاءة البدء .. لماذا .. انحشرت بين شطري الرغيف .. تغص بها ولو أتبعتها جالونا من الماء .. هنا أمام هذا الإطار الزخرفي الرائع .. هنا فقط تستخدم شتى العدسات الفاحصة المقعرة والمحدبة والمستطيلة بهمها والموغلة في وجعها .. جيوش من الأسئلة .. أمام مرآتها .. سيل من التفاصيل الرمادية .. تتدافع .. تتزاحم في رأسها.

يريدها .. لا يريدها .. يودها .. يكرها .. طرفان على جهتين متعاكستين حوار عنيف .. يضرب في الأعماق .. كالرماح الملتهبة .. سؤال يصفعة جواب وسؤال آخر ينقض ثم يتهاوى كعصفور ذبيح .. إنها تكرهه .. تمقته بكل ما فيه .. تود لو تنفض عنها تلك الأجواء الخانقة .. تغادر ذلك السقف الذي جمعهما .. الذي شهد الأحاديث الربيعية الممزوجة بوهج الصفاء .. لكنه يسكنها .. أتراها تنسلخ عن ذاتها .. لو رحلت إلى الأقاصي البعيدة .. لو صعدت الفضاء .. إنه ينغرس، كنبتة فريدة تشرئب ثباتا في وجودها .. آه يا وجهها الشاحب .. تتقاطر ألما .. أشبه بخريطة ممزقة المعالم، شفتان فالحتان .. عينان متورمتان .. جفنان مثقلان بالتعاسة .. ولكن لازلت جميلة .. فنانة رغم كل شئ !! عشر سنوات والشجرة لا تثمر .. أيتها المسكينة التائهة .. الأشجار التي لا

تثمر تقطع أو تموت منسية .. الزهرة تذبل حين لا تستحيل ثمرة .. جسد مقفر .. ذاك الوعاء الذي تمتد من خلاله السلسلة البشرية، مجدب حتى القاع .. حفنة من الحجر تشتعل في أحشاء عمرها.

– آه فلتمطرني الرحمة .. بأصابعها تتلمس الدرب عبر خصلات شعرها .. تضغط بكفيها على جمجمتها .. تشتد هذه الخصلات قليلا .. تنحني أمام الإطار الزخرفي وتشرع الأبواب للحديث المالح من أحداقها.

– وياللفاجعة إني ألتحم به .. اليوم لا تتفق أنسجتها مع أنسجته .. ينغرس الوجع في جبينها .. في كفها .. في رسغها .. في نظراتها .. لابد له من طفل يعبث بشاربيه .. أنانيته ! بل حقيقة معتقه !

الصور تتقافز إلى ذاكرتها الواحدة تلو الأخرى .. صورة العروسين يرقص الفرح في وجنتيها .. يدخل الدار ويناديها وتجيبه الزوايا والمقاعد والأشياء المستكينة .. يا نداء يستخرخ النهار الدافئ .. يا نداء ينغرس في ذاكرة أيامها .. ليبق نداؤك عزفا على أوتار الشفق .. نشيدا يعانق مسارات الربيع .. ويهمس في أذان الوجود .. فتذكر جيدا أن العروس كانت هي !!

إنها متعبة لا تريد مجرد التذكير أو استرجاع الصور المتقادمة العهد .. تود لو تتخلى عن ذاكرتها .. عقلها .. ذاتها.. جدول صغير يتلألأ بين الأضلاع .. يشع .. يترنم .. ليته لا يغيب ولا يضمحل، ليت حقول

التفاح لا تنطفئ .. لن تطيق أيام الوحدة القادمة دون خطواته .. رسمه .. حضوره .. الباب لن ينفرج عن ندائه .. لن يبتعد .. لكنه هناك !!

الأخرى .. هى أيضا تنتظر .. هى أيضا ترفض المفاوضات والحصص المنقوصة .. الأخرى قادمة وبرضاها هى .. تغتال أفراحها بيدها .. إنه القدر ! له المد البهيج ولها الجدب المقيت .. أيام مالحة وحشية تنتظرها .. سراديب من الوحدة والعذاب تركض إليها .. أيها التبلد أقم هنا .. تملكها أيها الغباء .. طوقها أيها البرود الغائب .. هلم إليها واعتصرها بين ساعديك .. اجعلها قطة ثلجية، اجتثت أقاصي شمال الأرض .. القصف مازال مستمرا على كافة محاور نفسها .. وهى تتساءل .. تتلفت هروب .. هروب من الذات إلى الجحيم، فلتكن الأجمل ولتكن الأروع .. الأكثر دفئا وانثيالا .. والأكثر دفئا وانثيالا بعنفوانه .. بدوائره وخطوطه .. ألا فلترحل أيها النشيج .. أيها الصقيع .. فلتوقد قوة وتفاؤلا لربما عاد يوما .. لربما عاد .. الحبيبات .. يهدر الضجيج ولا من يشرب القهوة معها تديرها .. فنجانان واحد لها وواحد لغربتها .. لحزنها السرمدي. غدا تصنعين القهوة .. ويناديك الحزن من أقصى الدار .. يشدها صوته، ينتشئها من بئر الصمت .. من خضم الأفكار والتوجس حين استدار، خطا خطوات ثابتة لا مندفعة ولا متمادية .. مبهمة تسمرت عيناها بانحناءة العقال الأسود .. واصطفق الباب .. انطفأ وهج السؤال هنا وانتصب أشباح صفراء هناك .. لا صوته .. لا امتلاء الدنيا بوجوده .. لا شئ حتى آثار خطوه .. تلاشت

.. حفنة من الجمر إستحالت رمادا وبقايا من رائحة البخور .. ترقد في الزوايا .. بعد أن قضى عليها اللهيب، المعجزة لاتزال في يدها المبتلة بالعرق .. غدا هى والقهوة والغربة يجمعهما مجلس واحد .. غدا ينطفئ السؤال ويبدأ اللهيب !![*]

---

[*] المجلة العربية ، ع جمادي الثانية ١٤٠٧هـ – فبراير ١٩٨٧م.

تقاسيم مجنونة لدائرة ما

ليلى الأحيدب

مدخل:

الجنون أن يحيط بنا البرد .. يغمرنا .. يقبع في ملابسنا ونظل نردد أن الدفء الذاتي يمثل سورا ما تجاه البرد .. الجنون أن " ندلدل " رقابنا إلى الخلف نحو أفق الشمس .. أن نحدق في خط بدايتها وننتظر أن يصل نظرنا إلى خط النهاية .. الوصول ليس جنونا ف " الشمس " دائما تصل ونحن قاعدون " ندلدل " رقابنا نحو أشياء سخيفة .. الجنون أن نراقب حركة خط البداية، أن نراقب وهج الجمرة حين يغمره الرماد حين ينتشر البرتقال مرايا تغلف وجه النخيل .. الجنون أن تحاول إيهام نفسك أن الوحدة توحد في آخر رغم أنها في الحقيقة بحث عن التوحد .. عن الآخرين الذين من الممكن أن تجدهم في وحدتك .. الذين يشاركونك الوحدة حضورا في الذهن .. تقلب أوجه الذاكرة .. تمتد بك الذكرى .. يمتد بك الجنون .. الحضور الذهني .. تلمس حدود الوحدة وتحاول التوحد في أزمنة الحزن المشلول .. في أزمنة الحزن الآتي .. وتبدأ في إزاحة الرماد ولمس الجمرة ..

جنون الحزن في أزمنتي المقبلة:

أمي هل أبكيك الآن ؟ كل الناس يبكون أحبابهم بعد موتهم فلم لا أبكيك الآن ؟ كل الناس لا يتذكرون أحبابهم إلا بعد رحيلهم فلم لا أجسدك الآن رؤية مستقبلية قد تحدث ؟! الآن سأبكيك فحبي لك يفوق تلك الاعتادية التي يزرعها الآخرون بعد موت أحبائهم .. أنت بعد آخر .. أنت أشرعة الحب لكل زمن ..أشرعة ممزقة تصدر صفيرا مميزا عند هبوب العاصفة هكذا أنت يا صحراوية الملامح .. يا بدوية النبرة. امنحيني الآن صوتك البدوي المستغرب " وغربالي " .. امنحيني صفيرك المميز .. أهوى بيديك عليّ .. عنفيني يا أم .. فقط تواصلي معي .. حتى لو كانت الأشرعة ممزقة كيف تمزقت الأشرعة يا أم ؟ وكيف تكونت مرارتك خارج جسدك ؟! اعرف يا أم أن المرارة بدأت في ليلة من ليالي الشمال الجملية .. في بيت بدوي كنت فيه نبتة صغيرة آلمها رحيل السحب .. بدأت برحيل ذلك الحائلي الجذاب عنك .. بدأت بسقوطكما معا أمام ارجل الآخرين المدودة عمدا .. بضعة أمام أولئك الحضر الذين يملقونه أمامك .. تتضاءلين أنت أمامهم .. كأنه قد أحبك بدوية الملامح والنبرة ورحل عنك لنفس السبب .. رحل وتركك تغزلين همك بساطا صوفيا تفترشينه في " الرّفة " وتحلمين أن يأتي ويسترخي عليه أن يلمسه بيديه كعادته ويطري جودة " سدّوك " رحل وتركك تصنعين من صوت الربابة هيجنة حزنك البدوي والحزن له لون خاص .. الحزن البدوي استمرارية لا تعرف التوقف كانت بدوية لا يهزها رحيل رجل قد يحفر داخلها خندق، ألم لكنه ابداً لا يجعلها عاجزة عن ردمه، كانت

بدوية تشرب الدمعة مع " غضارة " اللبن .. وتهزأ حميل اللبن وتهز باهتزاز قلبها معه .. رحل الحضري وأرسل ورقتها مع أحد " سواقي " المسافات الطويلة .. وأبناء الحضر عندما يرحلون لا يودعون وعندما ينتهون من أمر يركلونه بأقدمهم.

كانت تلهو فوق أحد الطعوس .. تراقب كيف يتسلل الرمل بين الأصابع .. وتنتظر اطلالة ذلك الحائلي " بجبته " الجميلة كانت كانت تحدق في السراب وتكون داخله صورة رجل ما يرتدي " جبة " جميلة كانت تنتظر سماع صوت سيارة جيب صغيرة تقله إليها وتبحث في أفقها عن رجل آخر !! .. هكذا يتفرغ الحزن البدوي .

السراب يغلف الآخرين فلا يبدون على حقيقتهم أبدا .. ووهج الشمس يا أم يصقل سرابه ويزيد من عدميته .. هكذا كان الحائلي مغلفا ونائيا .. والسراب في مدينتي يا أم رؤية ناقصة وحادة تتسلل عبر الأبنية لا تجعلها صورة مكتملة أبدأ وأنت في مدينتي العملاقة مغلفة بالسراب أحاول جمع خيوطك المتسللة أجدك ممتدة كالصحراء عميقة كالأفق بعيدة مثل ضوء القمر في المدينة .. وفي المدينة كانت أشرعة الحب تحلم بذلك الحائلي وهو يتربع " بالرّفة " وتسمع صوت خفيف عباءته وهو يتسلل في الصباح .. الآن لا حائلي .. لا " رفة " ولكن ذاكرة تضمن صفيرا طويلا يشبع جوع الأذن .. كان الصفير فوضويا والرياح لا تعزف على كل

الثقوب .. كانت الرياح تخلق داخلها أعشاشا صغيرة ذات لون واحد .. لون شراع ممزق !!

مخل آخر:

لا شئ منك الآن يا أم سوى رائحة العود وطعم اللبانة وتلك " الغرفة " السوداء المتشبثة مسمار في الباب وسجادة حمراء منزوية في ركن الغرفة .. الشقوق كثيرة يا أم والأعشاش متفرعة تتشابك في تعقيد .. آه هل سيكون الحزن عليك رقعة من لون آخر .. ؟!

أمي تقبع في كل الأزمنة .. كثيرون هم الذين يلونون الأشياء ويقذفون بطعم اللون إلى حلقها مرارة تخرسها وبمنظر الأشياء وهى تتلون رعشة خوف كحد المقص تقسم حجرات القلب إلى جزءين والرعشة تصبح لونا آخر يجعل من رقصات هذا القلب خيط مجنون وطبولا مزعجة تجعل قلبها يتوقف رقصا .. هو واحد منهم .. هو يعرف أن القلب مجزوء .. أن الشقوق تملأه .. هو يعرف لون الأشرعة يعرف ذلك كله ويذيبه مع قطع الثلج هو لا يعرف أن هذا القلب يضرب طبولا مزعجة عندما يبدأ في إماعة الثلج وسكب اللون هو يطلب منها ثمن السجائر وهى تعرف أن جيبه عامر بها .. كلامهما يشربه ويتقيأ !! الغد علامة استفهام يلطخ بها تهويماته الليلية بحثا عن صيغة ما ترتق ترهل الإجابة والأمس علامة تعجب يلفها حول أصبعه وينظر إليها بذهول وهى تتراقص .. تدور كالمسدنة وهى تنمو .. تكبر كأظافره القذرة ومع العلامتين تترهل

الأشياء .. كل الأشياء .. هو يبدأ فحيحه الليلي يبدأ في التشكيل .. يبدأ في النحت المؤلم، كان الخوف أسئلة والأمومة أجوبة ملهوفة ودقات القلب صهلت .. ضعفت .. كادت أن تتلاشى ولكن كان للأسئلة صوت يرغمها على متابعة الرقص المؤلم يرغمها على تجاهل صهيل الدقات .. وفي النهار ينسى هو الريشة والأزميل ويتذكر اللون فقط ويزمع أن لا يلون الأشياء مرة آخرى .. وفي النهار تنسى هى كل شئ .. تنسى النحت المؤلم .. تنسى ترهل الأشياء وتحلم بألوان بيضاء تلون بها الليل فلا يأتي أبدا .. والليل لون تكرهه أمي وتكره معي كل شئ .. في النهار تنسى الأشرعة الممزقة صفير العواصف تنسى الألقان والأشكال .. تنسى كل شئ سوى انه طفل صغير يخربش بيديه على وجه أمه .. هذا لون من تشكيلة أمي !!.

أبي كان هناك مطرقا برأسه .. كان يصدر نشيجا .. صوت أبي مبلل بالدموع .. البلل يعطي وجهه ولحيته البيضاء أبي يخلع " نظارته " ويمسح البلل بطرف شماغه الأحمر ثم يبدأ من جديد !! .. لماذا لا يبكي الرجل دائما ليصبح اكتشافا جديدا ؟!! هكذا اكتشفت أبي بعدك يا أم .. أبي هذا الشامخ يبكيك بالدموع مثلنا، ويتساءل عمن سيتشاجر معه حول ارتفاع السكر لديه وعلاقة ذلك " بفصمات " التمر المخبوءة وراء المساند ؟!! من سيخفي عنه " مطبق التمر " من سيقول له نعم اذا قال لا ؟!

أبي سينحني عليه .. سيبكيك أمامه ويأمره أن ينزع من قلبك المقص .. أن يرجع للدقات المذعورة نبضها الدافئ أبي يجمعنا ويرسم لنا لون الرقعة .. أبي يضع للكماليات بندا في مصروف الشهر !! أبي لم يعد يستفزك بأحاديثه المضحكة عن أخوالي !! أبي لم يعد يعلق الفاتورة في وجوهنا كل ثلاثة أشهر !! لم يعد يرمي بالأرقام في أعيننا لم يعد يأمرنا ببسترة المكالمات .. لم يعد يزعجه تشعب الأحاديث في الهاتف !!

أبي بصوته الدمعي .. بوجهه المبلل وشماغة المنحصر يصبح اكتشافا جديدا، لقد أخفت الرقعة أبي أليس مفجعا أن يكون أبي هكذا ؟! أن يكون كل شئ هكذا .. مرقعا ؟!

أي ينتهي من رسومه ويبكي من جديد !!

جنون الحزن في الزمن المشلول:

لا شئ الآن يا أم .. لا شئ سوانا نتقابل في صمت .. نأكل في صمت ولا نتشاجر أبدا.

نتحلق حول السفرة " والتبسي " والقادم من أوروبا تتقلص كفه في " التبسي " ويطلب صحنا مستقلا يبتسم وينصحنا أن نفعل مثله .. في المرة المقبلة أصبح " التبسي " صحونا صغيرة متبادعة حارتنا القديمة فرغتها الكرة الحديدية قتلها .. ونثرت غبارها في أنوفنا .. أصبحت فرضا يرغمنا على الرحيل حتى لا نصاب بسل رئوي يرغمنا على إصدار صوت ما !! وهنا الفلل تتناثر في تباعد مخيف والهواء يعبث بالأرجاء الفسيحة للفيلا .. تبدو كخيمة بدوية تحجرت مع مرور الزمن خيمة ليس فيها " رفة "

ولا " منقل " جمر ولا " مشب " قهوة حتى " حميل " اللبن أصبح علبا كرتونية صغيرة .. الجسور يا أم تملأ جسد المدينة تتفرع نحو الشوارع والمناطق .. وجسورك يا أم تفرعت حتى التلاشي جميع الأشياء تضمحل حين تتفرع بقوة .. كان البر كبيرا والمدينة شبحا .. الآن نبحث عن البر فلا نجده .. تمتد بنا الجسور .. تمتد بنا التفرعات في عمق الصحراء فلا تجد سوى الآلات تزرع جسورا أخرى .. أليس شيئا مضحكا أن نبحث عن البر فلا نجده ؟! مثلما هو مضحك أن أبكيك في وجودك أن احتضنك حزنا وأنت حية .. أن أبحث عن التوحيد فلا أجد إلا في أزمنتك المجدية وحتى عندما أجده اتفرع نحو أزمنتي الخاصة .. فاعذريني يا أم إن تفرعت أجزائي عنك قليلا .. اعذريني يا أم حين أكون جسرا يتفرع عنك ويسهم في تلاشيك فالجسور تملأ عقل المدينة وتملأني ..(*)

(*) اليمامة ، العدد ٨٤٧ – الأربعاء ٦ رجب ١٤٠٥هـ.

لن تفقد ظلك

وفاء الطيب

البهو الكبير يغص بالمدعوين .. وجوه ملونة .. أسنان براقة .. عيون غامضة تتلاقى وتفترق في حميمية بائسة .. تشع ببريق زائف .. وصدى ضحكات ضبابية تتسرب في أجواء " الصالون " فتختلط بروائح التبغ والبن والعطور الباريسية ..

تخترق عيناك اللامعتان جدار صمتي وأنت على المقعد الذي يواجهني .. ولا أملك غير المقعد الذي يحتويني .. صار كمقعد الطائرة التي تحلق بين السحاب .. وعليّ أن أربط الحزام جيدا .. وأن أنتبه لإشارة ممنوع التدخين .. وتحذير ممنوع التجول داخل الكابينة حتى لا تلاحظ ارتباكي وانشغالي باختلاج شفتيك وكأنهما تبوحان لي بشئ مبهم ..

لماذا أنا هنا .. ؟

ولم أنت هنا أيضا .. ؟

صار عليّ أن اكتفي بمراقبة ما يدور حولي من غثاء .. مادامت لم تحدث لدى القناعة بما يجري .. ثم أحاول خلسة أن أتفهم قانون الظلال ونظرية اينشتاين ومصطلحات افجاورو .. فقد تفيدني هذه المعادلات الحسابية والفزيائية في الإجابة على تساؤلاتي الفرعية .. من ابتدع هذا الإحتفال الكرنفالي المثخن بالزيف .. ؟ لكأنه لقيط رحمّ مجهول إلى عالم

لا يعترف باللقطاء .. من ابتدع فكرة الإحتفال برؤوس الأشياء بلا شبع .. بلا ارتواء .. ؟

وأنا وأنت نزاول معهم نفس الازدراء .. ونقسم معهم نفس الضحكات فلا سبيل إلى التراجع وقد اجتزنا معا شطر الطريق .. وإن كنا لا نحب أن نحتفل بانصرام الأعوام على طريقتهم لكننا مدعوون .. ففي جيب كل واحد منا بطاقة دعوة .. وأنا لا أحب أن تعلن الأيام عن وجودها في عمري بمثل هذا الاحتفال السخيف .. وأرفض أن يكون لعمرينا تاريخا سليما مشوها .. نرقص فيه كلما صعدنا سلمة .. ونصفق كلما تسلقنا أخرى .. حتى إذا توقفنا قليلا لنلتقط أنفاسنا .. أخذنا نئد خيالنا ونبحر في التعب .. كأن لا جدوى من أن نتوقف .. كأن لا جدوى من أن نرتاح .. كأنه صار حتما أن نرقص على الحبال ونصفق على السلالم كمحترفي السيرك .. أليس من الأجدى أن نستعرض قليلا .. ونحلم بزخم من الأماني والعواطف الربيعية التي تلطف من حرارة أنفاسنا المتوهجة بالتعب .. وأنا وأنت في نهاية كل عام نحلم بأن نصدر الألم إلى الخارج .. ونحلم بشحنة جديدة من الفرح .. وننتظرها معبأة في زجاجات من الكريستال ومغلقة بورق من السيلوفان .. ولا يصلنا منها شئ .. فالصادر والوارد نقيضان في حياتنا ومستحيلان في الوقت نفسه .. إذ لا أحد تستهويه بضاعتنا .. " فها أنت ناء عني وأنت بقربي " وها أنا ألمح نداءً ظامئا في عينيك فأتشبث برباط مقعدي الذي أتوهم .. فإلى أين نصدر الألم لنستورد الفرحة ولا أحد يقبل مقايضتنا .. ؟ من ذا

يتاجر بالأحزان – يا ربيع – فيشتري هذا الكم الهائل من الصخب الذي بداخلنا ولو بحفنة من هدوء .. ؟ حتى ذلك الثرى صاحب هذه الدعوة لا توهله أمواله وأطيانه لأن يبتاع منا شيئا من بضاعتنا ولو بثمن زهيد .. فلا من يبتاع الحزن على أرضنا .. ولا من يسأثره بريق الدموع .. فأرضنا لا تقدس المحزونين ولا تحرم الباكين ..

انظر إليه يبتاع البسمة الزائفة من شفاة المدعوين وانظر زوجته تشتري نظرات الإعجاب من عيون الحاضرين بأموال زوجها الثرى المعروف .. وكلنا لا تعنينا بلادة عيونهم وانشغالهم بتفاهيتهم .. وكل ما عداك تفاهة لا تجدي .. وكل ما سواك وهم لا يتحقق .. لأنك الحقيقة التي اطمحت في أن تنمو بأرضي رغم رداءة تربتها وقساوة مناخها فأنت عنيد كنبتة صار .. ومكابر كشجرة صنوبر .. أنت الحقيقة الوحيدة التي امتشقت سيفا تشهره في وجه السراب والتهويم الذي أعاني .. ولكنك اللحظة تحاول أن تعيد حسابتك من جديد لمجرد أن يفصل بيننا عالمان فسيحان .. أتصور أنه فراغ عميق ذلك الذي يفصل بيننا كتلك الفراغات التي تملأ تجاويف الفضاء فتتراقص فيه الكواكب وتضيع فيه كل الأشياء حتى الجاذبية .. وكأني أحيا على سطح المريخ وتحيا على كوكب لم نكتشف موقعه بعد .. فها أنت ترقبني خلسة من وراء أهداب عينيك الرائعتين .. فتسرقني هدوئي .. وتخضب أرضي بالفراغ فتدق لك طبول قلبي تأهبا لمواجهتك .. ثم ترشقني بنظرات قوية كالسهام خارقة كأشعة الليزر .. تخترق صدري من العمق إلى اللامدى .. وامرأة بيننا تخاطب

زوجها فنصيخ سمعا إلى حديثها .. كان في تحاورهما لغة التقارب الوحيدة بيننا .. فتتوحد .. وتسري في آذاننا نفس الموجات ونفس الذبذبات .. أما قلت لك يوما بأننا متوحدان منفصلان أبدا .. إننا أشبه بتوأمين في رحم واحد وبمشيمتين فما يربطنا هو نفسه الذي يفصلنا .. ونحاول معا أن نرمم الصمت الذي بيننا .. ونلملم شظاياه المتناثرة ونحن نصغي لجدال المرأة وزوجها ..

– منذ متى وأنت تحتفل بأعياد رأس السنة .. ؟

– وما الداعي لأن نحتفل .. ألم توافق على مرافقتي .. ؟

– نعم وافقت .. فالظلال لا تتمتع بحق الرفض في المتابعة أو القبول لمجرد أن يكشف سترها بصيصا من ضوء .. ولو كان ضوءا لمصباح قذر ..

– أوه .. ما الداعي للتبيخ الآن .. ؟

– لقد مللت هذا الاحتفال الزائف ..

– أنا لا احتفل بغير عيدين على أرضي .. وأنت تعرف ذلك ..

– جائز .. ولكنه منطق المتزمتين .. فما الداعي لأن لا نشارك الآخرين احتفالاتهم وأفراحهم بصرف النظر عن كونها أعيادا.

– أفراح .. ؟ أيه أفراح .. ؟ إن أفراح الغرباء لن تكون أفراحي أبدا ..

– زوجتي العزيزة .. الأفراح مشاعر ترقص وتغني وتصفق .. والمشاعر لا تختص بعالم دون عالم وأرض دون أرض .. أو شعب دون شعب .. فنحن من عينة طينية واحدة ..

– لكن المشاعر لا ترقص على وتيرة واحدة ولا تغني بلحن واحد ولا تصفق لنغمة واحدة ومن العبث أن تشدو في المآتم وتنوح في الأفراح ..

- ومن طلب منك مشاركتهم رقصهم وغناءهم وتصفيفهم .. ؟ أفلا تتقنين الفرجة ؟

-لا يا عزيزي الذي لم تكف عيناه عن ملاحقة الحسناوات لحظة واحدة .. لا أيها الذي يريق مشاعر زوجته تحت أقدامهن بينما يحتسي مشاعر الآخرين المدهونة بفرحة قذرة .. !!

- اتهام يمكن أن يكون في محله لو أني تلصصت على شئ ليس معروضا للبيع .. أما ازاء واجهة المحلات فلا يعاقب القانون من يسترقون النظر إلى معروضاتهم .. والأشياء معروضة هنا ثم أنا بطبيعتي لا أقوى على أن أغمض عيناي من الضوضاء والنور .. ولا أن أكتم أنفاسي عن الأجواء المعبقة بالعطور.

- وقح .. هيا بنا ..

تهب المرأة واقفة فتحجب عني وجهك الذي لم يفلح في أن يطرد لمحة الإهتمام بي من قسماته .. وأنا أيضا مثلها .. أرغمتني فكرة الظلال لأن أكون هنا .. فأنا ظلالك وربما بدوني .. ستصبح ذلك الرجل الذي فقد ظله .. هل نسيت أسطورة الفتى اليافع الذي قرض الجرد أصبعه فانحسر عنه ظله وتنكر له أهله وأصدقاؤه .. وهام على وجهه متشردا .. باحثا عن ظله .. تاركا حبيبته وقلبه في قريته .. ثم تزوج بأخرى وانجب .. وما أن عرف حقيقة ظله الذي ضاع حتى نسى زوجته وطفله وهام على وجهه ثانية يرفقه ثلاث طط برية .. إن أحدنا لم يستخف بالرجل الذي أهدر عمره باحثا عن ظله .. فهناك رابطة خفية بين الأشياء وظلالها ..

تتأهب المرأة بيننا لمغادرة المكان .. يشدها من يدها بقوة .. فتهوي على مقعدها .. نصغى إلى تحاورهما من جديد ..

- ألا يكفي جدالا في البيت حتى نواصله هنا.
- لم أطلب منك أن تجادلني .. فقط لا تعر مشاعري أمام الآخرين .. لا تمرر على كرامتي شيفرة لا مبالاتك فتخدشها ..
- إذن اسدلي ستارا من الصبر على مشاعرك العارية .. ولا تفضحينا على الملأ ..
- فلنعد إلى البيت ..

تهب المرأة واقفة في حزم، تعتصر شفتيها في عناء .. يستسلم الرجل فيصطحب امرأته إلى الباب يتبعهما صاحب " الصالون " الفخم .. حديثه إليهما مشوب بلكنة أجنبية .. يعتذر الرجل منه ويجر امرأته إلى مصيرها المحتوم .. تزول الفواصل بيننا .. مقعدان خاليان .. وأنا وأنت نائيان ملتحمان أبدا .. نظراتك لا تقوى على الفكاك من أسري .. تمتد يداك إلى أحد الأكواب النجسة .. لا .. لا .. تفعل .. يكفي أن نحتسي أفراحهم رغما عنا .. فلا نحتسي أقذارهم أيضا .. أتوسل لعينيك .. أن لا تفعل.! تستجيب لتوسلاتي .. تمتد عيناك إلى الحسناوات .. تقصد إغاظة المقعد الذي يحتويني إلى صدرك الحاني .. فأحتسس موضع الحزام الوهمي بأصابع مرتجفة لأحكم رباطه .. صدى الأغاني الجماعية يرتفع .. يعلو .. الصخب يلفظ عالمي بعيدا .. لن يفهم أحد لماذا أنا

هنا إلا إذا استجوب الشمس عن فكرة الظلال .. لماذا يتبع الظل قرينه أينما حل .. ؟

لماذا لا يعطي أحدهما ظهره للآخر .. ؟ ففي عالم الظلال – أيها الرائع في صمته – لا يتبرم الظل ولا ينحسر عن شيئه .. ولو استدار يخطو نحو قرص الشمس ليغرس أصابعه في عيونها فلن يكون سوى عملية انتحار بطولية .. لتعرف – أيها الرائع في عناده – انني عندما لا أكون ظلالك ينتفي حسي بوجودي .. أصبح لا شئ لأني لست تابعا لشئ .. أتعلم أنني هنا لأنك صرت تأكيدا لوجودي .. وبرحيلي عنك تنتفي قدرتي على إثبات وجودي .. إنني كلما تبعتك خفية .. فلأني أزاول الحياة نفسها .. فالظل لا يحيا إلا تابعا .. وكلانا لا غنى له عن الآخر .. فأنت أيضا تخاف أن أنحسر عنك فتفقد ظلك ..(*)

(*) اليمامة ، العدد ٨٢١ – الأربعاء ١ محرم ١٤٠٥هـ.

حبات الرمل

فاطمة عبد الله الدوسري

البيوت المتناثرة على مشارف القرية بدت أصغر بكثير !! .. عندما رحلت من هنا كانت أكبر .. شئ غريب .. الأشياء كلها تتداخل في عقلي ولا أجد لرموزها حلا .. كل شئ يتحول إلى صمت مذهل يستمع إلى لحن الماضي تعزفه رياح خريفية عاصفة وزخات المطر العنيفة .. لولا تلك المكالمة لكان الآن يستعيد الفرحة وهو يعود .. لم أتعود أن يتبسم لي أيها الزمن الضرير .. !! هل من المعقول أن يصبح صبر سنواتي رمادا تذهب به كلمات خرقاء .. !! طوال الأيام .. واللحظات كنت أمني النفس بموافقة أمي عندما تحس بمعاناتي .. ثم .. لا أصدق !! .. أتيت لأعرف الحقيقة هل صحيح أنها لم تعد لي ؟! .. لم تعد لي !! .. آخ .. ياصمت السنوات المجنونة .. ويا فرحة الأيام البائسة .. ولكن لا لن يحصل شئ من هذا .. ذكريات عبقت أشتم من خلالها رائحة القهوة وصوت خريرها في الفنجان .. وتلك الطفلة المشعثة تجري خلف أمها وهي تمص قطعة الحلوى في براءة تتلفت وتحاول أن تجد طريقها دون تعثر .. وهذه العجوز التي تفترش أرضية الطرقات وتراقب الرائح والغادي .. وخطوط سنوات العمر ترسم أخاديد حفرتها الأحداث التي مرت أمام ناظريها .. قريتي .. ماذا تخبئين داخل أعماقك لابنك العائد من الغربة .. هل هو الحنان ؟ .. أم الحرمان ؟ .. هل جئتك لتقلعي ما بقى في قلبي

من جذور الأمل ؟ .. أم لتروي ذلك الشئ لينمو ؟ .. لقد حرمتني الأيام فلا تبخلي .. تتردد أمام عينيه خيالات باهتة لأحداث طفولية حدثت له .. هو .. وهى .. وهم .. أطفال الحي السعداء .. لقد تبدلت الأيام المعذبة فوق جبينه .. أمه لا تريدها .. وأخته تحادثه في الهاتف لتخبره أن ما بينهما مستحيل .. يطرد تلك الذكرى المؤلمة من نفسه ويدير آلة التسجيل لتطلق أنظما تغسل بعض ما علق في نفسه من هموم .. أوقف سيارته بجوار بعض التلال الرملية المنتشرة هنا وهناك، واختار إحداها ودب نحوها بخطوات متسارعة حتى وصل إلى الأعلى .. كان المطر يبلل كل شئ .. نسى ملابسه .. نسى نفسه وهو يحنو على التراب ويحتضن بعضا منه بين يديه .. يلثم ذكريات تفوح رائحتها مع رائحة التراب والمطر .. (كنا نلعب هنا) .. تجول بنظره في المكان لبضع لحظات ولم يستفق إلا على زخات جديدة من المطر .. فعاد إلى سيارته ولم ينتبه إلى تبلل ملابسهأو تلك الحبات الرملية التي علقت فيه بعناد لا تريد أن تفارقه .. كأنما أرادت أن تروي حنينها الظمآن إلى لقائه .. تواصلت المسافة تحت عجلات السيارة وتضاءلت على البعد المسافات الزمنية .. آه يا قريتي منذ سنوات كان الحاجز بيني وبينك قلبي فهل تعطينه الأمان ؟ .. أو الحب ؟! .. لم يحس إلا وهو في وسط البلدة الصغيرة .. ترى إلى أين أذهب أولا ؟..

إلى أمي ؟.. أم إلى أبي ؟.. عادت إلى نفسه الكآبة في تلك اللحظات وهو يعيش صرع الخيار .. ولكنه قرر أن يذهب إلى أمه للسلام

عليها .. ومن ثم يذهب إلى والده ليسلم عليه ويقيم عنده مدة أيام عطلته .. بدا له القرار متوازنا واتخذ المسار إلى بيت أمه وزوجها، ولم ينتبه للعيون القروية التي تحدق بالسيارة وراكبها الغريب عن البلدة .. فهو منذ سنوات لم يحضر .. لقد نسيه الجميع ..!! وكانت حرارة اللقاء موازية لألم سنين الغرفة .. والحنين .. تساقطت الدموع فرحة باللقاء .. لقد كبر أخوته من أمه، وها هي ذي أخته أصبح لها رأي شأن .. يا للزمن .. كان الجميع يرقبون حركاته وكلماته بلهفة وشوق .. بينما كان يبحث في عيني أخته عن بقية الخبر .. لم يسعده الحظ ليختلي بها ويسألها .. لأن الجميع كانوا يريدون أن يجلسوا معه ولم يشأ أن يحرمهم من الأمل .. في الليل ذهب إلى بيت والده للسلام عليه وجده غاضبا .. وعاتبا لأنه ذهب إلى أمه أولا ولكن الوالد ما لبث أن رضى عندما أنه سيقيم عنده طيلة عطلته .. وعادت الفرحة من جديد لتشمل أخوته من أبيه وأمهم .. الكل فرح بعودته .. وهو أيضا فرح لكن لن تكتمل فرحته إلا عندما يعرف ماذا سيحدث له ولها .. جاء صوت والده متسائلا:

هل تبقى طويلا ؟ ..

– خمسة أيام ..

خمسة أيام فقط .. إنها ليست عطلة .. يهرب من نظرات والده المتشككة .. ويردد في نفسه أنها فعلا ليست عطلة، لقد حضرت من أجل معرفة الحقيقة من جهة، ولمعرفة أسباب إلحاح والده للحضور إليه من جهة أخرى.

- والدي لقد ألححت عليّ في الحضور .. و .. يرد عليه بسرعة .. إذن !! .. أ .. أ .. ستعرف كل شئ ولكن بعد أن تستريح !! .. تركه الجميع ليرتاح .. بينما غرق هو في بحر التساؤلات .. ترى ما الذي حدث في هذه الدنيا ؟ ..

أخته تحمل أخبارا غريبة !! .. ووالده ؟! .. ما هو السر الذي جعله يطلب منه أن يحضر !! .. كل شئ يدور حوله غريب حتى إنه همّ أكثر من مرة أن يعود من حيث أتى هربا مما ينتظره من المفاجآت .. لكنه تردد .. مضى اليوم الأول من زيارته دون أن يروي ظمأ السؤال في نفسه .. وفي اليوم الثاني ذهب إلى بيت أمه وجد أخته غارقة في العمل .. جذبها من يدها .. وهو يردد:

- تعالي أخبريني بكل شئ !! .. ماذا حدث يا ترى في هذه الدنيا ؟! .. تريد أن أخبرك عنها .. حسنا .. تشتد لهفته .. كل شئ يتوقف على كلماتها .. تبتسم .. أخي .. كما قلت لك سابقا .. لقد بات كل شئ بينكما مستحيلا .. إنها بالنسبة لك مثلي تماما أخت فقط .. تلوي الدهشة لسانه وتتسع في عينيه دائرة الاتهام !! .. والتساؤل ؟! .. لا .. لا .. أرجو ألا تذهب أفكارك بعيدا .. صحيح أننا كنا لا نريدها .. ولكننا كنا سنرضخ إزاء إصرارك حتى ظهرت هذه الحقيقة .. الحقيقة .. وأين كانت هذه الحقيقة طيلة هذه السنوات ؟.

لا أدري .. ولكنها كانت تختبئ خلف ألسنة النساء .. صدقني لقد صدمت مثلك !! .. يضع رأسه بين يديه .. وقد سرت في جسمه رعشة .. تحاول أخته تهدئته .. لا تبتئس يا عزيزتي هناك الكثيرات .. يرد عليها بتساؤل: هي .. هل عرفت ؟! .. أين هي ؟؟ .. كل شئ انتهى الآن لقد تزوجت قبل أسبوع من حضورك وأحضرت لي جميع ما لديها من صور ورسائل لك .. وسافرت .. إنها الحياة .. الشعور بالمرارة يطغى على كل شئ حلو .. يخرج من البيت بدون هدف .. يتخبط في دوامة من الآهات والأفكار .. ويصل به الإحباط إلى حد اللاشعور .. ينتهي وجود العالم في عينيه وتظلله سحابة الحزن .. يسير بلا هدف حتى يصل إلى تلك التلة من بين التلال ويرويها هذه المرة بدموع الحسرة والألم .. لم يعد الساعات .. كأن الزمن قد توقف وفي لحظة هب واقفا .. وذهب إلى منزل أبيه يلملم أشياءه .. لقد قرر الرحيل .. وفجأة يدخل والده .. إلى أن .. لم تنته أيام الإجازة بعد .. عفوا يا والدي .. لقد قررت الرحيل .. الرحيل .. لماذا ؟ هل أزعجك أحد ؟! ثم إنني لم أتحدث معك بعد ..

– لم يزعجني أحد .. وأظن أنك شاهدتني على خير مايرام .. لكن ابنة عمك لقد خطبتها لك .. ولم يبق إلا موعد الزواج .. عقدت المفاجأة لسانه .. والدته تفكر .. كل واحد يريد أن يغيظ الآخر دون أن يظنا أن له مشاعره الخاصة .. أحلامه وأمانيه .. لم يتعودوا أن يثور في وجه أحدهما .. كل كلماته .. نعم .. وحاضر .. ولكن أين أنا ؟ .. أين كياني ؟ .. أشياء تذوب في الداخل .. وألم كبير لا يتحمله القلب البائس ..

يغلق حقيبته بعد أن ارتدى نظارته السوداء .. ألا تؤجل .. السفر ؟! .. لماذا ؟ .. ابنة عمك ألا تحدد الموعد .. يقاطع .. وإذا قلت لا أريد هذا الزواج .. ماذا تقول ؟ .. يفاجأ الوالد بتلك الكلمات .. لن تكون ولدي مدى الحياة .. ولكنك أعقل من أن تجعل كلمتي مهانة .. وهو كذلك .. إذن متى تحدد الموعد .. يضحك في نفسه بسخرية ويجيب .. كما تشاء يا والدي .. يحمل حقيبة ويضعها في السيارة وينطلق .. والده يريد أن يزوجه من ابنة عمه ووالدته تريد ابنة خالته .. أما ما يريده هو لا يهم .. سباق محموم بين الطرفين، كل يريد أن يقيس مدى محبته له .. تعسا لأبناء الشتيتين .. تتوقف خواطره وهو على القرب من تلك التلال الرملية تراكم السنين .. يوقف سيارته .. إنه لم يودع أحدا .. لكنه سيودع حبات الرمل تلك .. فهي أول من استقبله بعبق الذكريات ..

الدوار

جوهرة عبد العزيز المزيد

كثير من حقائق الحياة يسعى الناس إلى تجاهلها، بل ويعتمدون أن يطأوا عليها لا أدري !! أذلك تعبير عن الجبن الأصيل فيهم ؟ أم لكونها تنافي رغباتهم الحيوانية ؟ المهم أنهم يتجاهلونها مع أنها حقيقة ثابتة واضحة في حياتهم مهما تلتوي إليها الطرق.

وبعض الأفراد أدرك هذه الحقيقة ونبلها وعلم أنه لا فائدة إلا بالاتحاد معها، ولكنهم خسروا الكثير بسبب علمهم هذا وظلوا للأسف مع الزمن حقيقة جامدة: والناس ينفرون كثيرا من الحقائق، ويعشقون الأقنعة، حتى وإن كانت رخيصة، ولأني أقول الحق فأنا بعض من حقيقة مطرودة منبوذة مع أني من موظفي الحياة.

جربت مثيرا التنازل عن ذلك الحق، وأن أسجي عيني بالتراب حين أراه ينزف من الوريد لأعيش بأمان من جحود الآخرين، لكني فشلت في أن أقاوم ذلك اللهيب، وأن أسجن تلك السورة.

بالأمس ثرت على المدير لأنه كلف المجموعة بعمل يعارض مصلحة الجماعة وخدم مصلحته وحده، كنت وحدي وأنا أعترض في وجهه لكن كنت أحس بالأرض تهتز تبارك لي تلك العبادة التي أعرض الناس عنها من زمن.

إن للحق صولة ورهبة عظيمة، أحسها في كل شئ أمامي حين انتفض. لكن حامله يحمل معه كل الأوراق التي تدينه وإن كان بريئا، رفضت أن أقوم بذلك العمل لكني واثقة أن كل الجهات ستقيده عصيانا وليس اعتراضا والمشكلة أنني بحاجة كبيرة لهذا العمل.

ما الذي حول المجاهدين الصالحين إلى فلول حبنا، لاشك أن ذلك لعنة قتلهم الحق الأكبر في وجودهم الذي من أجله خلق الجن والإنس فأصابهم الدوار الذي يهز عالم الأشياء، ليموت الإيمان عندهم في كل شئ وسيأتي يوم يهز لهم القوة نافذة فإذا بها من عميقة سهلة، فلنحذر سريعا قبل أن يحين ذلك الوقت ولننتشل أنفسنا من دائرة الدوار إلى المنبع الصافي الذي إليه نعود، فنحن في أمس الحاجة للإستشفاء منه، فهو حقيقة في رؤوسنا فقط كلهم يحاولون بمرور الزمن أن يقبلوا الحقائق الكونية وهى من أكثر الأحجام رفضا لهذا القلب مع وزنها الثقيل جدا، ويحاولون أن يعبثوا بموجودات الكون والكون أعظم من أن تعبث به ذبابة أيها الشقي كل شئ في موقعه السليم، فلم تجهد في البحث عن المواقع نحن لم نستخلف في الكون لأجل أن نعترض بل لنطبق ما شرع لنا من قوانين، ولم يعترض عليهما في يوم بشر لأنهم، وللأسف كانوا وحدهم هم الصالحين لاستغلالها ولم يخلقوا لها بعدهم إلا الغث.

اليوم استدعاني المدير، طلب مني أن أوقع كزملائي على مذكرة تبليغ عن سرقة الإدارة .. سألته كم المبلغ الذي سرق .. لم يجب.

المهم أن توقع يا أستاذ كزملائك.

ولكني يا سيدي لم أكشفها.

نظر إلى بحنقه المعهود .. إنها هذه النظرة الغاضبة لا أراها في وجهه إلا حين يكون في لقاء مع الحق فأرى فيه الضوء الأخضر لأن أسير، حيرني بين أن أشهد على ذلك أو أقدم طلب نقل لجهة أخرى مع أني أحب عملي هذا كثيرا ولكني كما يقول مصدر شغب وتعطيل للعمل، نظرت إليه طويلا: إنه شهاب مذنب يمتد إلى أبعد من هذه الجدران وتحته الأرض المستوية التي لا يهمه الشقوط عليها، أما أنا فحق صارخ والحق هنا يتيم غريب يولد ويختنق في نفس المكان وصوتي طنين بعوضة لا يسمعه إلا من تحوم البعوضة حول رأسه.

انتقلت بل طردت إلى دائرة أخرى وسأظل مطرودا لكن .. إلى متى.. ؟[*]

---

[*] مجلة "الحرس الوطني" ، ربيع أول ١٤٠٥هـ – ديسمبر ١٩٨٤م.

من حوليات رجل من شبه الجزيرة

{ أقدم لأرض الوطن تصورا خاصا لعذابات انسانها
منذ قرن ونصف من الزمان فلتغفر لي التقصير }

قماشة عبد الله السيف

السنة الأولى

القحط الذي يتناوب سنة وأخرى .. ورجع حوافر حصانك عبر عشرات السنين. اسمه الآن يقترب ويبتعد حتى أكاد لا أسمعه .. تغوص قوائمه في كثبان الرمال الممتدة الملتوية كثعابين متعانقة من حيث العين المطفأة أتيت .. تتحسس جعبتك الخاوية إلا من حلم السنين. الذي ينطوي على أحلام جيل .. تشد قامتك العالية المنفردة وتعاقر البيد .. الأمر الذي ترى أنه لابد منه .. لتقف على حافة زمن أبداً لا يعود !!

كان والدك العالم المثقف صديقك الوحيد .. حين رحل عن هذه الحياة بقيت وحيدا .. لم تنجح في عقد أية روابط أو صداقات من أي نوع .. بعده .. بعده فكرت بعيداً ..

السنة الثانية

هو حلمك الصعب السفر والسفر يعني لك أشياء كثيرة وكبيرة، والفر كما يعنيك هو قطع المسافة أولا وثانيا ومن ثم تأتي النتائج المرجوة ربما متأخرة كثيرا .. لكنك تبدأ تستولد أقصى طاقاتك الكامنة لحظة

تشعر بأنك تقوي حمل جبل وفي أخرى تجد أنك لا تستطيع حمل نفسك !. تغذ السير أياما تتوغل في الصحراء تمد بصرك لا يصل إلى أدني أقاصيها .. تنتفخ الجهات .. تتسع الشعاب وتدعوك بلا حدود.

تتطلع يمينا ويسارا .. الصحراء لا بداية ولا نهاية لها، الشجيرات القصيرة الجافة المتناثرة علامات فارقة لهذه البيد:

التيه !

تتلفت تدير النظر .. ما من شئ غير أحزانك والكلاب الحزينة تتبعك. تتزود بجرعات ماء من القرية ثم تحكم إغلاق فوهتها .. خشونة عباءتك التي بلون الرمال تلوح باطرافها الريح. تنتزع نفسك من الأرض لكنه عزمك الذي يفلق الصخر .. كبرياء ! حين أيقنت بأنك تائه لم تركض بهياج كما يتخبط الفريق تقبلت الأمر باتزان أويت إلى صخرة كبيرة وحيدة وملقاة .. ! اضطجعت قربها افترشت نصف عباءتك والتحفت بنصفها الآخر ليجثو قربك كلباك !

السنة الثالثة

بعد عراك الأيام القاسية تستقر خطوتك في بلده " الزبير " والزبير اليوم – كما لم تعلم – بلدة صامتة كئيبة منطوية تدور حولها حرب ضروس منذ سنين سبع !

كيف وجدت صلابة سورها آنذاك ؟ اصطفت أمام عينين دورها الطينية وتناثرت الأضرحة .. كان سيطول بك المقام فيها لولا .. قصيدة واحدة كانت سببخروجك منها.

قالوا: انك أفضيت إلى أحدهم انك قضيت بها أجمل سنيّ عمرك !

قالوا: انك كنت تخفي دموعك مغادرا معالمها !

وقالوا: انك لازلت تتذكر عبق تلك المباني والبيوت الطينية !

امتد السور كثعبان بلا عينين .. واستأنفت الرحلة.

السنة الرابعة

الخليج والغوص الذي لا تجيده .. تحسن أنت فقط الابحار في البيد .. خشخشة استخلاص " اللؤلؤ " من قاع البحر .. يلمع " اللؤلؤ " على راحة يد معروفة مشققة الأصابع.

تتشرب مواويل الغوص لتخضر بك القصائد .. منذ متى .. وإلى متى هذه القصائد الباسقة مكتومة ؟

بعد أن أتيت صديق والدك الحميم (ذاك البحار القديم) — وصية والدك — استرحت بالعمل معه شهورا في صناعة القوارب الصغيرة وتركيبها وبيعها بعدها غادرك في رحلة صيد إلى مجاهل البحر .. ودعته وغاب .. انطوت ثلاثة أشهر .. بعدها كنت ذات يوم بعد صلاة الظهر في ذلك المسجد الطيني على الشاطئ .. خرجت مع جموع منتظري عودة المراكب بالبحارة .. بالغائبين. ذلك اليوم فقط رأيت البحر قاتم الزرقة ينطوي على

صمته ينطوي على كفاح الرجال شعرت بضيق مفاجئ كان إحدى هذه الصخور التي تخرها الموج على الشاطئ تجثم على صدرك. كنت تقف على أصابع قدميك تبحث عنه بعينيك بين العائدين .. هذا الرجل الوحيد الذي وجدت فيه حنان أبيك كنت تفتش عنه ولم يكن بينهم !
ابتلعه البحر إذن !

لم تنتظر جوابا .. هربت من المشهد، لم تكن كل لألئ البحر بأغلى منه !

هربت ارتميت في البيت الذي اسكنك فيه .. الذين أتوك يشاركونك روى لك أكبرهم سنا صدق حكايته (في ذلك اليوم .. هبت ريح شديدة مفاجئة وزار البحر واندلعت أمواجه كالجبال ..) تراكض الحجارة في كل جانب صاحوا تضرعوا وتماسكوا شدوا بأيديهم وببعضهم، رأوه (صوته تخنقه العبرات) رأوه يصارع الأمواج ببسالة وهي تشدد قبضتها عليه، رأوه يقاومها ويشد الحبل حتى ابتلعه .. كانوا يريدونه بكل ما استطاعوا من قوة ومع شدة الجذب وضرب الريح بدا كأن المركب سينقلب بهم كنت أذكرهم بالله ثم برفيقهم .. ولما بدا لهم أن انقاذه بات مستحيلا .. نجوا بأنفسهم).

يومها فقط أدركت أنك الوحيد .. يومها فقط غادرت الخليج ودموعك حبات لؤلؤ تتدحرج على خديك بلا انقطاع.

السنة الخامسة

تستأنف أسفارك تنتزع نفسك من المكان بقوة .. جنوبا تيمم .. جنوبا تتدانى! وتوغل رحيلا أهو انحدار أم اعتلاء ؟ لا تدري .. بعد ثلاثة أيام من السير الحثيث كنت تدخل دوامة الصحراء ربما بحثا عن الكنز الحقيقي عن أثر انساني .. ربما تنطق الجبال بإشارات خفية منحوتة فهى دائما تسمع ولا تجيب !

بدت لك الصحراء بحرا مؤارا من رمال عاصفة تقول مفضيا إلى حصانك: (ها أنا .. أعود يا صاحبي كما ترى بلا ارتباطات تذكر .. وطني هذي الرمال وهذا البعد .. البعد الذي بلا نهاية، لولا صبري وصبرك .. تقول قبيلني عني المجنون ! وما أنا بمجنون ! أنت وحدك الذي لم تصدقهم أنت وحدك صديقي).

حمحم الحصان، اطرق وأغضى عينيه.

الرمال المستحيلة تلوذ أبدا بالصمت لا صوت إلا دندنة أجراس القافلة الصغيرة.

وقصيدتك تبتلعها الرمال الساخنة تدحرجها تطويها بمنحدراتها المنتظمة بقسوة ممضة .. في الصحراء الكل يصمت بصمتها الانسان يصمت والكلاب تصمت والقلائص تصمت فكل شئ واضح وصارم ولا يحتاج إلى مناقشة أو تعليل هو يحتاج إلى مواجهة !

الشمس منذ اشراقها وهى كالجحيم .. العرق يتصبب ويجف، تنتزع نفسك من الأرض بقوة، لتبدو لك الأرض فجأة بأنها عصية ممتنعة !

كانت كأنها تسخر بك قهقهاتها المكتومة الصلبة تداعب أذنك الشديدة الرهافة، تتطلع يمينا ويسارا .. الريح تلفح بقسوة تثور بجنون ثم تهدأ.

القلائص تشق الرمال كالمواخر.

التيه إذن !

التيه مرة أخرى !

لا ملامح لطريق أو منعرج وحدك والصمت الذي تلوذ به حينما يشتد بك الأمر .. ليس ثمة " هدهد " دليلا إلى ماء .. شعور عميق بالضآلة وعدم القدرة ومع ذلك لم يتسرب الندم إليك من أية ثغرة. ترفع عينيك " رباه " ينبثق الهتاف خفيفا .. تشيح به من جهة إلى أخرى .. تبدي لك الكلاب استسلامها التام لكن الجواد أبدى صموده.

التيه !

" يوسف " من غيابة الجب أنقذته قافلة.

ابتاعه من التيه بدراهم معدودة !

أنت صرت الآن أقل من قيمة دراهم معدودة .. صرت بقيمة قشة في مهب العاصفة .

همست لحصانك: (في المرة الأولى لي استرشدنا بقافلة ساقها الله .. فهدتنا إلى الطريق هذه المرة .. الله وحده يعلم) كان يسمعك يفهمك ولا يجيب وكنت تتحدث إليه بشئ من الصلابة إذ أنك لا ترهق نفسك بالتكفير كثيرا بما سيكون تقبل الأمر لديك هو أفضل وسيلة للتعامل مع ظروف قاهرة مباغته كهذه.

في اليوم الثاني وحين دلفت الشمس إلى المغيب كنت تمر بواد مقفر دارت حوله أقاصيص كثيرة عن الجن التي تسكنه ومما سمعت أن الجن تدق دفوفها فيه ليلا. لم تخف كنت تقول ليتني أجد أحدا دليلا أنيسا ! .. حتى لو من الجن !

تلمح في جنح ليلتك ضوءا خافتا وبعيدا لكنك تسقط في بئر من التعب الممض، ثم يغرقك النوم.

تنتصب حين بزغ الفجر كالعادة تتزود ببضع تمرات مع بضع جرعات ماء .. تستأنف السير قبل أن ترسل الشمس أشعتها الحارقة تغذ السير أياما، تعانقك الزوابع الرملية .. لولا أنك تتعامل مع الصحراء بذكاء وخشونة وصبر .. يطول الطريق يهل الشهر وينطوي .. إلى أن تبدت لك مشارف " أرض بلقيس " ومأرب الحزين .. تلتصق رجلك بتربة تلك البلاد العربية السعيدة .. تقيم بها زمنا رحبا واكتشافا تطوف في السوق وتجلس في الحوانيت الصغيرة تغفو أحزانك على أرضها لتستيقظ على أنقاض " صراوح " تحتسي البن اليمني .. يروقك هذا " البن " وتتزود به لرحلتك.

يمتد الزمن لتعود .. بضاعتك " البن " وقد عرفت تلك البلاد أحببتها وغادرتها.

السنة السادسة

في ليل شبه الجزيرة تناثرت خطاك لم تنتظم .. ها أنت من ثم خطاك دليل تترسمه أجيال طويلة بعدك ولم يكن ثمة " هدهد " دليلا لك

إلى ماء، حين وصلت إلى تلك النقطة البعيدة شمالا أردت أن تحدث أحدا من قبيلتك عن رحلتك وما لاقيت بها فلم تجد من تحدثه بحدث عن أقاربك، تريد أن تقول لهم انك قطعت آلاف الأميال حبا وإيمانا .. تريد أن تقول لهم: أنني تهت في الصحراء حتى كدت أهلك ظمأ وأن الشمس حرقتني طويلا .. أن تريهم كنتك التي أضحت أكثر اسمرارا .. كسندباد يحمل من الحكايات الكثير، تريد أن تقول لهم: برغم الأيام القاسية التي دمرتني ها قد عدت إليكم لو كنت مجنونا لما عرفت أن أعود ! قال بعضهم: عاد المجنون ! وقال البعض الآخر: لا زال حيا !.

السنة السابعة

بت حديث القبائل التي تناقلت أخبارك وقد أشاعت قبيلتك بأن بك تتراجع شمالا .. لتجد أن الرمال أشرس الأسوار التي واجهت.

بيد .. بيد بلا نهاية ! جمود كل ما حولك جمود وكل ما تراه جمود الإنسان وحده الذي يمقت الجمود ويرفضه لاسيما إذا كان من ذوي القلوب الجسورة مثلك .. مع وقع حوافر حصانك التيب كنت تريد أن ترفع صوتك أن تغني فما كانت الصحراء مستعدة للإصغاء إليك فينحبس شعور خفي داخلك بأن شيئا ما سيحدث فتتوقف القافلة الصغيرة وما أن يمضي وقت قصير حتى تقوم زوابع الصيف الرملية وبعد حوالي الساعة تهدأ الدنيا وكأن شيئا لم يكن، وفي مرات قليلة تعقبها نسائم متوسطة السرعة .. يمتلأ الطريق .. لكنها تتبعك الأرض ! كلما تعبت تفوهت

الشعر نقيا كلما استرحت امتطيت قاطرات القوافي للأرض ومن الأرض التي ما غاب وجهها منذ طوفان نوح .. فما سمعتك ! ما سمعك أحد أو روى عنك قصائد العودة والرحيل .. الرحيل عبر الظلام والجوع !

مساء حيث كنت وحيدا وهمت وحيدا وأنك تقول شعرا ذا تعبيرات غير معتادة ! يتواصل خبب جوادك للمرة الثانية تغادر بيتك بعد ثلاثة أيام هى استراحتك لكن هذه المرة لجهة غير معلومة .. مفترق الطرق وغيوم متراكمة، الأنقاض والقلاع، الأبراج والمعابد .. القصور والأسوار، القبور والكهوف، وكل ما طفت به يحتشد في عينيك كالبناء الواحد .. تجلس على الأرض تعبا تشير بنظراتك إلى السماء لازالت الرحلة تحتاج إلى سنين أخرى هى من العمر حتما .. وأنت تعب تعب تحسس الأرض لترتمي عليها .. ومع نزوح الشمس صوب الغروب كنت أنت تمضي كحلم لم يؤل في بقعة ما في ظروف ما قيل انك هلكت " بالطاعون " وقيل أنك تساقطت " ظمأ " وحزنا .. كان هناك متسع من الأرض لك وكان هناك من سيقوم بسرعة بهذه المهمة .. هكذا ابتلعتك الأرض .. وطوت معك حقبة من الزمان !

طقوس أولية للقبر

فاطمة حسين بن طالب

" يا ابنتي – قال أبي ذات يوم – حين كنا نعرف طعم الأرض ولون الحرية .. يوم كنا نتساقط كالمطر من أجل ضحكة .. من أجل أكذوبة كنا نشرب عرق الخيل وبول الإبل .. يا ابنتي .. هذا الوجع المتربع بين الأحداث .. المتمرد فوق الأهداب .. يحيلني حشرة قذرة .. تقتات عفن الأرض .. وعيون الأطفال .. ".

تلك الليلة .. أغلقت نافذتي .. وقذفت شمعتي بالحذاء .. نظرت طويلا إلى شريان أخضر يتلوى في معصمي .. وحين تفجرت الدماء كصرخة محارب .. كرهت ذلك الطبيب .. أبي تتراقص بين حدقتيه نظرة أعرفها جيدا .. نظرة من يعرف طعم الأرض .. ولون الحياة .. دفنت وجهي في قبر أمي .. ومارست بعضا من البكاء .. طلبت منهم أن يبطن قبري بالمرايا .. لا أريد أن أرى شبرا واحدا دون مرآة .. ضحكوا طويلا .. واستقلوا على ظهورهم في القبر .. ذلك العم أحمد .. أحبه كثيرا .. ليس لأنه فقير. بل إنني أغنى منه .. أعطيه دائما بعض المال .. وقليلا من الفرح .. فيدعوا لي بطول العمر .. أوه .. ما أسوأ اللون الأبيض .. في كل مكان هو .. بين حدقتي الطبيب .. فوق أنفاس المقابر .. وتحت أحلام الصغار .. سأوصيهم أن يجعلوا كفني أحمر أو أزرق .. وأن لا يخبروا العم أحمد بموتي .. كي يدعو لي بطول العمر دائما .. سيغضب أبي

حتما .. سيتمنى لو لم يشرب عرق الخيل وبول الأبل .. لكنه الموت دائما وأبدا .. اخترت لهم أقنعة تتلبسهم عند خروجي .. خلعت لهم ملابسهم .. قبلت أمي .. تلبست قناعي استدرت لأراهم .. صرخت وصرت أهذي .. حملوني على أكفهم .. وسدوني قلوبهم .. غطوني بضوء القمر .. وولوا هاربين .. صديقاي الحبيبان .. يزورانني كل ليلة .. يقبلاني على عجل .. ويخفيان بين المقابر .. سأشتري أوراقا وأقلاما ملونة .. سأصنع كثيرا من الدمى .. وأنتظرهما عند حدود الوطن ..

- ما الذي يضحكك يا إبنتي ؟

- ألم رهيب يلوي عنقي .. يجتاحني حتى النخاع !!

- ولكن قبرك صغير ..

- نعم ! غير أني مللت انتظار المساءات اللامنتهية ..

- لقد ماتت أمك !!

ملت على الحائط .. أبكي .. لعقت دمعة ثم نظرت .. مازال القبر فاغراً فاه .. وحول الجثة تحوم طيور صغيرة الجسم .. جمعت الأطباق المتسخة .. جلست بجانب الجثة .. ورحت أغسل وأنا أترنم بأغنية قديمة .. وقف بجانبي غراب حالك السواد .. أخذ يردد على مسمعي نكاتا سمعتها من قبل .. ولكني ضحكت كثيرا .. أمي تحثني على الإسراع في الغسل .. فقد مالت الشمس نحو البحر – والغراب الأسود مازال يردد نكاتا سمعتها من قبل .. أحاول أن أجمع بعض الورود لأمي .. ولكن

حارس القبر يضحك لي من بعيد .. ومن ورائه قطعة من ضوء ترقص فوق فنجان قهوته ..

- أريد قرنفلة .. فقط قرنفلة واحدة ..

- ولكن الموتى سيغضبون ..

- سأعطيها لهم.

- ولكنهم سيغضبون ..

- أكرهك !

- سيغضبون !!

سأنتظر حتى يذهب لمقبرة أخرى .. ويغفو قليلا ..

" ليس الآن " — قال لي الغراب الأسود .. وطار قبل أن يكمل نكتة سمعتها من قبل .. " أخاف منك " .. قلت له .. قلت أخاف والخوف يجر آخر ذيل له من بين أنفاسي .. تعجب وقام ينفض ثوبه الأبيض .. انشق رحم عن جنين ميت .. فرحت به كثيرا .. زرعته بجانب قبر أمي .. ولكنه نبت ليلكأ وزهرة لوتس .. نظرت .. فوجدت الحارس يلعق فنجان قهوته .. بعد أن نفذت آخر قطعة ثلج لديه .. " ليس الآن " .. داعبني صوت الغراب الأسود .. مازال الأحبة يجلبون المرايا .. لم يكتمل قبري بعد .. " ألهذا الحد ثقيلة هى المرايا ؟ سأنتظر " .. سمعت صوتا يهمس: - " حين تذوب آخر نقطة ضوء .. نبدأ في العمل ".

رد عليه صوت خشن: " ولكن هذه المرايا ثقيلة وكبيرة " ..

-لا بأس .. نهشمها .. ثم نحملها .. إذن .. هم يتربصون بقبري الجميل .. نظرت إلى يدي .. لم أجد شريانا أخضر ولا أسود .. " هل أنتظر حتى يظهر .. أم أرسم مئات الشرايين الخضراء فوق معصمي .. وتحت وسادتي "؟..

يأبى الضوء إلا أن يسهر معي .. فلا يترك فرصة للآخرين ليحطموا القبر .. ويهشموا المرايا .. يرفض اللون الأخضر أن يرتسم على معصمي .. تتقافز الطيور الصغيرة الجسم فوق الجثة .. وحدأة كبيرة وراء الضباب .. تحدق بعينين كاللهب ..

قالوا لي " من سينقش غطاء قبرك ؟"
قلت " لست أدري "
سألوه " أنت من سينقش غطاء قبرها ؟"
أجاب " لا " ..

فوق نافذة حارس القبر .. ابتسمت قرنفلة بيضاء .. أرتدي الظلام .. وأتسلل لأجرعها بعض الفرح .. ثم أعود متأبطة انتظاري .. ضحك أحدهم وقال بحقد .. " لكل مقبرة واحدة .. وأنت لك مقبرتان لماذا ؟ " .. اختلقت له عذرا .. فلم يكن يعرف .. جاءني ذات مساء .. قبل جبيني .. قال: " اعذريني .. لم أكن أعرف " .. رسمت في قبري حمامة بيضاء .. توسدتها .. ثم نمت .. رأيت العم أحمد .. نور بين فكيه .. قلت أختبئ فلا يراني .. ويظل يدعو لي بطول العمر .. لكني سمعته يدعو لغيري .. حشرت أذني بالتراب .. ورحت أقضم أصابعي ..

تسللت ذات ليلة إلى نافذة حارس القبر .. حملت قلبا كبيرا أدس فيه القرنفلة التي سأنزعها .. رأيت رجلين يتجهان نحو قبري .. أكلت ندمي ولم أستطع الصراخ .. وصلت .. استيقظ حارس القبر .. فقد سمع القرنفلة تتأوه بين أظافري .. ألقيت عليه وجهي .. فمات .. عدت أحمل كنزي .. أقدمه لأمي .. وحين وصلت .. وجدت أنني نسيت مفتاح القبر !!

امرأة لا تشيخ!

فاطمة فيصل العتيبي

رائحة شياط تنبعث من الشرفة .. دخان أسود بدأ يطالها، هي تعدل شيئا من هندامها، خطواتها باتت سريعة .. صرخت: ماذا فعلت أيها الأحمق .. لم يكن الأحمق إلا طفلها الذي يعبر عامه الخامس !

ينظر إليها والدموع تحتقن في عينيه .. تكاد تطفئ ما أشعله من نار صغيرة في أوراق الصحف !

أريد أن أذهب إلى جدتي .. إلى خالتي .. إلى خالي .. يبكي ويتابع .. مللت منكم .. أنت وابنك !

ابني .. هو أخوك أيها الوقح !

الوقح هو ابن الخامسة أيضاً !

لم أعد أطيق جنونك .. سيتصرف معك والدك محمد .. محمد ليس أبي .. إخوالي يقولون إن اسم أبي صالح وقد رأيته .. هو أبي وليس محمد أبي !

قلت لك مرارا إن أباك هو محمد وليس أحد سواه !

يجب أن تنسى الجميع وتذكره .. هو .. هو وحسب !

يعاود البكاء .. جرس الباب يدق .. الجارة وبقلق مبالغ فيه .. (عسى ما شر – الدخان أخفاني).

(الشر ما يجيك) .. أنت جاهلة بجنون هذا الولد ؟!

لا لست جاهلة به .. أعانكم الله عليه .

يحملق في ملامح المرأتين المتجهمة !

أيهما أمي ؟ .. تلك .. لا .. لا أظنها هذه !!!

لقد أضاع أمه. اختلطت الأوراق في عقله الصغير .. كلتاهما تنظران إليه بشذر ..

تبتعدان عنه كأنه مجذوم !

لا يدري عن حالته شيئا .. !!

يبكي الطفل الصغير .

فتصرخ الأم تجاوبا ولكن مع الكبير .. (طفل الخامسة).

أرأيت ؟!! لقد بكى لأنك شغلتني عنه .. أنت حاقد عليه .. !

يتساءل ببراءة .. (حاقد .. ما معنى حاقد) !

تقفل باب الشرفة عليه – وقبل أن تغادر رمت عليه بعض كلام .. (لن تخرج من هنا إلى حين مجئ أبيك محمد) .. يحاول أن يصرخ محتجاً على أبوه محمد هذا !

لكنه يبتلع احتجاجه .. غصة في حلقه كادت تجحظ عينيه !

يسقط على الأرض ويبكي .. يصرخ.

أريد أخوالي .. أريد أبي الحقيقي (!!).

مللت منك.

أعيدني إلى أهلي.

صرخ .. ثم صرخ .. حتى أرهق .. ثم نام !

الجو بارد .. مع ذلك لم تذكره.

مشغولة بوليدها الجديد الذي أنجبته من زوجها الغني ..!

زوجها الذي حقق لها كل أحلامها.

فيلا .. وسيارة فخمة .. ملابس باريسية .. وعطورات من أشهر دور الأزياء العالمية !

الآن فقط بدأت تشعر بأنها امرأة .. تتدفق أنوثة لا تهرم .

كيف يهرم جمالها وكل ما تتمناه تملكه.

تتخيل أنها باتت امرأة ضد الشيخوخة !

ترمم شفتيها بقلم (روج) صاروخ اللون .. تنظر إلى المرأة بزهو.

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساء.

في المرآة لاحظت صورة ابنها المعلقة على حائط الغرفة.

أوه لقد نسيته .. مازال في الشرفة ! غريب لا صوت له !

يشير بتثاقل وأصابعها تداعب خصلات شعرها الطويل .. فتحت باب الشرفة .. كان نائما .. عيناه متورمتان من فرط البكاء.

حملته ووضعته في فراشه ألحفته .. انحنت عليه وقبلته.

قبلته وهو نائم.

بحاجة هو لهذه القبلة الحانية وهو مستيقظ !

تربت على شعره وتتحسسه بحنو .. وهو نائم !

تدير قرص الهاتف .. جاءها صوت أمها مجيبا .. أمي لابد أن تبعثي أحدا يأخذ الولد ويعيده لوالده !

لم أعد أطيق صراخه .. سيفقدني كل النعيم الذي أعيش فيه !

زوجي لا يطيق شقاوته .. ألم يقبل به معك ؟!

قبل ولكن ليس من المنطق في شئ أن تحول حياته إلى دوامة لا هوادة فيها !!

دوامة .. الم تجعلني زوجك السابق في دوامة !

لماذا هذا فقط ترأفين به من الدوامة ؟!

دوامة زوجي السابق كانت فقرة .. وأحلامه البالونية !

أخبريني هذا دوامته مغرية جدا .. فلوس .. مشروعات .. سفر وسهر !

دوامة لذيذة جدا .. تروقني كثيرا ..

وابنك ألا يروقك ؟

يروقني ولا شك.

ول .. ك .. ن .. ابني هذا من أب مصاب بالفقر المزمن .. وأخشى أن يعديني وزوجي وابني الآخر !! تضحك بصوت بصت عالٍ أيقظ من نومه !!!

تنازل ..!!

سلطانة العبد الله

تتمرد الأشياء حولها .. تقف وسط كومة من التداعيات معظمها فقاعات وهم لا أكثر .. غدا ستحمل أوراقها .. ستجد الوظيفة المناسبة والراتب الجيد والمستوى المعيشي الذي تحلم به، وغدا وما أقرب الغد لكل طامح وأبعده لكل منتظر، غدا ستكون الأبلة فاطمة المعلمة، ترى المواد التي ستدرسها وكيف سيكون اليوم الدراسي الأول، وكيف تبدأ ومن أين ؟ أفكار، تساؤلات، أسئلة، تنهمر كمطر يغسل جفاف الأرض ويلونها باخضرار عشبي رائع، غدا ومتي سيأتي الغد ؟ الثانية، الثالثة، الرابعة، حان الوقت وأزرفت اللحظة، سترتدي هذا الطقم الجديد ليبدأ عملها وعامها الجديد .. مبروك وفرحة تنطلق من الأحداق التي تحدق بها على أمل وحلم رائع، الملف تام .. مبروك الوظيفة بانتظارك، لا لم يغمرها الفرح بل هى غمرت الفرح، تمطره بقبلات توزعها هنا وهناك زغرودة تنطلق، الجيران يتكومون ومبروك أجمل وأحلى وأغلى مبروك .. وبدأ العام .. وانصرم آخر .. وجاء إبراهيم .. الفرح القادم من خلف خابية الألوان لون أبيض صاف، حلم يتحقق، وظيفة وراتب وزوج .. لا شروط .. كل شئ يسير على ما يرام .. حب، وهو لا يهل أمل لا يهم، المهم أنها حققت لذاتها أشياء كثيرة .. نعم .. النقود تأتي بكل حتى السعادة، هى سعيدة حتى النخاع، وسألها إبراهيم هل ستستمرين في الوظيفة ؟ أجابت: نعم، قال: حتى بعد الزواج ردت: نعم، وإنتهت الاستعدادات، راتبها ذهب معظمه

في شراء لوازمها، بعض لوازم الشقة الزوجية، كانت تدفع دون أن تسأل .. وتزوجت واحتواها إبراهيم بحب وسعادة، وشعرت بهما وترجمتهما من خلال حديث العيون الهامس .. وغرقت في محيط ولم تكن تعرف مجرد السباحة في شبر ماء ورضيت بالغرق وهى سعيدة .. في بداية الأمر كانت تعطي والدتها مبلغا وقدره ثم تضاءل المبلغ وتوارى خلف متطلبات المنزل وأتعاب الأطباء الذين تراجعهم للعلاج والتحاليل الطبية الهامة التي تؤكد إمكانية الإنجاب، واكتفت الأسرة براتب والدها المتوفي، ولم يعد يسألها أحد عن راتبها، واستلمت المبلغ المخصص لتخرجها من الجامعة، خمسين ألف ريال عدا ونقدا، وسلمتها باستلام مقنع لإبراهيم زوجها وحبيبها ومحقق آمالها .. لم تكن تسأله عن راتبه هى التي لا تعرف أصلا مقداره .. وعاشت على أمل أخير أن تنجب طفلا أو طفلة يملأ حياتها معا .. وأخبرت إبراهيم بأمنيها وطمأنها بأن جميع التقارير إيجابية، وينتظر معها إرادة الله .. وانشغلت في عملها، الأيام تمر لا تحس بشئ حولها .. واستيقظت ذات مساء لتجد فراشها خاليا وباردا وبحثت عن زوجها لم تجده بجانبها أو في الشقة، استغربت !! الساعة الثانية صباحا، غريبة كيف تسلل وخرج دون أن تدري، نصف ساعة دهر بل هى أكثر، وسمعته يحاول أن يدخل بهدوء، استلقت ورأته يخلع ملابسه بسرعة سألته أين كنت: التفت مندهشا تلعثم حاول التهرب بسؤال ألا زلت مستيقظة ؟ سارعت نحوه الخطوات ونظرت إلى وجهه وسألته أين كنت ؟ ومتى خرجت ؟ رد .. منذ قليل شعرت بالضيق فخرجت. قالت: في هذا

الوقت ؟ رد نعم، رائحة ما تنبعث من ملابسه وشق الشك طريقه وسط إزدحام المشاعر، واعتلى المنبر خاطبا ومخاطبا، ارتعدت، هربت من كل ذلك إليه .. دفنت رأسها في حنايا صدره، الرائحة تزيد من حماس الخاطب وتثير داخله ألف سؤال .. سألته: إبراهيم هل صحيح أنك كنت تتمشى ؟ رد نعم وربت على ظهرها بحنان، أحست أن أصابعه سكين تمزقها .. ومع هذا استكانت وهدأت، فأحيانا سكين العذاب أرحم انغراسا من حخالب الشك والظنون .. وانتظرت انبثاق الفجر الذي أبى أن يأتي، وكان الليل يشاركها أحزانها بطول وظلمته، وقفزت من سريرها، أرادت أن تبدل ملابسها وحانت منها التفاته إلى يد إبراهيم بحثت عن طوقها، وأساس حضورها في داخله، لم تجده، بحثت في يده الأخرى ورأت الطوق ملقى في الأرض، حملته وانحنت تضعه في مكانه الذي يجب، واستيقظ إبراهيم كالملسوع: ما بك ؟ أجابت: رأيت الدبلة ملقاة أردت إعادتها، لابد أنها أصبحت أكبر من أصابعك أو أن أصابعك لم تعد تحتمل الاختناق. رد: لا .. أبدا، بس غسلت يدي ونزعتها حتى لا يعلق الصابون بها، ردت: أرجو أن تكون خانقا من الصابون فقط بالرغم من أنه رمز النظافة والطهارة .. قال: ماذا تقصدين ؟ ردت .. لا شئ وذهبت إلى عملها لأول مرة تحس أنها غير قادرة تماما على العطاء وطلبت إعفاءها من العمل، وسألتها صديقتها عما عما بعد، حكت كل شئ، كانت تحس بأنها ستنفجر وسألتها قائلة: ألم تسأليه عن مبلغ الخمسين ألفا ورواتبك التي تصرفينها ؟ أين رواتبه؟ أجابت لقد وهده أحد أصدقائه

بمنحه قطعة أرض إزاء مبلغ مائة وعشرين ألفا لنبني عليها، وقد أودع المبالغ جميعها البنك، عموما النقود ليست مشكلة، ردت صاحبتها بل مشكلة، إنها أساس الشر في بعض النفوس، إسأليه أعرفي ماذا استجد في أمر الأرض ؟ .. الشقة التامة كالحب تماما، تعمى أبصارنا وبصيرتنا فلا نرى ولا نحس بشئ حولنا لماذا هذه السلبية وهذا الخضوع والتراخي ؟ أجابت: لأنني أحب إبراهيم وأثق به ولا يمكن أن يخدعني أو يخونني، قالت اسماء: اسمعي يا فاطمة لا تفرطي في لبثقة ولا تفرطي فيها ..

وعادت ومعها الطوفان المدمر، وما إن رأته حتى سألته: ما الذي حدث في موضوع الأرض ؟ لم يتوقع السؤال لذلك لم يعد الإجابة المناسبة. ساد الصمت لثوان استعدادا لما بعد السؤال الماضي وتوالت الأسئلة واستطاع أن يجيب عن كل سؤال، شعرت بالإطمئنان، إنه تعرفه ولن يخونها هكذا أخذت تردد، لم تمض لحظات إلا وإبراهيم يسألها: ما بك يافاطمة لماذا تغيرت ما الذي حصل ؟ أجابت: لا شئ، ولكن ما حدث البارحة ؟ أجاب: آسف لن أخرج مرة أخرى في وقت متأخر .. وهدأت العاصفة ولكن بعد أن اقتلعت أشياء كثيرة .. وحركت الغيوم فاتضحت الرؤية .. وبدأت فاطمة تلاحظ إبراهيم بدقة غريبة، لقد خفف شاربه كثيرا وصار يهتم بحلاقته يوميا، وتغيير ملابسه حتى أحذيته صار يلمعها يوميا، ترى هل حصل على ترقية ما، أو ربما نال وظيفة أفضل: وسألته: أجاب .. شئ عادي أن أهتم بملابسي وشخصيتي، مرت الأسابيع ولاحظت أنه قبل دخوله يقب برهة خارجا، واكتشفت أن

إبـراهيم في تلـك البرهـة يعيـد الطـوق إلى إصـبعه .. لقـد نبهتـه .. وظـل الشك خطيبا فصيحا والظن شاهدا حقيقا .. وهى تتمزق دون أن يعلم أحد.

وذات ليلـة لا تعـرف لهـا توقيتـا، أو لزمنهـا منحنيـات، اتصـلت بصديقتها عواطف تسأل عنها، وجاء الجواب، لقد تزوجت منذ يومين، كيف ولماذا لم يدعوها إلى حفلة الزواج، ردت والدتها لقد كان الزواج سريا جدا وفي أضيق الحدود، ومن العريس ؟ ردت الوالدة باقتضاب، شاب يعمل في إحدى الشركات، واستأذنت مسرعة، ألقت السماعة واستغربت زواج صديقتها وقلق والدتها واقتضابها في المعلومات.. واتصلت بأختها تسألها عن الخبر، ولم تصدق كيف ومتى.. وثارت العاصفة من جديد، شئ ما حركها داخلها، إبراهيم ما به وما الذى أتى به الآن ؟ إبراهيم بات قبل ليلتين خارج البيت، وعلل ذلك أن السيارة تعطلت وهو خارج الطائف، ولم يستطع العودة إلا بعد إصلاح السيارة، اتصل بها معتذرا.. إبراهيم.. أعوذ بالله من الشيطان، واتصلت بعمله سألت عنه الساعة ولم يعد بعد، رد صاحبه: إبراهيم في إجازة لمدة شهر بدأت منذ أسبوع.. وكان الصمت والهدوء، وجاء إبراهيم، هل تسأله أو تخبره بشئ، لم يتناول العشاء وادعى أنه مدعو للعشاء عند فلان وخرج .. وبدأت الذكريات تتداعى .. نعم لقد حدثها ذات يوم عن عواطف صديقتها وعن أخلاقها وكفاحها .. وحدثها عن أشياء كثيرة لم تلقى لها بالا .. عن عواطف بالذات، وأخذت تدور في الشقة هنا وهناك الساعة الثانية،

الثالثة، وأتى إبراهيم لابد من وضع حد للأمر، ولكن ليس الآن وسألته : أين كنت ؟ أجاب : عند صديقى لماذا أنت مستيقظة وعملك ؟ ردت: وأنت وعملك رد أنا لا يهم، وجلس بجانبها ورأت في عينيه الأخرى وفي شفتيه بقايا الود والحب، وفي تعابير وجهه، هى لا محالة، هل تسأله ؟ لا .. حتى لمساته أصبحت شائكة غريبة وكأنها تتجول في أرض ضحلة، استلقت بقلق وتوتر وعذاب، مد يده إليها أبعدتها وهى تباعد بين شعورها اللحظة وشعورها السابق، وانفصلت الأجساد، وهى تفصل كل ارتباط بينهما، وكانت المسافة الصغيرة بينهما سفر بعيد لكيهما لم تنم وهو أيضا أحست بقلقه، أما عذابها فلم تستطع أن تسأل ما الذي حدث وكيف ومتى .. ؟ ولماذا تبني تلك سعادتها على أنقاضها هى ؟ وشعرت به يقف خلفها يسألها ما بك ؟ ردت لا شئ سهدت سأصلي ركعتين وأنام .. تركها مع عذابها يصليها، فتصلي لله طلبا للرحمة من العذاب الذي هى فيه .. وألقت بجسدها وروحها بين يدي الله تسأله، ترجوه أن يعينها ويعاونها في محنتها .. لم تفرط فيه وفرط فيها غدر بها وطعنها وخنجره صديقتها العزيزة، ها هى تذكر كيف كانت ترتعش عند ذكر إبراهيم ؟ وكيف كانت تعابيرها تتحول من النقيض إلى النقيض حسب ما ترويه من أمل أو ألم .. تذكرت كل شئ ولكن بعد أن نسيها إبراهيم وتناستها عواطف لا بل هى عواصف لا عواطف .. وأتى الصبح محملا ومثقلا بالهموم أسرعت إلى السماء حكت لها شئ .. وكان التدبير بعد التفكير .. خرجت من المدرسة بعد أن أخذت ورقة استئذان وذهبت

إلى المنزل اتصلت بالعمل تأكدت من الإجازة .. اتصلت بالبنك وكانت الإجابة لقد سحب المبلغ منذ زمن ولم يبق شئ في الرصيد، وعاودت اتصالها بوالدة عواطف لم تخبرها باسمها بل تنكرت باسم صديقتها وتأكدت الوالدة من أنها كذلك عندما عاتبتها لعدم دعوتها لزواج عواطف من إبراهيم وهى التي كانت معها حتى آخر لحظة وسردت الوالدة القصة. إبراهيم طلب أن يكون الزواج سرا حتى لا تعلم زوجته لأنه يخاف على مشاعرها، ويخاف أن تطالبه بمبلغ مالي كانت قد أعطته إياه من قبل إلى أن يدبرها ثم بعد ذلك يخبرها، وانطلقت ضحكتها تصرخ، وألقت بالسماعة ولم تع بشئ، وسمعت صوته قادما سأل: متى أتيت وأجابت من الساعة العاشرة، لقد كنت متعبة وبلهفة مصطنعة، سأل ما بك ؟ أجابت لاشئ سأحضر لك الغذاء، أجاب: لا داعي سأذهب لأتناوله عند الوالدة، وخرج مسرعا لقد أحس بكل شئ ويقاوم الانهيار .. وكتبت ورقة صغيرة وضعتها وخرجت تلملم بقاياها وذكرياتها .. وعاد إبراهيم كالعادة بعد التاسعة، لم يجدها، بحث هنا وهناك لم يجدها وجد الورقة .. قرأها .. " أنا الموقعة أدناه أتنازل بكامل إرادتي ووعيي عن مبلغ ٥٠ ألف ريال وكامل المؤخر وبقية المقدم لزوجي إبراهيم، وأرفض أن يردّ أي مبلغ مهما كان، وهذا التنازل وقعته وأنا بكامل قواي العقلية والجسمانية ".

أعاد قراءة الورقة مرة واثنين وثلاثا ولم يصدق .. اتصل بها ذهب إليها قالت له: إبراهيم اشتريتك بلا ثمن وبعتني للأسف بهذا الثمن .. أرتك معي، وأردتني مادة، هذا إقرار تنازلي وقد وقعته وكذلك الشهود

أدفعه لك مقابل حريتي من سجنك ووهم حبك، اندفع، أراد أن تبرر أن يقول شيئا، ولكن لم تبق، توارت بعد أن سقط دمعها منهمرا يغسل بقاياه من داخلها .. وخرج بعد أن يئس من التفاهم معها، وحاول أن تعود أن يكون لها كيان مستقل، ولكنها رفضت أن تكون زوجة أولى، مجرد راتب وعمل، ورفضت أن تكون أنثى مسلوبة الإرادة تسير حسب رغبات رجل أناني، لا يعرف الحب ولا يعترف بالرحمة لقد قتلتها دون ذنب .. اغتال أحاسيسها دون أن يحاكمها أو حتى يعلن عن التهمة الموجهة لها وهى لذلك ترفض أن تعود لقاض ظالم في محكمة عدل العدل عنها، وتجنب البقاء فيها .. لم تندم ولن تندم أبدا .. هكذا تحاول أن تقنع نفسها وتقتنع.

إنهم يقتلون الأبرياء

جواهر العسعوس

قتلوها ذات مساء طفلة بريئة، كانت بالأمس تجري ضاحكة عب الحقول .. سقطت دميتها .. تحطكت .. أخذت تبكي .. سألوها لماذا؟ قالت: – دميتي تحطمت .. وانطلقوا ضاحكين.

وحل الظلام فنهضت وقد امتزج بكاؤها بهدوء الليل .. خطواتها الصغيرة ؟ مازالت مطبوعة على الرمال.

صوت جدها المرتعش ونداءاته بددها الريح .. وما أن وصلت إليه حتى إرتمت على صدره تبكي .. !

قالت: دميتي تحطمت.

– لا بأس يا صغيرتي .. غداً يوم جديد ودمية جديدة.

– حقا.

أجل. وارتمت مرة أخرى على صدره ضاحكة وعاد ممسكا يدها الصغيرة إلى مسكنه المتواضع، وأخذ يحثها عن الماضي عندما كان شاباً كيف كان يصنع البندقية في الخفاء وكيف ساهم وع رفاقه ضد العدو وهى تصغي إليه باهتمام بالغ إلى أن أنهكها التعب وراحت في سبات عميق ولم يشعر إلا بأنفاسها الندية المعطرة برائحة السنابل تلفح وجهه الذي تحكي كل قسمة من قسماته أمجاد الماضي والحاضر والمستقبل، حملها بين يديه ووضعها برفق في مرقدها .. أطلق تنهيدة حارة وهو ينظر

إلى وجهها الملائكي الذي لم ترسم الأيام حروفها عليه بعد .. وتلألأت الدموع في عينيه وكأنه أحس بعظم شأنه تجاه هذه الطفلة البريئة، إذ كيف يؤّمن مستقبلها وهو شيخ قسا عليه الزمن .. كيف يجعلها تنسى أبويها .. وراح في تفكير عميق ودقت الساعة المعلقة على الجدار أمامه تشير إلى التاسعة .. انتفض مذعورا .. تراجع إلى الوراء وأسند ظهره إلى جدار المنزل وقال بصوت مخنوق: – أبويها ؟ قتلا ذات صبلح أمام ناظريها .. إيه .. في ذمة الله يا نزار .. لقد دافعت وقاتلت بشجاعة .. كنت ليلتها تغني لتراب الأرض .. لم تكن تدري انك في غضون ساعات يضمك إليه.

رفع رأسة كانت دموعه الصامتة قد أغرقته .. شعر بالضيق .. فتح النافذة .. وأخذت عيناه تنظران إلى لا شئ .. وسرت موجة باردة اهتز لها كيانه .. وضع رأسه بين كفيه وقال: – دائما تأتين مع النسيم .. كلماتك لا يزال عطرها يملأ المكان .. لك الله يأ أروى .. لم تهدأي ساعة القتال .. وخرجت بإلحاح عاصبة رأسك بوشاح أحمر كالفراشة تنتقلين من معسكر إلى آخر، تمدينهم بالذخائر والأسلحة .. وقتلت دفاعا عن زوجك وكانت هديتك لحظتها هذه الطفلة التي تنبعث أنفاسها بهدوء أمامي .. عاد إلى نفسه وقد تجمعت أطرافه بفعل البرد .. أغلق وارتمى على مقعد كان مواجها له راح في سبات عميق ولم يستيقظ إلا بطرقات عنيفة على الباب .. وقف مذعورا وهبت الطفلة من نومها

وارتمت في أحضانه .. استجمع قواه وقال: – من ؟؟ والطرق يزداد .. تقدم نحو الباب وقال: –

من الطارق ؟ .. لا مجيب.

فتح الباب قليلا، فدفعه ثلاثة من الجنود مزودين بأسلحتهم .. سقط على الأرض .. قال بصوت يملؤه الغضب: – ماذا تريدون ؟ تقدم أحدهم وداس على يده قائلاً: –

- الشيخ محمود .. أنت هو ؟
- نعم ماذا في الأمر ؟
- أنت متهم بإزعاج السلطة .. لا تنكر ؟
- كيف ! أنا شيخ مسن .. لقد ولت أيام الشباب ..
- لقد أثبتت تحرياتنا أنك تقدم العون لأتباعك وأنك تعقد حلقات تعليمية في شئون القتال .. أليس كذلك ؟وداس على يده أكثر وصرخ بأعلى صوته: – لم لا تجيب أيها العجوز ؟

كل ذلك والطفلة الصغيرة قابعة في ركن المنزل تنظر إلى جدها فلا تستطيع التقدم .. عقلها الصغير لا يدرك الأحداث .. التفت الجندي إلى رفاقه وأشار إليهم: خدوه .. وتقدمهم خارجا، وتقدموا إليه أوثقوه وقد عجزت قدماه عن السير .. حفيدته الصغيرة تبكي وراءه .. أرادت الركوب معه .. دفعها أحدهم، سقطت أرضا .. أغمى عليها بينما أخذت عجلات السيارة تنهب الأرض نهباً. أفاقت الطفلة من غيبوبتها .. أخذت تجري على غير هدى .. في عينيها يلوح ألف سؤال ؟؟؟

وكانت نهايتها تحت شاحنة مسرعة في المقر أودع الشيخ محمود السجن، وكان في كل دقيقة معرضا للتعذيب .. جسمه النحيل لم يعد يحتمل .. وفارق الحياة وهو يردد نهى .. نهى .. أين أنت ؟؟[*]

[*] ملف " الثقافة والفنون " ، الرياض ، ع٤ – رجب ١٤٠٢ هـ – مايو ١٩٨٢م.

الزوايا الأربع

نورة النايف

(١)

في صوت اتهام صريح بالجنون .. وحقد يقفز بين الكلمات .. لو كان بإمكاني لأحرقك معها – أبقيت شيئا من البنزين – لو كنت أملك عضلاتك لفعلت.

(٢)

استعبد تماني فترة .. أنت وهى. نعم كانت هى قبلك .. لكنها كانت بريئة ساذجة .. تدهشني بعض عباراتها المتأنقة .. تمنحني خيالا أكثر خصوبة من خيال سجين أسبح فيه حتى السديم، ثم أتيت أنت .. تحالفت معها وباركت أنا هذا التحالف .. تحولت سذاجتها فجأة إلى ذاكرة احتوت آلام كل الشعوب وأفراحهم .. فلاسفتهم وحكماءهم .. كتابتهم وشعراءهم .. كبرت .. كبرت حتى الذعر .. وكنت أنت سعيدا بذلك .. كانت هى تربك عقلي .. وأنت تحاول تربيته.

أهملت كل شئ .. وتفرغت لكما تفرغت حتى الادمان .. هى تملي الأفكار .. وأنت تفلسفها .. وأنت تفلسفها .. تبسطها حينا .. وتعقدها أحيانا أخرى .. وأنا اتلقاها دون جدال .. إلا في حالات يسيرة

عندما أريد أن أثبت لك ولها أني لا أقل عنكما عقلا أو منطقا .. حتى في هذه الحالات.

- رغم قوة منطقي – تلبس جلد ثعلب وتراوغ بأسلوب يدهش (دي كارت) نفسه ويقنع (هميروس) بأن قضيته غير عادلة.

- رغم الندية بينكما – إلا أنني تخيلت أنك تتفوق عليها. وعندما أبوح لك بهذا التصور .. أراك تقهقه من أعماقك.

- لا أدري أني أمنحك غرورا لا تستحقه.

(٣)

ادمنتكما .. والمدمن لا يريد أن يشفى .. وكانت الكارثة، شئ بأعماقي أحسه يتبلور يتخذ شكل جنين.

قلت لك ذلك ذات ليلة، قلت لي .. مازلت صغيرة على هذا العناء والدرب موحش طويل .. لكن هذا لا يمنع من أن نرعاه سويا يا صغيرتي .. اخفيتني في صدرك هنيهة ثم مضت.

ياللشمس .. كدت أمنحه خلودا لا يستحقه.

أما هى فقد أرتني وجه الحقيقة البشع .. كنت أعرف أنه يجثم خلف الباب لكني لم أكن راغبة في رؤيته، سأروي لك كيف حدث ذلك؟ في ليلة شتائية وأنت بعيد .. كنت حزينة وخائفة .. مددت يدي إليها، أخذتها بحنان وقالت: - " صلّ .. ولكن ليس لأن تكوني في مأمن من الخطر .. بل لتكون لديك جرأة التحديق إليه ".

وفي الليلة الأخرى .. أتاني صوتك من البعيد .. حنونا يلمس القلب يداعبه يزرع فيه قلقا ناعما طريا .. أحسست تلك اللحظة أن الجنين تحول فجأة إلى طفل جميل القسمات .. له عينان مشرقتان تحتلان سمائي.

نظرت إليها .. ابتسمت هى وقالت: طفلك هذا هو طفلي وطفله أيضا سأقول لك حقيقة .. هذا الطفل لن يولد إلا تحت مصابيح الشوارع .. لن يتنفس إلا هواء الساحات .. ولن يرضع إلا ضوء الشمس.

سيموت إذا بقيت بين هذه الزوايا الأربع.

(٤)

وعندما عدت .. كان طفلي يصرخ في أحشائي يريد الخروج إلى النور. قلت لك ذلك .. قلت لك سيموت إذا بقيت بين هذه الزوايا الأربع.

قلت لي .. لديّ اهتمامات أخرى.

أدركت وجهك ومضيت .. مضيت دون أن تراوغ .. لم تلبس هذه المرة جلد ثعلب .. وعند الباب تحول جسدك إلى جسد ثعبان .. التفت إليّ بوجه مثلث خرج منه لسان طويل له شعبتان انغرس في أحشائي .. لا أدري لحظتها من الذي مات .. أنا .. أم أنت .. تألمت كثيرا — والميت لا يتألم — نظرت إليها كانت في مكانها الذي لا يتغير .. انتظرت أن تقول شيئا .. كاد حيادها البارد أن يقتلني .. مددت يدي إليها —

ناولتني ورقة بكثير من اللامبالاة وبشئ من الفوقية مكتوب عليها .. " لا تحلمي بعالم سعيد فبعد كل قيصر يموت قيصر جديد "

(٥)

اتضحت أمامي خيوط اللعبة. أنت أردت أن تمثل دور البطل. ذلك الدور الذي فلشت أن تتقمصه في ظروف حياتك الأخرى، دور الفيلسوف المهزوم من الداخل المنتصر دائما من الخارج. وعندما جاء المحك .. سقط القناع. أدركت عند ذاك انك خذلتني لأني صدقتك صدقت القناع.

أما هى فقد أعطتني الأمل .. وقدرة جيدة على الصراخ .. لكنها لم تمنحني المناخ الذي يحتاجه طفلي .. لم تدرك أن هذا الطفل تسرب في شراييني .. استوى في عروقي .. اتحد في خلايا جسدي وروحي .. موته يعني موتي أنا أيضا. لم تأخذ بعين الإعتبار هذه الزوايا التي تخنقني الآن.

سلبتني قدرة التكيف .. ولم تمنحني البديل.

(٦)

قلت لن أموت أنا وحدي .. أخذت صفيحة البنزين – قليل منه يكفي – هى لم تقاوم .. ظلت في مكانها كأنها تنتظر الحدث. أشعلت عود ثقاب وبشئ من الشماته وكثير من الحقد قذفتها به. كان المنظر جميلا موحيا تلذذت به كثيرا .. ها هى تتداعى مثلي تماما.

آه لو بإمكاني حرقك أيضا .. ألم تساهم معها في تعاستي .. ألم تتآمر معا على قتل طفلي وقتلي.

حقدي سيحرقك .. بل هو أحرقك فعلا وحولك إلى رماد.

(٨)

يرن جرس الهاتف .. صوتك اللزج يأتي كأن شيئا لم يكن أسمعك تقول:

- هل جننت قيل لي أنك أحرقت المكتبة.
- (يبدو أنه يحاول لبس الرماد) .. وأنت أيضا ألم تحترق !.

الفهرس